ISNN 2543 - 3857

مجلة

# مقامات

## للدراسات اللسانية و الأدبية و النقدية

مجلة دورية دولية علمية محكمة
تصدر عن معهد الآداب و اللغات بالمركز الجامعي بآفلو

العدد 04

ديسمبر 2018

مجلّة دوريّة دوليّة علميّة محكّمة
تصدر عن معهد الآداب واللغات
بالمركز الجامعي بآفلو
التّرقيم الدّولي : ISSN2543-3857

المدير الشرفي للمجلة : الدكتور عبد الكريم طهاري ـ مدير المركز الجامعي ـ
مدير المجلة: الدكتور الوكال زرارقة
رئيس التحرير: الدكتور حمزة بوجمل
نائب رئيس التحرير: الأستاذ :يحي علاق
مسؤول النشر: الأستاذ : محمد الحبيب منادي

هيئة التـحرير

د . فضيلة بلعالم د . صالح حدّاب
أ. احمد رخرور أ . رابح بوصبع
أ.فاطمة الفاسي أ . نريمان أمينة مزاري
أ. فاطمة عدة أ. فؤاد بومدين
أ. أمين شعمي
التنسيق و الإخراج : إبراهيم سماعيني

الهيئة العلـمية الاستشارية للمجـلة :

أ.د أحمد حساني جامعة الشارقة (الإمارات العربية)
أ.د عبد القادر فيدوح ـ جامعة المنامة ( مملكة البحرين)
أ. د . محمّد أبو نبوت ( جامعة القاهرة ) .
د. خضراء ارشود قاسم الجعافرة . ( جامعة مؤتة الأردن ) .
د. إحسان بن صادق بن محمد اللواتي .جامعة السلطان قابوس ( سلطنة عمان ).
أ.د محمد الأمين خويلد ـ جامعة الجلفة ـ
أ.د ناصر سطمبول ـ جامعة وهران
أ .د سليمان عشراتي ـ المركز الجامعي بالبيض ـ
أ.د عيسى بربهات ـ جامعة الأغواط ـ
أ. د إبراهيم شعيب ـ جامعة الأغواط ـ
أ.د بوداود وذناني ـ جامعة الأغواط ـ
أ.د لخضر حشلافي ـ جامعة الجلفة ـ
د. المختار علّة – جامعة الجلفة .
د. عثماني بولرباح ـ جامعة الأغواط ـ
د. عز الدين حفار ـ المركز الجامعي بعين تموشنت ـ
د. عيسى خثير ـ المركز الجامعي بعين تموشنت ـ
أ . محمد الفاروق عاجب . المركز الإسلامي للبحوث بالأغواط -
أ . بلقاسم بن قطاية ـ المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط ـ
د مختار حسيني المركز الإسلامي للبحوث بالأغواط .
د فتيحة بوتمر جامعة البويرة .

أ.د عبد الجليل مرتاض ـ جامعة تلمسان ـ
أ.د أمينة طيبي ـ جامعة سيدي بلعباس ـ
د. بوفاتح عبد العليم ـ جامعة الأغواط ـ
د. ميهوب جعيرن – جامعة الأغواط-
د. سليمان بوراس ـ جامعة المسيلة ـ
د. محمد حدوارة ـ جامعة تيارت ـ
د. عبد السلام زرارقة ـ المركز الجامعي بغيليزان ـ
د . العيد علاوي ـ المركز الجامعي باللبيض ـ
د. مختار درقاوي ـ جامعة الشلف ـ
د. بن الدين بخولة ـ جامعة الشلف ـ
د. فاضل نعمان ـ جامعة عنابة ـ
د. عيسى شاغة – جامعة البويرة-
د. زين العابدين بن زياني ـ جامعة البويرة ـ
د عمر حدوارة ـ جامعة تيارت ـ
أ . عطاء الله بوسالمي ـ جامعة بجاية ـ
د. العربي دين ـ جامعة سعيدة ـ
د . الجيلالي جقال ـ المركز الجامعي بآفلو ـ
د . سعد عبد السّلام – جامعة زيّان عاشور – الجلفة
د . بلقاسم بودنة – جامعة زيّان عاشور – الجلفة
د حاج هني محمد جامعة الشلف .

## قواعد وشروط النشر بالمجلة :

تُرحب مجلة "مقامات" للدراسات اللسانية والأدبية والنقدية بجميع مشاركات الأساتذة والباحثين قصد نشر بحوثهم و دراساتهم وفق الشروط المحددة على النحو الآتي :

ـ تنشر المجلة جميع البحوث والدراسات الأكاديمية اللسانية والأدبية والنقدية باللغات : العربية والفرنسية والإنجليزية.

ـ يشترط في البحث المقدم للمجلة أن يكون أصيلا وغير منشور أو مقدَّم للنشر في دورية أو مجلة أخرى.

ـ ينبغي أن لا تزيد صفحات البحث عن 20 صفحة (على ورق A4) ، مع مراعاة العناوين الفرعية للمقال.

ـ نوع الخط وحجمه في العربية : traditional arabic 16 ـ و traditional arabic14 للهوامش وقائمة المصادر والمراجع، ويكون الفصل بين الأسطر بـ : 01 سنتم. ونوع الخط وحجمه في اللغتين الفرنسيَّة والإنجليزيَّة هو :

Times New Roman (14) للمتن و Times New Roman (12) للهوامش .

ـ ينبغي إثبات الهوامش والإحالات في أسفل كل صفحة بالأرقام العادية وبالطريقة الآلية التلقائية ، على أن تكون المصادر والمراجع في آخر المقال بخط :traditional arabic 14

ـ يجب أن لايقل عدد الصفحات المقال عن الخمس ولا يتجاوز العشرين.

ـ وجوب وضع ملخص للمقال من خمسة إلى سبعة أسطر بالعربية إن كان المقال بلغة أجنبية ، والعكس كذلك .. ويأتي في بداية المقال.

ـ تخضع المقالات ـ قبل إجازتها ـ للتقييم والتحكيم من قبل خبراء مختصيين، وقراراتهم غير قابلة للطعن أو الاعتراض.

ـ الأعمال المقدمة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

ـ ما يرد من آراء وأحكام فيما ينشر في المجلة هي تعبير عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

المراسلة : تقدم المقالات والدراسات الأكاديمية ـ إلى رئيس التحرير في نسخة ورقية للبحث مصحوبة بنسخة إلكترونية على قرص مضغوط CD أو ترسل على البريد الإلكتروني :cua.makam@gmail.com

رئيس التحرير ـ معهد الآداب واللغات ـ المركز الجامعي بأفلو ـ الهاتف: 213662407317+

# كلمة العدد

**بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

أما بعد.

تطل علينا مجلة" **مقامات**" في عددها الرابع بحلة جديدة ولباس قشيب حيك نسجه من خيوط علمية ومعرفية تنوعت ألوانها فزادتها نضارة وبهاء تسر المتلقين.

وما يلاحظ في هذا العدد أنها وبحمد الله تجاوزت الحدود المحلية والوطنية إلى الحدود العالمية فقد ضمت في نسجها الرابع مقالين علميين من خارج الجزائر، أحدهما من جامعة بوشهر من جمهورية إيران الإسلامية يدور موضوعه حول البنية السردية للشخصيات الفنتازية في شعر سليمان العيسى، والآخر من جامعة قفصة بتونس، يتحدّث بالفرنسية عن التأريخ في كتابة التاريخ عند العرب. ويعد ذلك مكسبا علميا يضاف إلى رصيد المجلة في سيرها نحو التألق ، و تشجيعا للقائمين عليها في سيرهم بخطى ثابتة نحو الغاية المنشودة التي سطرت لهده الدورية العلمية.

أما بقية مقالات العدد فقد تنوعت بين الدراسات النقدية والدراسات اللسانية وركّزت على قضية المفاهيم من خلال مقال النظرية التوليدية التحويلية ومقال الدرس اللساني المعاصر بين مفهوم الأسلوبية ونظرية أفعال الكلام، كما احتوى هذا العدد على مقالات تناولت إشكالية المناهج في الكتابات اللسانية المعاصرة ومسألة الافتقار والاستفتاء بين العناصر اللغوية في العربية. وقد حظي العدد الرابع بمقالات نقدية أدبية أبرزها مقال موسوم ب" ملامح الثورة في الخطاب الشعري الجزائري قير نوفمبر 54 ومقال آخر موسوم ب " لغة الحوار الروائي بين الفصحى والعامية.

ومن خلال هذا التنوع في موضوعات العدد تحافظ " مقامات " على خطها الذي رسمته لنفسها خدمة للبحث العلمي وللثراء المعرفي الذي تعرفه الساحة الأدبية والنقدية واللغوية. وهي تسعى نحو الأفضل والأجود والأفيد.

**مدير المجلّة : أ.د. زرارقة الوكال**

| الفهرس | |
|---|---|
| **- كلمة مدير المجلَّة .**<br>- أ.د. زرارقة الوكَّال. ( المركز الجامعي بآفلو ) | |
| **- الكتابات اللسانية العربية المعاصرة وإشكاليات المناهج.**<br>د . عون الله خديجة (جامعة أمحمد بوقرة – بومرداس ) ..... | ( 01 ) |
| **النّظرية التّوليدية التّحويلية:من بدايات التّأسيس إلى التّرسانة المفاهيمية.**<br>د . محمَّد حدوارة – ( جامعة ابن خلدون- تيارت ) . ..... | ( 17 ) |
| **ملامح الثورة في الخطاب الشعري الجزائري قبيل نوفمبر 54**<br>د . ميهوب جعيرن – ( جامعة عمار ثليجي – الأغواط ) ..... | ( 39 ) |
| **البنية السرديّة للشخصيّات الفنتازيّة في شعر سليمان العيسى**<br>**قراءة في ديوان "أراجيح تغني للأطفال" أنموذجا.**<br>مهتاب دهقان (طالبة ماجستير)/أ.م.د. رسول بلاوي/أ.م.د. ناصر زارع. **جامعة خليج فارس، بوشهر.إيران.** | (51) |
| **لغة الحوار الروائي بين الفصحى والعامية.**<br>د . دحماني شيخ – ( جامعة مولاي الطاهر – سعيدة ) . ..... | ( 68) |
| **دوريَّة الشِّهاب الإصلاحيَّة . حقيقتها وأهدافها .**<br>أ.د . الوكال زرارقة – ( المركز الجامعي – أفلو ) ..... | ( 88 ) |
| **أثر الوقف في البحث العلمي والنّهوض الحضاري ( نموذج الوقف على الجامعات )**<br>أ. محمد الحبيب منادي- (المركز الجامعي – أفلو)..... | ( 95 ) |
| **أثر القواعد اللغوية في استنباط الأحكام الشرعية عند الأصوليين**<br>أ. سليمان حرفيف- (المركز الجامعي – أفلو)..... | ( 123 ) |
| **الدرس اللّساني المعاصر بين مفهوم الأسلوبية ونظرية أفعال الكلام**<br>د. عمر حدوارة ( جامعة ابن خلدون – تيارت ) ..... | ( 136 ) |

| | |
|---|---|
| **ثنائية الافتقار والاستغناء بين العناصر اللغوية في العربية "مقاربة في تماسك بناء اللغة العربية"** د. سليمان بوراس (جامعة محمد بوضياف– المسيلة) ..... | ( 148) |
| **فاعلية القراءات القرآنية الشاذّة في التصحيح اللغوي من منظور أحمد مختار عمر.** د. نورالدين دريم (جامعة الشلف)..... | (160) |

# الكتابات اللسانية العربية المعاصرة وإشكاليات المناهج .

**– د . عون الله خديجة**
**جامعة أمحمد بوقرة بومرداس**

**ملخص البحث:**

لقد ظلّت فكرة الاحتكاك بين الحضارتين العربية والغربية هاجسا يؤرق الفكر العربي لفترة طويلة من الزّمن، بحكم النّظرة التعصبية التّي أحاطت هالة القداسة على الإرث الحضاري العربي، ظنّا أنّ هذا الاختلاط مع الغرب قد يذيب الهوية العربية ويفقدها مقوّماتها، إلّا أنّ هذه النّظرة لم تستحوذ على ذوي البصائر من الباحثين العرب ولم تؤثر فيهم،لأنّهم كانوا يدركون تمام الإدراك أنّ الحضارات بطبها تتفاعل ويقع بينها من احتكاك، وتنتج عن الأخذ والعطاء، وقد ساهمت هذه الخطوة بشكل كبير في تشكل الخطاب الّلساني العربي المعاصر،ومن الواضح أنّ التفاعل مع الغرب أوفد الدراسة الّلغوية العربية العديد من المناهج الغربية،لأنّ مسألة المنهج هي عماد البحث وأساسه في كل المجالات المعرفية والعلمية،واختيار المنهج يرتبط أولا وأخيرا بطبيعة الموضوع محل البحث، فالالتزام بالجانب المنهجي في مجال المعارف الإنسانية أمر ضروري،لأنّه يهيئ أرضا صلبة يمكن الوقوف عليها للإسهام بشكل فعال في بلوغ الأهداف، وفي هذا البحث محاولةً للكشف من خلال وصف وتحليل أهم المناهج واتجاهات البحث الّلساني.

**الكلمات المفتاحية** : المنهج اللساني – الكتابة اللسانية – الفكر العربي المعاصر– أزمة المناهج.

## Abstract

The idea of friction between the Arab and Western civilizations has been a concern for Arab thought for a long period of time. This is because of the fanaticism that surrounded the aura of holiness over the Arab cultural heritage, thinking that this mixing with the West might dissolve Arab identity and lose its components. The Arab scholars did not influence them because they were fully aware that civilizations interacted and interacted with each other, and resulted in each taking. This step contributed significantly to the formation of contemporary Arabic linguistic discourse. It is clear that interaction with the West led to the study The choice of curriculum is linked first and foremost to the nature of the

subject in question. The commitment to the systematic aspect in the field of human knowledge is necessary, because it creates solid ground that can be identified to contribute effectively. In achieving the goals, and in this research an attempt to reveal through the description and analysis of the most important .approaches and trends of linguistic researc

**تـــوطئة:**

تتصدر اللسانيات منذ أزيد من نصف قرن مكانة مرموقة ومتميزة في سلم العلوم الإنسانية، والاجتماعية، ولعل من أهم العلوم التي تؤكد هذه الأهمية ارتباطها بأهم موضوع في حياة الإنسان ووجوده، ألا وهو موضوع اللّغة، وترّد أهمية هذا الموضوع إلى الحاجة القصوى لدى الإنسان للتعبير والتبليغ بوساطة الكلمات عن الأفكار والأحاسيس فهي المسئولة،أي اللّغة عن تجسيد العالم المثالي والممكن في الواقع الإنساني بكل تمظهراته المادية والروحية، ومن ناحية أخرى شكلت اللسانيات في الحقبة الأخيرة وتحديدا مع بدايات القرن العشرين ثورة منهجية في صعيد النظر إلى الظاهرة اللّغوية، وكيفية التعامل معها باعتبارها وسيطا فعالا لنقل الخبرة العلمية، وتفعيلها ماديا ثم تطوير آفاق البحث فيها

وفي ضوء هذا السياق المعرفي تتنزل دراستنا هذه الموسومة: **بالكتابات اللسانية العربية المعاصرة وإشكاليات المناهج** قصد إثراء الحصيلة العلمية والمعرفية للمناهج اللسانية وقيمتها الإجرائية لدى القارئ العربي الذي يحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى إدراك واعٍ للنظرية اللسانية بكل تفاعلاتها وتعدديّتها، للاستضاءة بها في تقويم الفكر اللّساني العربي قديمه وحديثه، والتأسيس لتوصيف لغوي عربي حديث ينهض بأعباء المسؤولية الجماعية اتجاه اللّغة العربية بمخزونها التراثي الضخم،وتفاعلاتها الثقافية الراهنة، إذ غدت الحاجة إلى تعمق هذه المعرفة الجديدة القديمة مطلبا حضاريا بالدرجة الأولى في وقت تتعالى فيه الأصوات من هنا، وهناك فاعلية حال اللّغة العربية في واقعها الإستعمالي والبحثي، بل ربما زعمنا هنا استحالة عولمة اللّغة العربية وثقافتها ما لم يفتح البحث في قضاياها بابَهُ على مصرعيه لمراعاة **إشكالات المناهج اللسانية** التي تمّ استحضارها في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة على وعي منّا بالخصوصية الثقافية،والحمولة التراثية التي تتأسس عليها النظرة اللّغوية العربية.

## I. مفهوم المنهج : (la Methode) :

### 1) المنهج لغة :

من نهج الأمر: أبَانه وأوضحه،ونَهَج الطريق سلكه، وانتهج الرجل: طلب المنهج أي الطريق الواضح[1]، فالمنهج هو الخطّة ومنه، منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما[2]، وقد أجمعت جلّ المعاجم على أنّ **المنهج** هو الطريقة أو الأسلوب، ويستخدم هذا المصطلح أيضا للدّلالة على طريقة البحث عن المعرفة والاستقصاء، بمعنى الأسلوب الذّي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السّلوك[3].وبالتالي المنهج هو طريقة في البحث.

### 2) المنهج اصطلاحا :

ويقصد به هو: طائفة من القواعد المصوّغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم[4]، فهو بوجه عام وسيلة محددّة توصل إلى غاية معينة لاعتباره خطة منظّمة لعدّة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها[5]، ويراد بمناهج البحث الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض[6].

فهناك اختلافات عديدة و حاسمة بين **المنهج الحديث والدّراسة القديمة للّغة**، وحجز الزاوية في هذا الخلاف تلخصه كلمة واحدة هي العلمية(scientific)، والجانب الهام في(scientifiness) عملية علم اللّغة استعمال الأساليب العلمية التي يعتمد عليها الموضوع أي المنهج العلمي (Method scientific)، والذي يتمثل في إقامة الغرض النظري الذي يفحص بعد ذلك منهجياً عن طريق التجريب وتحقيق الفروض، كما يهتم بوضع أصول نظرية علمية، ومصطلح علمي ثابت وواضح[7]، وهذا ما تقوم عليه الدراسات اللّغوية الحديثة.

---

[1] لسان العرب،جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت،383/2.

[2] معجم الوسيط،مجمع اللّغة العربية،القاهرة،2،مادة (نهج).

[3] مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، نور الهدى لوشن،جامعة الشارقة،القاهرة،ط2؛2006،ص:02.

[4] مناهج البحث اللّغوي،عبد الرحمان بدوي،دار النهضة العربية،القاهرة؛1963،ص:03.

[5] النظرية اللّغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم،دار السلام للنشر والتوزيع،مصر،ط1؛2006،ص: 20.

[6] علم اللّغة،علي عبد الواحد وافي،دار النهضة،ط7؛1972،ص:33.

[7] مقدمة في علم اللّغة،زهران البدراوي،دار المعارف،مصر،ط2؛1786،ص :175.

## II. مناهج اللسانيات الحديثة وفروعها :

المنهج من أهم سمات الدراسة العلمية كما سبق وأن أشرنا، وقد وضع علم اللّغة الحديث مجموعة من المناهج لدراسة اللّغة فيها تصورات مماثلة أو مشابهة بعض الشيء للمناهج في الدراسات العربية القديمة[1]، وكل منهج من هذه المناهج يسد حاجة يتطلبها الواقع اللّغوي، فبعضها يكشف عن أسرار النظام اللّغوي للغة موضوع الدرس، وبعضها يرصد حركة التغيّر اللّغوي عبر الزمن وبعضها الآخر ينهض بهدف التأصيل اللّغوي وتصنيف اللّغات إلى أسرات لغوية،وبعضها يأتي لتحقيق غايات تربوية في مجال تعليم اللّغات[2] ؛ فأهمها:

### أ) المنهج الوصفي : (Descriptive Method):

يقوم هذا المنهج على وصف اللّغة( لغة محدّدة) في زمن محدّد ومكان محدّد، دون اعتبار للخطأ والصواب فيها، بحيث يصف الحقائق ويناقشها دون إقحام المنطق في تفسير وتأويل الظواهر اللّغوية[3]، اعتمده "دي سوسير"(F .D.Saussure) في دراساته ؛ حيث دعا إلى وصف اللّغة كما هي وليس كما يجب أن تكون، فيعتمد هذا المنهج على اللّغة المنطوقة بالتركيز على طبيعة المتكلم وشخصيته العلمية والثقافية أو على الراوي اللّغوي؛ حيث يدرس لهجة معاصرة كمصدر منهجه الوصفي[4].

إنّ كلّ البحوث التّي تتنّاول مستوى واحداً من مستويات اللّغة بالدّراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه تعدّ من موضوعات علم اللّغة الوصفي، بحيث مجالات البحث الوصفي كثيرة،وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لأحد مستويات العربية قديما أو حديثا تعدّ دراسة وصفية[5].

فيتميز هذا المنهج بدراسة الظاهرة اللّغوية كما هي في الواقع، يصفها ويوضح خصائصها اعتمادا على اختبار عيّنة ممثلة للمجتمع على أساس معيار مميز يمكنّنا من التعميم، وتبرز أهميته في أنّه يسمح بجمع المعلومات الحقيقية والتدقيق والتفصيل لظاهرة موجودة فعلا في مجتمع، فيضع النقاط على حروف المشكلة الموجودة، كما يمكنّنا من معرفة

---

[1] منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث،علي زوين،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط1؛1986،ص:10.

[2] العربية وعلم اللّغة الحديث،محمد محمد داود،دار غريب،مصر؛2001،ص: 95.

[3] المصدر نفسه،ص :95.

[4] علم اللسانيات الحديثة،عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، الأردن، ط1؛ 2002، ص127.

[5] مدخل إلى علم اللّغة، محمود فهمي حجازي،دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة،د.ت،ص22.

ما يفعله الأفراد في مشكلة ما، فيستفيد من ذلك بآرائهم وخبراتهم باتخاذ القرارات المناسبة التي يتمّ تعميّمها في مشاكل ذات طبيعة مشابهة لها.

### ب) المنهج التاريخي :(Historical Method )

يختصّ هذا المنهج بالتّطور اللّغوي عبر الزّمن، حيث يعنى المنهج التأريخي في دراسة اللّغات بالتغير الدّلالي للغة، ومراحل تطور لغة واحدة أو مجموعة من اللّغات عبر مسيرتها ومظاهر هذا التطور وأسبابه ونتائجه[1]، وتوصل اللّغويون الغربيون في القرن الماضي وأوائل هذا القرن إلى مجموعة من الأسس والمفاهيم والقواعد ممّا هيأ إلى بروز علم يدعى (علم اللّغة التاريخي)،وكان من أهم الأسس التّي اعتمد عليها في التحليل هو مفهوم (الحركة) أو (الفاعلية المستمرة) (Dinamic) فهو يدرس اللّغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغير اللّغة عبر الزّمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللّغة، كما أن التغيّر يحدث في كل الاتجاهات (النماذج الصوتية، والتركيبية، والصرفية، والنحوية، والمفردات) ولكن ليست على مستوى واحد، ولا طبقا لنظام معين ثابت،وهذه التغيرات اللّغوية تعتمد على مجموعة من العوامل التاريخية[2].

يعتمد المنهج التاريخي على المنهج الوصفي الذّي يأتي ممهدا للدراسة التاريخية، فعلى سبيل المثال يمكن لنّا تناول ظاهرة لغوية بالبحث التاريخي بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي(فترتين متقاربتين)، أو بين العصر الجاهلي والعصر الحديث (فترتين متباعدتين)، فتأتي الدراسة الوصفية بكل أبعادها (تحديد الزمن، تحديد المكان، تحديد المستوى، تحديد الظاهرة اللّغوية، التزام المنهج العلمي وما يتطلبه من دقة وموضوعية)؛ لإنجاز وصف الواقع اللّغوي ثمّ يأتي بعد ذلك دور الدراسة التاريخية التي ترصد التغيّر اللّغوي[3].

### ج) المنهج المقارن :(Comparative Method)

اتّضح هذا المنهج مع ظهور اللّغة السنسكريتية التّي كانت حافزا للدراسات المقارنة، ويقوم على الدراسة النّحوية والصرفية والدلالية بمقارنة تجري بين لغتين أو أكثر من فصيلة لغوية واحدة، كالفصيلة السامية مثلا فتهتم

[1] منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث، علي زوين، ص:36.

[2] الطراز المتضمن لأسس البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،العلوي، دار الكتب الخديوية،مطبعة المقتطف، القاهرة ؛2،1914، ص:152.

[3] العربية وعلم اللّغة الحديث،محمد محمد داود، ص: 97.

بدراستها من حيث :" الأصوات وتشكيلاتها وبناؤها ومخارجها وصفاتها ووظائفها"[(1)] وقد ازدهر البحث المقارن في اللّغات السامية في فترة كانت الكشوف الأثرية قد أظهرت لغات قديمة مكتوبة على النقوش وهي اللّغات الأكادية في العراق والعربية الجنوبية في اليمن، والفينيقية في منطقة ساحل الشام، وأضيف إلى اللّغات السامية في القرن العشرين اللّغة الأجريتية التّي اكتشفت في ساحل الشام، فالبحث المقارن يتناول أسرة لغوية كاملة أو فرعا من أفرع هذه الأسرة اللّغوية، ولذا يعدّ علم اللّغة المقارن فرعا مستقلا من أفرع البحث اللّغوي[2].

يتناول علم اللّغة المقارن المجلات المذكورة لعلم اللّغة، فيبحث من النّاحية الصوتية الأصوات الموجودة في هذه اللّغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة محاولا التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التّي طرأت على مدى الزّمن، ومن نّاحية بناء الكلمة يتناول علم اللّغة المقارن كل ما يتعلق بالأوزان والسوابق واللواحق ووظائفها المختلفة، كما يعدّ دراسته من حيث بناء الجملة مجالا ثالثا من مجالات البحث في المنهج المقارن، أمّا من النّاحية الدّلالية في اللّغات السامية كل ما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها[3].

### د/المنهج التقابلي :(Contrastive Method )

يعتبر من أهم وأحدث مناهج دراسات اللسانيات التطبيقية الحديثة، فميدانه تطبيقيا بحت يهدف إلى المقابلة، ويعتمد على المنهج الوصفي، موظفا نتائج بحوثه في مجال علم اللّسان التطبيقي[4]، وظهرت في الآونة الأخيرة دراسات في العربية تعتبر بدايات مهمة في الدراسات التطبيقية الخاصة بهذا المنهج [5]، فموضوع علم اللّغة التقابلي هو المقابلة بين نظامين لغويين مختلفين هما بالتحديد النظام اللّغوي للغة الأولى، والنظام اللّغوي للغة المنشودة، وقد تجنبنا هنا استخدام كلمة المقارنة لئلا يختلط علم اللّغة التقابلي وعلم اللّغة المقارن، فالمنهج المقارن يقارن اللّغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة،ويهتم بالاستخدام الأقدم للوصول إلى اللّغة التّي خرجت عنّها كلّ هذه اللّغات فهدفه تاريخي، أمّا علم اللّغة التقابلي فلا شأن له بهذه الاهتمامات التاريخية ودراساته ذات هدف تطبيقي في تعليم اللّغات، ولذلك فالدراسة

[1] اللسانيات النشأة والتطور،أحمد مومن،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط2؛2005،ص 08.

[2] مدخل إلى علم اللّغة،محمود فهمي حجازي،ص: 20.

[3] ينظر : المصدر نفسه، ص:20-21.

[4] علم اللسانيات الحديثة،عبد القادر عبد الجليل،ص: 132.

[5] ينظر :علم اللّغة التطبيقي في المجال التقابلي، زهران البدراوي، دار الآفاق العربية، ط1.

التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين بهدف التعرف على الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين النظامين اللّغويين[1] .

وكما يشمل دراسة لهجة محلية واللّغة الفصحى داخل لغة واحدة بهدف تيسير تعلم الفصحى وتذليل الصعوبات التّي تواجه من يتعلمون الفصحى من أبناء هذه اللهجة[2]، يضاف إلى هذا إمكانية الإفادة من المنهج التقابلي في مجال الترجمة، وتقديم أهم أوجه الشبه والاختلاف، وأهم الخصائص لكل من اللغتين موضوع الترجمة ممّا يساعد في إيجاد المكافئ في حالة الترجمة[3].

## III. واقع اللسانيات في الكتابات العربية المعاصرة :

للسانيات (Linguistique –linguistics) تسمية حديثة نسبيا لمعرفة قديمة ضاربة في جذور الحضارة والفكر الإنسانيين، فقد ارتبطت بالتفكير الأوّل في المسألة اللّغوية باحثة ومستكشفة خصائص اللّغات في بناها الصوتية والصرفية والتركيبية والمفردات خدمة لأغراض اجتماعية أو دينية[4]، ثمّ تطورت هذه المعرفة مكتسبة طرائق منهجية في التعامل مع ظواهر متعددة في اللّغات مع نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا وبداية القرن العشرين أطلق مصطلح عام عرف باللّسانيات يعنى بدراسة اللسان البشري دراسة علمية موضوعية،ا كتشفت مع "فردينان دي سوسير" وتلامذته من أعلام البنيوية الشكلية بخاصة "لويس يلمسلف"(Louis Almsilv) صفة المثولية، والاستقلالية عن سائر العلوم الأخرى، فغدت علما واصفا للنسق اللساني باعتباره معطى بشري خارج عن عرف التاريخ وحتميته[5]، أمّا إذا انتقلنا إلى مسار هذا العلم المهم إلى فضاء التفكير العربي الحديث أو ما يعرف باللسانيات العربية ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلفات والدراسات اللسانية العربية التّي ألفها لسانيون عرب منذ منتصف الأربعينيات من القرن العشرين، وفيها تبنوا مناهج النّظر اللساني الغربي الحديث[6].

---

[1] ينظر : مخل إلى علم اللّغة، محمود فهمي حجازي،ص: 25

[2] العربية وعلم اللّغة الحديث، محمد محمد داود، ص: 101.

[3] نحو علم الترجمة، يوجين نيدا، تر: ماجد النجار،وزارة الإعلام الجمهورية العراقية ؛ 1976، ص: 76.

[4] مدخل إلى علم اللسان الحديث،عبد الرحمان الحاج صالح،مجلة اللسانيات،مركز البحوث وترقية اللّغة العربية،جامعة الجزائر، ع1، مجمع 2؛1972،ص:31.

[5] الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية–دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي–للمنهاج اللسانية الحديثة،نعمان عبد الحميد بوقرة، عالم الكتب الحديث،الأردن؛2011،ص:14.

[6] نشأة الدرس اللساني العربي الحديث،فاطمة الهاشمي بكوش،ايتراك للنشر والتوزيع،مصر،ط1؛2004،ص:12.

ولا شكّ أنّ البدايات ترجع إلى بداية الاتّصال بالحضارة الغربية في العصر الحديث بدأ من عصر النهضة في بلاد الشام ومصر على وجه التحديد مثّلها "رفاعة الطهطاوي" بعد رحلته إلى أوروبا، ففي المجال اللّغوي بالذات أثار المسألة اللّغوية في مستوى الاهتمام بدراسة اللّغات بالإضافة إلى كتابات "جورجي زيدان" الذّي نشر كتابين في اللّغة هما(الفلسفة اللّغوية والألفاظ اللّغوية) و (اللّغة العربية كائن حي) محاولا فيهما عرض آراء علماء اللسان الغربيين عن طبيعة اللّغة و وظيفتها وطرق تحليلها والاستفادة من ذلك في دراسة اللّغة العربية[1]، ثمّ بدأت تظهر صوّر النشاط اللساني من خلال حركة التأليف التّي تنوعت بين مصنفات عنيت بدراسة مستويات اللّغة العربية في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة، وأخرى حاولت تقديم اللّسانيات الغربية للقارئ العربي،ثم تلك التي كرست لنقد النحو العربي من وجهة النّظرة الحديثة وبين حركة الترجمة التّي لم تكن واسعة[2].

وهذه كلّها تصنيفات لا تكاد تختلف في مضمونها حيث تجمع على أنّ الكتابات اللّسانية العربية المعاصرة إمّا كتابات لسانية تمهيدية تعرف باللسانيات واتجاهاتها وأعلامها،أو لسانيات تراثية تتخذ التّراث اللّغوي العربي موضوعا لها،أو أنها لسانيات عربية تتخذ ظواهر من اللّغة وتدرسها[3]، وعلى الرغم من المساهمة الفعالة في مجال البحث اللساني إلى أنّه يوجد عقبات، وعوائق تواجه الخطاب اللساني العربي، وكتاباته ردّها "مصطفى غلفان" إلى عاملين اثنين هما: هيمنة التّراث على العقلية العربية وحضور الغير في حياتنا الفكرية والغير هنا الغرب[4]، بالإضافة إلى العقبات المنهجية التي عرقلت الكتابات اللّسانية العربية.

**أزمة المناهج في الكتابات اللسانيات العربية المعاصرة:**

إنّ الإشكالية الحديثة ليست البحث عن خلفيات المناهج اللسانية فقط كونها تقوم على سند فلسفي قبل أن تكون مجرد إجراء عملي، بل الإشكال هو كيفية تقديمها للقارئ ضمن الكتابات اللّسانية العربية، دونما شرحها له أو إلقاء الضوء عليها وليس على تطبيقاتها ونتائجها، ولعلّ هذا ما جعل قضية المناهج تعدّ من القضايا الشائكة التي

[1] العربية وعلم اللّغة البنيوي،حلمي خليل،دار المعرفة الجامعية، 1998،ص:139.

[2] نشأة الدرس اللساني العربي الحديث،فاطمة الهاشمي بكوش،ص:22.

[3] ينظر: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات،حافظ إسماعيل علوي وأمحمد الملاخ،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2009، ص:282-283.

[4] اللسانيات العربية الحديثة –دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية–،مصطفى غلفان، جامعة الحسن الثاني عين الشق،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، ص: 21.

كانت، وما تزال تحظى باهتمام الكثير من أهل الدراية في مجال البحث[1]، وعليه يمكن أن تتحدّد الإشكالية في عدم محاولة اللّسانيون العرب تصفية هذا المنهج من شوائب انتمائه لتربته الأصلية حين الاستعانة به لمقاربة نصوص في تربة ثقافية عربية، لذا فالمتتبع للسانيات في الكتابات العربية الحديثة، يجد أنّ المناهج المستخدمة غربية الأصل صنفت وفق ثلاث اتجاهات:

**أ) اتجاه بنيوي وصفي :**

بدأت بواكير المنهج الوصفي في الظهور إلى ساحة الثقافة العربية في فترة اتصال العرب بالغرب كما سبق وأشرنا، حيث حاول اللّغويون العرب تأليف كتب في هذا الاتجاه من أجل نشر ما تعلموه في البلاد الغربية وتقديم جملة من المفاهيم التي قدمتها اللسانيات البنيوية[2]، وأهم أعلامها "إبراهيم أنيس"، وتمام حسان، ومهدي المخزومي إلّا أنّهم وجدوا صعوبة في توضيح أفكارهم نظرا لعدم تقبل بعض الدارسين لهذه المناهج باعتبار ما قدّمه التّراث أمثال:"سيبويه "و"الجرجاني" لا يحتاج لإعادة قراءة أو تصويب، ثمّ نتج عن هذا الصراع المعرفي اتجاه جديد يمكن تسميته لسانيات توفيقية تتبنى أنموذجا وصفيا يمزج المقولات النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النحو العربي وكان الموقف الأساس في اللسانيات العربية[3]، لكن أهم الإشكالات التي واجهت الكتابات الوصفية:

1- عدم تحديد المصادر وأسس النظرية والمفاهيم المنهجية توضيحا كافيا
2- الانتقائية في التعامل مع النظريات اللسانية الوصفية
3- السطحية في تداول المفاهيم والمبادئ اللسانية الوصفية[4]

**ب) اتجاه توليدي تحويلي :**

انتبه إلى أهمية هذه الدراسات أكثر من واحد من المثقفين العرب، وذلك في بداية السبعينيات من القرن العشرين فظهر ما يعرف بالكتابة اللّسانية التوليدية العربية[5]، التي واكبت بعض التطورات اتسمت بتعدّد مصادرها وأصولها واختلاف النماذج التوليدية التّي تمّ من خلالها النظر إلى قضايا اللّغة العربية، ونتج عن هذا التعدد جملة من

[1] إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر،عبد الغني بارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛2005، ص:133.

[2] نشأة الدرس اللساني العربي الحديث،فاطمة الهاشمي بكوش،ص:23.

[3] اللّغة العربية واللسانيات الحديثة،حيدر سعيد،مجلة الأديب المعاصر،بغداد،ص:117.

[4] قضايا ابستمولوجية في اللسانيات،حافظ إسماعيل علوي وأمحمد الملاخ،ص:284..

[5] قضايا ابستمولوجية في اللسانيات،حافظ إسماعيل علوي وأمحمد الملاخ،ص:284..

التحاليل التي تتبنى وصف اللّغة العربية توليديا، وأبرز هذه المحاولات "عبد القادر الفهري" ومحاولة مازن الوعر[1]، كما أنّها أثرت البحث اللساني العربي من خلال التحليل العميق والشامل للغة العربية، إلّا أنّها كانت كتابات تعاني النقص من خلال الخلط بين النماذج اللسانية وعدم تقديم بحث توليدي كامل للغة العربية[2].

**ج) اتجاه تداولي وظيفي :**

اهتم "مصطفى غلفان" بتتبع مسيرة اللّسانيات الوظيفية وعرض لمصادرها الأساس، فوجد تلك المصادر موزعة بين المنطق والفلسفة اللّغوية وبعض النظريات الحديثة ومن خلال عرضه لتلك المصادر والأسس استنتج غياب أي اهتمام حقيقي بالدراسات التداولية العصرية في الثقافة العربية والمحاولة الوحيدة هي "طه عبد الرحمان" الذّي اهتم بالقضايا التداولية من وجهة نظر منطقية وفلسفية مستمدا وسائله النظرية والمنهجية من علمين حققا نتائج باهرة هما اللّسانيات والمنطق، وهذا ما أكسب هذه النظرية رؤية منهجية ناقدة تتم عن وعي كبير بأهمية المنهج العلمي[3].

**خـــــاتمة:**

يتبيّن لنا ممّا سبق ذكره، والتطرق إليه في هذه المداخلة أنّ اهتمامنا بالمنهج اعتبارا لنتائجه خلق أزمة للكتابات اللّسانيات العربية المعاصرة كانت في أساسها عدم الوعي بماهية المنهج، وليس إهمال خلفياته الإبستيمولوجية(Épistémologie) فقط، حيث كانوا يعتمدون المنهج كأدوات إجرائية أو وسائل تتاح للدراس، ولكنه أدوات إجرائية، فهو بمثابة القالب الذّي يؤتثر به لوضع النّص بداخله بغرض تجريبه، ولذلك كانت هذه الدعوة من المظاهر السلبية للانفتاح غير المشروط على الآخر، فتهافت الدارسون العرب على المناهج واكبه إهمال الخلفية الابستمولوجية التّي تقف وراءها بدعوى أنها مجرد إجراءات مستقلة عن الفضاء الفكري الذي نشأت فيه.

فتحديد المنهج يقتضي تحديد الموضوع، إذ أنّ هناك ضرورة منطقية تجبر صنفا لسانيا على استخدام منهج مخصوص، وهو يتناوّل بالدراسة الموضوع الذّي ارتضيناه، ومن هذا المنطلق ربط الدارسون بين اتجاهات البحث

---

[1] بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،عبد الرحمان الحاج صالح،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،(د.ط)؛2007، 1/ص:229..

[2] اللسانيات العربية الحديثة –دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية–،مصطفى غلفان،ص: 235.

[3] قضايا ابستمولوجية في اللسانيات،حافظ إسماعيل علوي وأمحمد الملاخ،ص292.

اللّساني العربي، وبين مناهجها فكان عمله بذلك في صميم البحث الابستمولوجي القول بأنّ طبيعة الموضوع هي التّي تحدّد المنهج.

وفي الأخير نقول بأنّ العمل المنهجي النّاتج عن الحضارة الغربية نعاني من شيء في تطبيقه على النّصوص العربية إذ لا توجد هناك عوامل تؤطر هذا التحليل؛ وفي نفس الوقت هذه التحاليل الّتي تقارب النّص لا توجد له آليات وطرق خاصة نستطيع الاستعانة بها في المقاربة النّصية؛ كما أنَّ المشكلة أكثر وأعم من هذا، وهيّ أنّها مشكلة إيديولوجية(Idéologie) فيجب أن تتضافر الجهود للنهوض بمستوى اللّسانيات في الثقافة العربية وتقويمها نظريا ومنهجيا حتّى لا يبقى البحث اللّساني في ثقافتنا ضربا من الأصداء وحتى لا تبقى اللّسانيات العربية لسانيات صامتة

ولعلّ هذا التحليل المقدم بالإضافة إلى ما تستفيض به قرائح الأساتذة الّذين استطاعوا مقاربة هذه النّصوص بتعدّدها بين القديم والحديث والمعاصر تكسب الطالب إجراءات جزافية للتحليل، وتمنحه طريقة معالجة جريئة، وهنا يصب الهدف كلّه في منح الطالب الجامعي آليات متعدّدة تمكنه من مقاربة النّص وفك شفراته.

❖ **ثبت مصادر و مراجع البحث:**

1. إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، عبد الغني بارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛2005.

2. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمان الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د.ط)؛2007.

3. الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية–دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي–للمنهاج اللسانية الحديثة، نعمان عبد الحميد بوقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن؛2011.

4. الطراز المتضمن لأسس البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، القاهرة ؛ 2،1914.

5. العربية وعلم اللّغة الحديث، محمد محمد داود، دار غريب، مصر؛2001.

6. علم اللسانيات الحديثة،عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، الأردن، ط1؛ 2002.

7. علم اللّغة التطبيقي في المجال التقابلي، زهران البدراوي، دار الآفاق العربية، ط1.

8. علم اللّغة، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، ط7؛ 1972.

9. قضايا ابستمولوجية في اللسانيات،حافظ إسماعيل علوي وأمحمد الملاخ،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2009.

10. اللسانيات العربية الحديثة –دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية–،مصطفى غلفان، جامعة الحسن الثاني عين الشق،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4.
11. اللسانيات النشأة والتطور،أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2؛ 2005.
12. لسان العرب،جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.
13. اللّغة العربية واللسانيات الحديثة،حيدر سعيد،مجلة الأديب المعاصر، بغداد.
14. مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، نور الهدى لوشن،جامعة الشارقة، القاهرة، ط2؛ 2006.
15. مدخل إلى علم اللسان الحديث،عبد الرحمان الحاج صالح،مجلة اللسانيات،مركز البحوث وترقية اللّغة العربية،جامعة الجزائر، ع1، مجمع 2؛1972.
16. مدخل إلى علم اللّغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
15. معجم الوسيط،مجمع اللّغة العربية،القاهرة،2.
16. مقدمة في علم اللّغة، زهران البدراوي، دار المعارف،مصر،ط2؛ 1786.
17. مناهج البحث اللّغوي،عبد الرحمان بدوي،دار النهضة العربية،القاهرة؛1963.
18. منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1؛ 1986.
19. نحو علم الترجمة، يوجين نيدا، تر: ماجد النجار، وزارة الإعلام الجمهورية العراقية؛ 1976.
20. نشأة الدرس اللساني العربي الحديث،فاطمة الهاشمي بكوش،ايتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1؛ 2004
21. النظرية اللّغوية في التراث العربي، محمد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للنشر والتوزيع، مصر، ط1؛ 2006.

**مواقع الأنترنت**

22. الموقع على الرابط التالي www.startimes.com/.
23. رشيد أعرضي موسوعة البحوث في شتى الميادين، مرجع ثقافي شامل الموقع على الرابط التالي الموقع على الرابط التالي encyclopediaarabia.blogspot.com/ .

# النّظرية التّوليدية التّحويلية:من بدايات التّأسيس إلى التّرسانة المفاهيمية.

**د. محمد حدوارة**

**جامعة ابن خلدون – تيارت.**

**ملخص البحث:**

جاءت النظرية التوليدية التحويلية، لتصنع اسما معروفا بين المدارس اللسانية،كما حظيت بمكانة مهمّة بين المدارس الحديثة. بعيدا عن الوصف، ركّزت على الجانب التّحليلي والتّفسيري، لتعطينا نظرة شمولية على بنية اللغة وميزاتها الإنسانية وعلاقتها بالفكر والعقل الإنساني.

**Résumé** :

La théorie générative Transformationnelle est venu pour faire un nom connu entre les école linguistique .Elle a un statut important entre les autres écoles moderne .Hors la description, elle a concentré sur l'aspecte analytique et explicatif, pour donner une vision globale, sur la structure de la langue et sec caractéristiques humain avec ses relations par la raison et la pensée humaines.

**توطئة:**

لقد استطاعت النظرية التوليدية التحويلية،التي أخرجها- من القوة إلى الفعل- اللساني الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي**Avram Noam Chomsky** أن تستفيد من الدراسات اللسانية السابقة، التي اهتمت بالدرس اللغوي.بدءا من لسانيات دوسوسير**Ferdinand de saussure** (**1857-1913**) مرورا على المدرسة السلوكية النفسية، التي تزعمها اللسان الأمريكي ليونارد بلومفيلد **Leonard Bloomfield**(1887-1949)؛ وصولا إلى المدرسة التوزيعية ،التي تزعمها أستاذه الرائد زيليغ هاريس**Zellig Harris**(**1909-1992**).إن كل النظريات، التي جاءت بها المدارس اللسانية ،وهي تعالج اللغة كبنية و نظام تواصلي، غربلها نعوم تشومسكي ونقدها، ليخرج لنا نظرية جديدة ومغايرة للنظريات السابقة، تمتلك ترسانة مفاهيمية، سنتطرق إليها في هذه الورقة البحثية.

## I)–التعريف بشخصية نعوم تشومسكي:

### 1)– المولد والنشأة:

يعد أفرام نعوم تشومسكي**Avram Noam Chomsky**، المؤسس والأب الروحي لهذه النظرية،ولد في السابع من ديسمبر عام 1928 في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، لوالد كان يدعى وليام تشومسكي**Chomsky William** (1897–1976م)، هاجر من روسيا عام 1913م بغية التهرب من تجنيده في صفوف الجيش القيصري،ليصبح فيما بعد العالم البارز في مجال اللغويات.تلقّى تشومسكي تعليمه في إحدى مدارس ديوايت، التي كانت تشتهر بتقدمها في أساليب التعليم.كان صبيا غضًّا في فترة الكساد الاقتصادي الكبير، الذي اجتاح الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي 1929–1939،حيث تأثّر عظيم التأثير بما شاهدة من عمليات القمع، التي مارستها السلطات الحكومية لإفساد الإضرابات، التي قام بها العمال،فضلا عن الامتهان واليأس والقنوط، الذي كان العمال يتجرعونه وطالما أفضى بهم إلى التهوّر.

تتلمذ تشومسكي في جامعة بنسلفانيا على يد زيليج هاريس**Zellig Harris(1902–1992)** أستاذ اللغويات،الذي كان من شأن آرائه التحررية، التي كانت تصطبغ بصبغة شبه فوضوية أن تركت آثارها الواضحة على انتماءات تشومسكى ،حيث نبتت أعمال تشومسكي الأول في حديقة هاريس[1].تزوج من اللغوية كارول سكاتز عام 1949م،وكتب رسالة تخرجه، التي كانت تحمل عنوان **"دراسة التركيب الصوتي للوحدات الصرفية في اللغة العبرية الحديثة"** ،حيث كانت بمثابة محاولة لبناء قواعد النحو التوليدي،وحصل على درجة دكتوراه الفلسفة في اللغويات عام 1955،تم تعيينه أستاذا جامعيا بقسم اللغويات واللغات الحديثة، الذي أصبح اسمه الآن **"قسم اللغويات والفلسفة"**،بمعهد ماستشوس للتكنولوجيا عام 1961 . في عام 1965م نظم لجنة من المواطنين الأمريكيين العاديين وأعلنوا رفضهم دفع الضرائب احتجاجا على الحرب في فيتنام، ثم نشر أول كتاب سياسي له يحمل عنوان" **القوة الأمريكية والمانداريون الجدد"**. طبقت شهرة تشومسكي الآفاق، كناقد للظلم الاجتماعي في كافة مظاهره وأشكاله.

### 2)– الأعمال والمؤلّفات:

جسّد تشومسكي أفكاره و أبحاثه اللغوية في مقلاته وكتب، نشرها في أزمنة متقاربة، أثرت و أفادت اللسانيين في مجالات عدة،والتي نذكر منهانذكر منها[2]:

---

(1) محمد محمود غالي.أئمة النحاة في التاريخ.دار الشروق،جدة– السعودية،ط1؛1979، ص:9–13.

(2) نعمان بوقرة.المدارس اللسانية العاصرة.مكتبة الآداب،القاهرة،دط؛2003 ، ص:129.

| الرقم | عنوان الكتـــــاب | سنة التأليف |
|---|---|---|
| **01** | البنى التركيبية أو التراكيب النحوية. | 1957 |
| **02** | ملامح النظرية التركيبية . | 1965 |
| **03** | اللسانيات الديكارتية 1966. | 1966 |
| **04** | اللغة والفكر . | 1966 |
| **05** | الأنماط الصوتية في اللغة الانجليزية. | 1968 |
| **06** | مشاكل المعرفة والحرية. | 1971 |
| **07** | دراسات الدلالة في القواعد. | 1972 |
| **08** | البنية المنطقية للنظرية اللسانية. | 1975 |

**– جدول توضيحي لأهم مؤلّفات تشومسكي–**

**II)– أصول ومبادئ المدرسة التوليدية التحويلية:**

**1)– أصولها المعرفية:**

من الواضح أنّ تشومسكي، أقام هذه النظرية مرتكزا على أسس عقلية منذ أن نشر كتابه الموسوم بـ: **"التراكيب النحوية"** سنة 1957،حيث سعى إلى إقامة نظرية عامة للغة،تصدر عن اتجاه عقلي؛لأن اللغة عنده عمل عقلي، يتميز به الإنسان عن الحيوان.وقد تأثّر بالفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارتRené Descartes(1596-1650) في القرن السابع عشر،و الذي أصلّ فكرةالطابع الإبداعي والخلاق في اللغةأثناء تفريقه بين الإنسان والحيوان،و على ها الأساس يقول:"لا يوجد كما هو جدير بالملاحظة أي إنسان مهما بلغت درجة بلادته أو غباوته إلا ويستطيع أن يركب كلمات متنوعة في تركيب واحد،وأن يؤلف خطابا يعبر من خلاله عن أفكاره،وعلى العكس من ذلك لا يوجد آي حيوان آخر يقوم بذلك"[1].

إن نظرة تشومسكي العقلية للغة، وأنها خاصة بالجنس البشري فحسب،تسير بنا إلى نقطة مهمة ،وهي قضية اكتساب اللغة وتعلمها. لكن تشومسكي لا يسلم بالنظرية السلوكية في اكتساب اللغة،حيث يرى"أن النظرية السلوكية

[1] المرجع نفسه، ص: 130.

للاكتساب غير قادرة على تفسير هذه القضية،وتقف عاجزة عن تفسير هذه القدرة، التي تمكن الطفل من بناء جمل نحوية"[1].

كما يذهب بأن الإنسان قد وهب ملكة لغوية أو قدرة لغوية.ويرى بأن الطفل يولد مزودا بقدرة دقيقة من الأصول النحوية الكلية، التي تمكنه من التعرف على ما يسمعه من كلام يتردد من حوله،وهذه الأصول اللغوية الكلية هي جزء مما نسميه العقل،وقد ظهرت هذه الفكرة واضحة جلية في كتاباته الفلسفية وبخاصة في كتابه الموسوم"**العقل وعلم اللغة الديكارتي،وملامح النظرية النحوية**".

وكما تأثر تشومسكي بأفكار ديكارت، فقد تأثر كذلك بأفكار الفيلسوف الألمان فيلهلم فون همبلوت**Wilhelm Von Humoldt** (**1767–1835**) صاحب فكرة الجانب الخلاق في الغة ،حيث يرتبط الجانب الخلاق بالعقل، الذي يمتلكه الإنسان فحسب،على عكس العمل الحيواني، الذي نعته بالآلي إذ يرى أن اللغة عمل العقل ، لابد أن تصدر من الداخل وليس عن السطح،وأن هذه اللغة ذات شكلين:داخلي وخارجي؛فالشكل الداخلي عضوي متلاحم، وينتج عما يسمى بالبنية العميقة للغة،وهذه النظرة نابعة من نظرته إلى الطبيعة الإنسانية والحرية الفردية،فالطبيعة الإنسانية ليست خاضعة للعوامل الخارجية إنّما تتطور من داخلها،وهذا التحرّر من العوامل الخارجية يقود إلى العمل الخلاق، الذي يصدر بدوره من الداخل أي من البنية العميقة للغة.

وكما كانت الآراء الفلسفية والعقلانية هي المصدر الذي ارتكز عليه تشومسكي، فإنه أيضا قد تأثّر بالنحو التقليدي؛لأنه في رأيه أكثر اقترابا من الطبيعة الإنسانية في دراسة اللغة،ومما لا شك فيه استفادته من بعض أفكار المدرسة البنيوية،ويرى **تمام حسان**(**1918–2011**):"أن النحو التحويلي قد انسدل من النحو التوزيعي"[2] [3]،مع التنويه إلى أن تشومسكي قد وزان بين تعاليم بلومفيلد،وهمبلوت، ودي سوسير، ومنطقية بوريال، والمنطق الرمزي، وعلم النفس، منتهيا بالعقلانية في فهم اللغة.

وربما يكون تشومسكي، قد تأثّر بعلماء العربية ولاسيما بربط اللغة بالجانب العقلي، فإن من أبرز علماء العربية الذين ربطوا اللغة بالجانب العقلي **ابن جني**(**ت392هـ**)، و**عبد القاهر الجرجاني**(**ت471هـ**)، **والزمخشري**(**ت538هـ**).وكان الأبرز فيهم إمام البلاغة والنحو عبد القاهر الجرجاني.

**2)–أسس النظرية التحويلية:**

قامت نظرية التحويلية لدى تشومسكي وأتباعه على عدة أسس، ولعلّ أهمها:

أ)– التفريق بين القدرة والأداء[4].

---

(1) جون ليونز.نظرية تشومسكي اللغوية.تر:حلمي خليل،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية–القاهرة،1995ط1، ص:78.

(2) المرجع نفسه، ص: 120.

3 – المرجع نفسه،ص:120.

(4) تمام حسان.إعادة وصف اللغة العربية. ألسنيات. ندوة اللسانيات واللغة العربية،تونس،1978، ص:90.

ب)- التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة،**فالبنية الظاهرة أو السطحية**:هي التركيب النحوي المسموع للجملة.**والبنية العميقة**:وهي التركيب الأصلي المخفي للجملة المسموعة المنطوقة،فمثلا: جملة **"كان محمد قائماً"** بنية سطحية محولة من بنية عميقة هي **"محمد قائم"**،وقد أشار العلامة **عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ)** إلى هذا النوع من البنية قبل علم اللغة الحديث[1].

ج)-اعتبار الجملة الوحدة اللغوية الأساسية[2].

د)- القدرة اللغوية هي من طبع الإنسان وليست مكتسبة.

## III)- الترسانة المفاهيمية للاتجاه التوليدي:

تسعى كل نظرية جديدة إلى إثبات مكانتها ضمن الساحة المعرفية ،التي تشتغل فيها،وذلك بتبني جملة من المفاهيم الجديدة، التي تمنحها التفرّد والتميّز من جهة،وتشكيل سند تقوم عليه ويكسبها مقبولية علمية من جهة أخرى.وهذا ما فعلته النظرية التوليدية، التي استطاع مؤسسها وضع جهاز مفهومي ضخم،يعد مرجع في الدرس اللساني، ومن هذه المفاهيم نجد:

### 1)- مفهوم القدرة/الكفاية Competence:

لقد حدّد العالم اللّغوي نيكولا رويت الكفاءة قائلا:"كل إنسان بالغ يتكلم لغة ما،قادر في كل لحظة أن يصدر بشكل تلقائي،أو أن يتلقّى ويفهم عددا لا متناهيا من الجمل التركيبية لم يسبق له فقط أن نطق بمعظمها أو سمع بعضها،كل إنسان يتكلم، يملك إذن بعض القدرات الخاصة جدا، التي أن نسميها كفاءة"[3].من خلال هذا القول،يظهر جليا أن الكفاية/القدرة: هي معرفة المتكلم- المستمع المثالي الضمنية بلغته منذ الطفولة، والتي تسمح له بتوليد جمل جيدة لم يسبق له أن سمع بها ، فتشومسكي ينعتها بأنها مفهوم مجرد،قائم في الذهن،إذ تعد بمثابة نظام مجرد – مكون من قواعد تحدّد الشكل والمعنى الأصلي، لعدد غير متناه من الجمل الممكنة.

إنّ الهدف الرئيس من دراسة القدرة اللغوية في وضع منظومة من العناصر المترابطة (نسق) من القواعد تساعد على توليد واستنباط كل العبارات أو الجمل في اللغة.وهذا النسق من القواعد،يقوم على ثلاث ركائز:المستوى التركيبي، والمستوى الفونولوجي، و المستوى الدلالي.

---

(1) عبد الله أحمد جاد الكريم.الدرس النحوي في القرن العشرين.ص:242.

(2) سامي عياد حنا،معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان،ط1؛1997ص:34.

(3) المرجع نفسه، ص: 242.

## 2)–الإنجاز اللغوي/الأداء الكلامي Performance:

يقصد بالأداء/الإنجاز:مدى أمانة الترجمة الفعلية لتعليمات القواعد أثناء إنتاج الكلام المحقق او فهم المسموع من الكلام. إن الأداء الكلامي هو الاستعمال الفعلي للقدرة اللغوية،أي تحقيق الكفاءة اللغوية في جمل وأقوال يمكن ملاحظتها بكيفية مباشرة ملموسة،غير أن هذا الإنجاز يبقى نسبيا لاختلافه من شخص لآخر حسب اختلاف موضوع الكلام ومكانه،وثقافة الفرد،ومحيطه الاجتماعي والنفسي،كما يتأثر بعوامل خارجة عن نطاق اللغة، كالانتباه،التعب،الانفعال،والذاكرة.

## 3)– البنية السطحية والبنية العميقة structure superficielle et structure profonde:

من بين المصطلحات التي استخدمها تشومسكي ،مصطلحي البنية السطحية **structure superficielle** والبنية العميقة**structure profonde** ،وكلاهما يشكل مفتاحا من مفاتيح التوليدية التحويلية:

### أ)– البنية السطحيةstructure superficielle :

تعرف البنية السطحية بأنّها ذلك التمثيل الصوتي للجملة[1]، أي أنّها البنية الظاهرة للعيان عبر توالي الكلمات وانتظامها في سلك الجملة[2] من حيث النطق.فهي التركيب اللفظي المشاهد الخاضع ،لتسلسل نحوي معين .يقول التهامي الراجي:"هي في اصطلاح التوليديين بنية الجملة كما هي منجزة فعلا،هي إذن البنية المرئية، الملاحظة التي يمكن أن توصف مثلا بألفاظ"المكونات الاولية".نسنشف مما سبق أن البنية السطحية تمثل الحالة النهائية والأخيرة في التاريخ التحويلي للتوليد.

### ب)– البنية العميقة structure profonde :

هي البنية التي يتحدّد في مدارها المعنىsens ،بل ويظهر جليا للمتلقي،ومما يميّز البنية العميقة أنّها موحدة ومشتركة بين جميع اللغات البشرية،وهي وهي مجرد إنعكاس لما ينطوي عليه الفكروهي:

- بنية مولّدة في قاعدة التركيب بواسطة إعادة الكتابة والقواعد المعجمية.
- بنية تمثل التفسير الدلالي للجملة.
- بنية يمكن لها أن تحول بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية[3].

## 4)– الكليات اللغوية:

---

(1) حافظ إسماعيلي علوي وأحمد الملاخ. قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات.الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان، ط1؛ 2009 ص:96.

(2) ينظر:ميشال زكريا.الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2 ؛ 1986، ص:163.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص: 164.

يعد هذا المفهوم،المرتكز الذي تستند عليه النظرية التوليدية، ذلك أن الهدف من الاتجاه التوليدي عامة — حسب تشومسكي – معرفة الآليات والعلاقات الجامعة والموحدة بين الأنحاء الخاصة والرابطة فيما بينها في إطار ما يسمى ب "**النحو الكلي**"، الذي يفيد وجود علاقة وثابت مشترك بين جميع الأنحاء المختلفة، وقد قسّم تشومسكي الكليات إلى :كلّيات مادية ديدنها معرفة السمات المشكِّلة للمادة لوصف اللغات، وكلّيات شكلية تتعلق بأنماط وظواهر القواعد النحوية،وإمكانات ربطها حتى نتمكن من الوصول إلى الجملة النووية الحاوية للقاعدة النحوية المشتركة بين جميع الأنحاء.

## IV)– طرق تحليل الجملة في النحو التوليدي (البنى التركيبية):

يقول جون ليونز**John Lyons**:"إنّ أقصى ما يمكن أن تطمح إليه أي نظرية لغوية، هو أن تقدِّم لنا معيارا أو إجراء تقويميا يمكن عن طريقه أن يختار من بين الإجراءات أفضلها في التحليل اللغوي، ومعنى هذا أنّنا لا نستطيع الحكم بأنّ وصفا معينا، لمادة لغوية هو الوصف بشكل مطلق، وإنّما نستطيع القول، بأنّ هذا الوصف أفضل أو أكثر صحّة من أي وصف آخر، لنفس المادة اللّغوية لا أكثر ولا أقل"[(1)].

وهذا ما أكّده الدكتور عبده الراجحي بقوله:"ليس هناك صواب مطلق في طريقة نحوية معينة، ولكن هناك طريقة أصح أو أفضل من طرق أخرى،"[(2)]. وعلى هذا فإنّ تشومسكي اقترح طريقة لتحليل الجمل، وحينما قام بتطبيقها وعنّ له قصور فيها طوَّرها في طريقة أخرى؛ معالجا فيها للقصور الذي عنَّ له في الطريقة السابقة،إلى أن انتهى تشومسكي باقتراح ثلاثة نماذج لتحليل الجملة، وهذه النماذج الثلاثة ،تمثِّل مرحلة الأولى من مراحل النظرية التوليدية التحويلية، وسوف نتطرَّق لها بشيء من التفصيل فيما يلي:

### 1)–النموذج الأول:[(3)]

يسمى هذا النموذج (نموذج القواعد النحوية المحدودة) **Finite State Grammar** ،وبدأت هذه الطريقة مع ظهور أول كتاب لتشومسكي "**التراكيب النحوية**" ؛وهذه الطريقة عبارة عن شكل شبيه بالآلة، التي تمرّ بعدد محدود من الحالات الداخلية المختلفة،ولنفرض أنَّ هذه الآلة تتحوَّل من حالة إلى أخرى عن طريق توليد رمز من الرموز (ليكن كلمة من الكلمات). وهذه الآلة تتضمن حالة أوليةوحالة نهائية،وبينهما عدد من الحالات، تنطلق من الحالة الأولية، فتعطي عند كل تحوُّل من حالة لأخرى كلمة، حتىَّ تصل الحالة النهائية،فالتتابع المنتج من الكلمات الناتجة، نسمِّيها جملة، وكل آلة من هذه الآلات، تحدِّد لغة من اللغات أو مجموعة من الجمل، التي يمكن أن تولد بهذه

(1) حافظ إسماعيلي علوي وأمحمد الملاخ.قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص:278.

(2) التهامي الراجي الهاشمي.توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف.دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ط1؛1986، ص:111.

(3) جونز ليونز،نظرية تشومسكي اللغوية ،ص:81.

الطريقة.وكلُّ لغة يمكن أن تولد من هذا النوع نسميها باللغة ذات الحالة المحدودة ،ويمكن التمثيل لنظام القواعد المحدودة بالجملتين الآتيتين:

- **الوَلَدُ قَرَأَ قِصَّةً.**
- **الرَّجُلُ قَرَأَ قَصِيْدَةً.**

بالمخطط التالي:

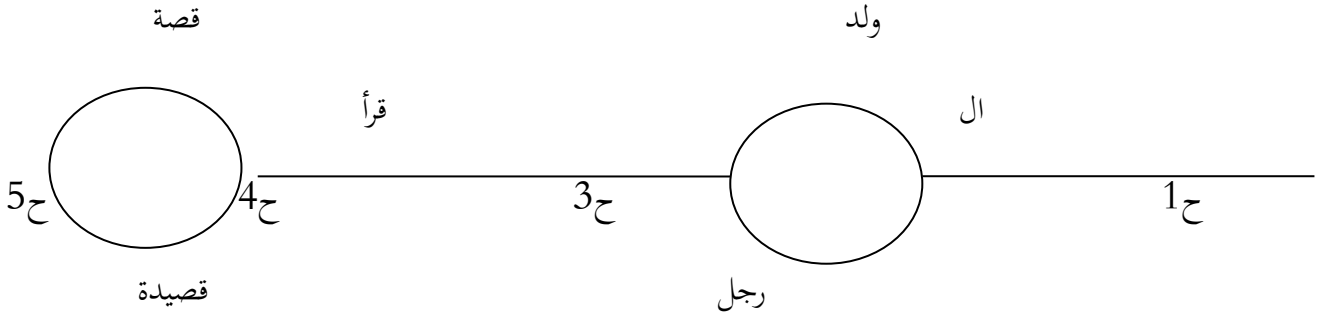


**– خطاطة توضّح القواعد النحوية المحدودة الحالات والمولّدة لمجموعة من الجمل المحدودة–**

ح1= حالة أولى، ح5 = حالة نهائية،وتتوسّطها باقي الحالات.

إنّ الخطاطة السابقة، تمثّل القواعد النحوية المحدودة الحالات، والتي لا تولّد سوى الجمل الآتية :

- **الوَلَدُ قَرَأَ قِصَّةً.**
- **الوَلَدُ قَرَأَ قَصِيدَةً.**
- **الرَّجُلُ قَرَأَ قِصَّةً.**
- **الرَّجُلُ قَرَأَ قَصِيدَةً.**

كما يمكن تمديد إنتاج تلك القواعد، لتعطينا جملا أخرى، بإضافة حلقات مغلقة إلى المخطّط السابق على النحو الآتي:

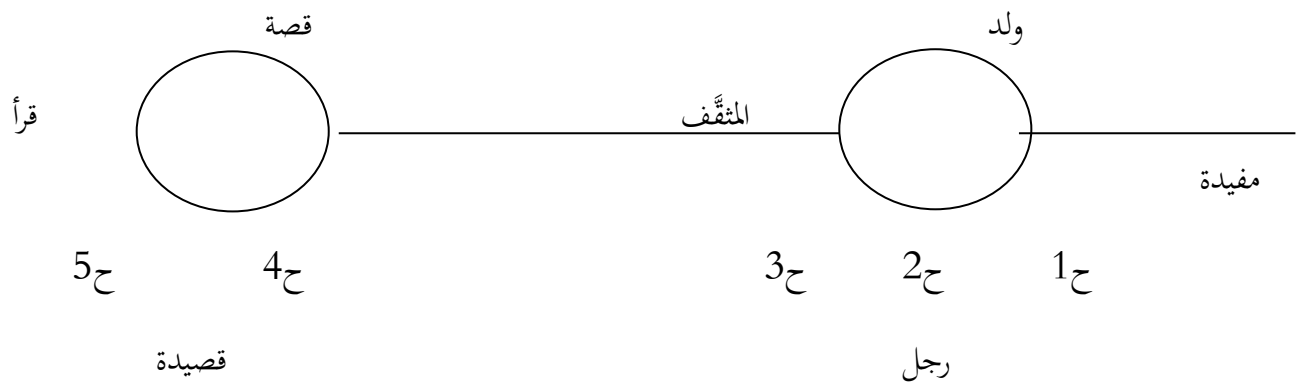


**- خطاطة توضّح القواعد النحوية المحدودة الحالات والمولّدة لمجموعة من الجمل المحدودة-**

إنّ الخطاطة السابقة، تمثِّل القواعد النحوية المحدودة الحالات، التي لا تنتج سوى الجمل الآتية:

- **الوَلَدُ الُمثَقَّفُ قَرَأَ قِصَّةً مُفِيدَةً.**
- **الوَلَدُ الُمثَقَّفُ قَرَأَ قَصِيدَةً مُفِيدَةً.**
- **الرَّجُلُ المُثَقَّفُ قَرَأَ قِصَّةً مُفِيدَةً.**
- **الرَّجُلُ المُثَقَّفُ قَرَأَ قِصِيدةً مُفِيدَةً.**

وقد وجد تشومسكي أن هذه الطريقة لا تصلح للتحليل الغوي لسببين هما:

- الجمل المتولِّدة عن هذه الطريقة محدودة، بينما اللغة تقدِّم جملا لا نهاية لها.
- أنَّ هذه الطريقة، قد تولد جملا غير صحيحة نحويا[1].

لذلك لم يعتد تشومسكي بهذه الطريقة، ويرى أنه لابدَّ من البحث عن طريقة أخرى [2].

## 2)- النموذج الثاني[3]:

تسمى هذه الطريقة "قواعد بنية العبارة"، وهي تتميَّز عن سابقتها بقدرة أكثر على التحليل،كما أنَّها تحلِّل العبارات والجمل بالعودة إلى مؤلفاتها المباشرة مثلما كان سائدا في المدرسة البنيوية السلوكية من

[1] الراجحي عبده.النحو العربي والدرس الحديث.دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، دط؛1979 ،ص:128.

[2] المرجع السابق،ص:103 -111.

[3] جونز ليونز.نظرية تشومسكي اللغوية، ص:107.

قبل.وهناك شبه واضح بين أقواس التحليل في هذا النموذج في هذا التحليل، واستخدام الأقواس في الرياضيات فمثال[1]:

س(ص+ع) عملية الجمع تسبق عملية الضرب.

أمّا إذا كانت المعادلة على الصورة الآتية:

س × ص + ع فإن عدم وجود أقواس، يعني أن عملية الضرب، تسبق عملية الجمع وبناء على ذلك فإن العمليات، التي سيتمّ بها الجمع والضرب في مثل هذه المعادلات، ستؤدِّي إلى اختلاف النتائج، التي نحصل عليها.

**مثال على ذلك:**

إذا كانت س=2،و ص=3،وع=4

فإن المعادلة الأولى:س(ص+ع)

= 2×(ص+ع)

=2×(3+4)

= 2×7

= 14

على حين أن المعادلة الثانية:س × ص + ع

=2 ×3+4

=4+6

=10

[1] المرجع نفسه، ص: 103.

ويرى تشومسكي أنّ هذه الطريقة، تساعد على فهم كثير من التراكيب النحوية، التي يكتنفها الغموض، ومثال على ذلك قولنا: "**مجلس البيت الكبير**..." فإن صفة "**الكبير**" لا نستطيع تحديد موصوفها أهو المجلس أم البيت؟ ولكن عن طريق الأقواس، نستطيع التحديد كما يلي:

- مجلس(**البيت الكبير**)...
- مجلس البيت(**الكبير**)...

وبناء على ذلك فإن صفة (الكبير) في الجملة (1) للبيت وفي الجملة (2) للمجلس.وقبل نشرع في عرض هذه الطريقة يجدر بنا أن نحدد معنى السهم ⟵ ،الذي استعمله تشومسكي فيما يلي:(⟵ )،هذا السهم ،يشير إلى إعادة كتابة الرمز الواقع على اليسار من السهم، بواسطة الرموز المتتابعة الواقعة على اليمين منه مثل A ⟵ B+C أي تحول A إلى B+C ومعنى ذلك أن A عبارة عن B+C ، والعكس في اللغة العربية، فإن علينا أن نعكس اتجاه السهم؛لأن طريقة الكتابة في اللغة الإنجليزية من اليسار إلى اليمين.أمّا في اللغة العربية، فهي من اليمين إلى اليسار،وعليه فإن السهم ⟵ ) يشير إلى إعادة كتابة الرمز الواقع على يمين السهم، بواسطة الرموز المتتابعة الواقعة على يساره[1]، مثل جملة مركب اسمي + مركب فعلي.

ويمكننا تحديد قواعد بنية العبارة، وهي كما يلي:

- جملة (S) ⟵ مركب اسمي + مركب فعلي.
- مركب اسمي (NP) ⟵ أداة تعريف +اسم.
- مركب فعلي (VP) ⟵ فعل + مركب اسمي.
- أداة التعريف (T) ⟵ ال.
- اسم(N) ⟵ رجل،كرة ،شجرة ...الخ.
- فعل (V) ⟵ ضرب،أخذ،كتب...إلخ.

فالقواعد من (1) إلى (3) قواعد تفريعية، تفرّع المستويات اللغوية الدنيا من المستويات اللغوية العليا،والقواعد من (4) إلى (6) قواعد معجمية، تقوم بتزويد المستويات اللغوية بالمفردات المعجمية.ويمكن تطبيق هذه القواعد على جملة مثل (المعلم شرح الدرس) كما يلي:

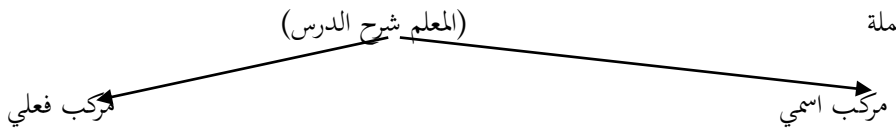


[1] الراجحي عبده.النحو العربي والدرس الحديث، ص:132- 136.

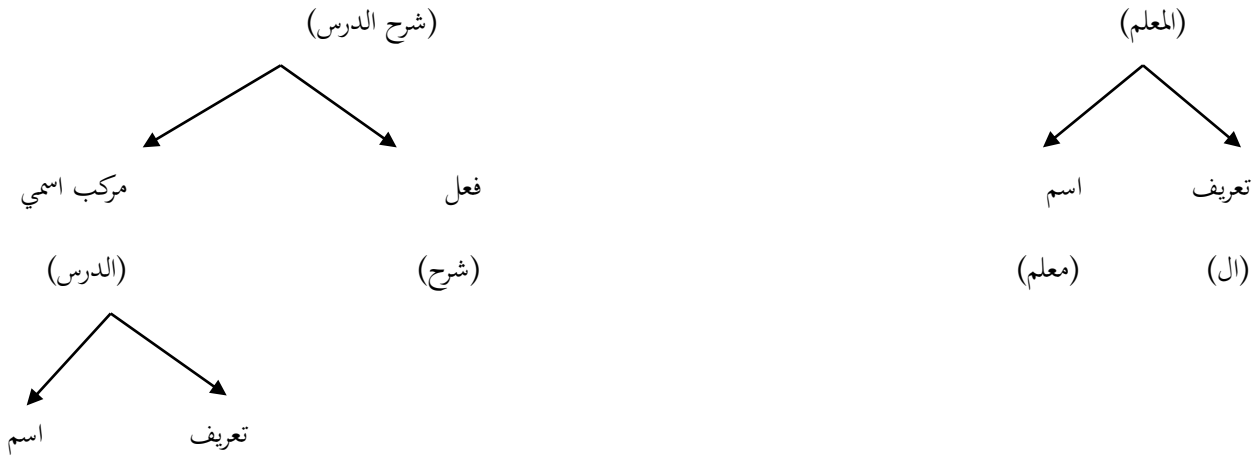


**– مشجّر توضيحي–**

كما يمكن تمثيل المشجّر السابق عن طريق الاشتقاق الآتي:

- **الجملة: المُعَلِمُ شَرَحَ الدَّرْسَ.**
- مركب اسمي + مركب فعلي.
- تعريف + اسم +مركب فعلي
- ال + اسم + مركب
- ال + معلم + مركب فعلي.
- ال + معلم + فعل + مركب اسمي
- ال + معلم + شرح + مركب اسمي
- ال + معلم + شرح + تعريف + اسم
- ال +معلم +شرح+ال+اسم
- ال+معلم + شرح+ال+درس

وهكذا نجد أن القاعدة(2) مشتقة من القاعدة (1)، والقاعدة (3) مشتقة من القاعدة (2)، والقاعدة(4) مشتقة من القاعدة(3)، ويستمر هذا الاشتقاق، حتى نصل إلى المكوِّنات النهائية للجملة، فتتكوَّن لدينا سلسلة لغوية نهائية.ويرى تشومسكي أنَّ هذه الطريقة، تتميَّز بالبساطة لذا فإنها تعجز عن تحليل الجمل الغامضة أو المعقَّدة.وكذلك الجمل، التي بينها عالقات متبادلة كالجمل المبنية للمجهول[1]، والجمل المشتركة في المعنى والمختلفة في المبنى،ورأى كذلك عدم صلاحيتها لوصف جميع اللغات.كل هذه

[1] المرجع السابق، ص: 117-119.

الأسباب دعت تشومسكي إلى التفكير في طريقة أخرى ذات قدرة على وصف اللغات وصفا دقيقا يتجنب فيه مظاهر الضعف والقصور التي ظهرت في الطريقتين السابقتين.

**3)– النموذج الثالث:**

وتسمى هذه الطريقة بـ (النموذج التحويلي) **Transformaytional Grammar** وترمي إلى تحليل البنية العميقة للغة أي الجانب العقلي لها،كما ترمي إلى تحليل البنية السطحية باعتبارها الجانب المادي المحسوس للبنية العميقة،ومن ثم فهي تحاول الوصول إلى عامل (الحدث) عند صاحب اللغة.وتقوم القواعد التحويلية بتحويل البنى العميقة **Deep Structures** إلى البنى السطحية **Surface Structures** وهذه البنى الأخيرة هي التي يتكلمها المتكلم، ويسمعها السامع[1].

والقواعد التحويلية نوعان،قواعد اختيارية يمكن تطبيقها أو عدم تطبيقها بمعنى أن الجملة تكون صحيحة نحويا بدونها كقواعد البناء للمجهول والنفي والاستفهام،وقواعد إجبارية لابد من تطبيقها،ولا تكون الجملة صحيحة نحويا بدونها،كقواعد العدد التي تتم المطابقة بها بين الفعل والفاعل،والمبتدأ والخبر،وقواعد النوع (التذكير والتأنيث) التي تتم المطابقة بها بين الفعل والفاعل ،والمبتدأ والخبر والصفة والموصوف...إلخ.

ونشير هنا إلى أنَّ القواعد النحوية، التي استعملها تشومسكي في هذه الطريقة، هي نفسها، التي استعملها في الطريقة السابقة"**قواعد بنية العبارة**"، مع شيء من التوسُّع وبعض التغيرات الطفيفة،وذلك على النحو الآتي:

- الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي.
- المركب الفعلي ← فعل+ مركب اسمي.
- المركب الاسمي ← مركب اسمي مفرد.
  ← مركب اسمي جمع.
- مركب اسمي مفرد ← أداة تعريف + اسم.
- مركب اسمي جمع ← أداة تعريف + اسم + عالمة الجمع.
- أداة تعريف ← ال.
- الاسم رجل .كرة.كلب ...إلخ.
- الفعل ⇐ فعل مساعد+الفعل.
- الفعل ← حدث +زمن (ضرب.حصل.أكل..إلخ).
- الفعل المساعد ← كان.

[1] جونز ليونز.نظرية تشومسكي اللغوية، ،ص: 129-130.

- زمن الفعل ← مستقبل.ماضي.حالي.
- صيغ الفعل ← (قاتل.اقتل.قتل.اخضر أدخل)

وقد مثَّل تشومسكي العمليات التّحويلية ،التي تتمّ في تحليل الجملة، بصناديق تتبع طريقة تحويل الجمل من التركيب العميق إلى التركيب السطحي كما في الشكل الآتي [1]:

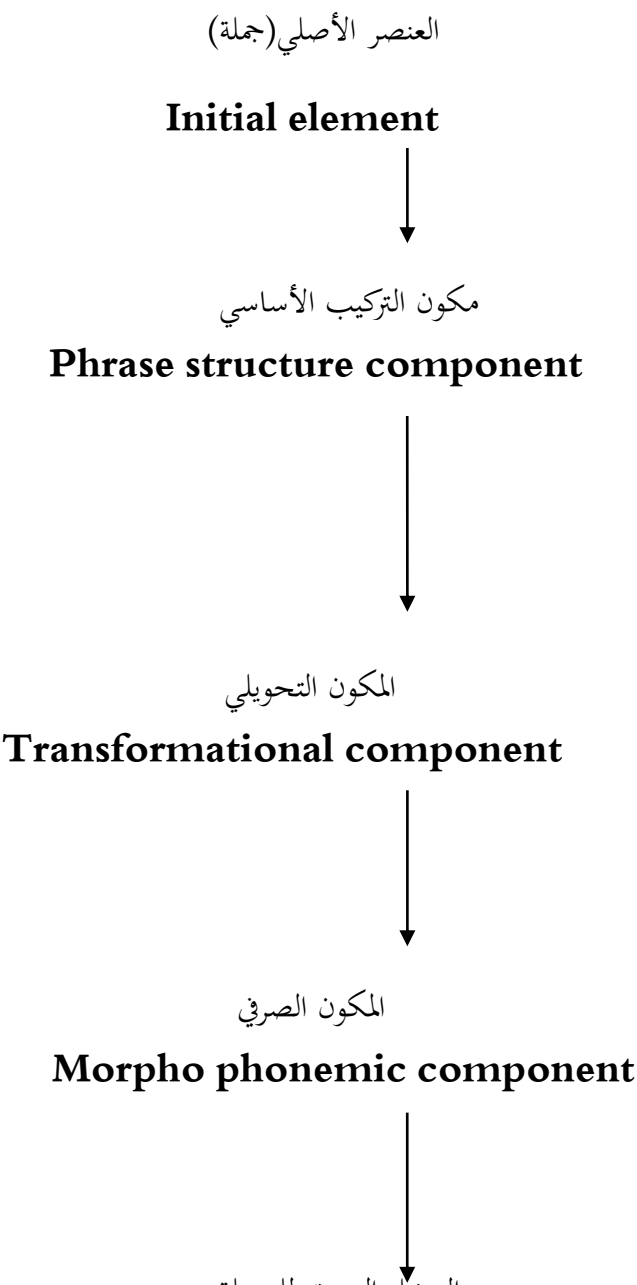


[1] المرجع نفسه، ص: 135- 165.

## Phonemic representation of sentence

### - خطاطة توضّح العمليات التحويلية التي تتم أثناء تحليل الجملة–

إنّ الصندوق الأوّل عبارة عن العناصر الأولية، التي يتولّد منها مجموعة السلاسل التحتية.أمّا الصندوق الثاني، فيمثل قواعد التّحويل الاختيارية والإجبارية،والصندوق الثّالث يقوم بتحويل الجمل من صورتها التركيبية،كسلسلة مكونة من كلمات ومورفيمات إلى الفونولوجية،كسلسلة مكونة من فونيمات[1]. فتظهر على الصورة الأخيرة في الصندوق الرابع ويمثل الصندوق الخامس الصورة الصوتية للجملة.

### IV)– مواضع الخلاف بين التوليديين التحويليين والبنيويين السلوكيين:

إنّ الاختلاف الذي نجم بن رواد البنيوية السلوكية، ورواد الألسنية التوليدية التحويلية،نوجزه في النقاط الآتية:

1– اتخذ البنيويون النصوص اللغوية موضوع لدراستهم، ولكن التوليديين التحويليين اتخذوا كفاءة المتكلم ومقدرته اللغوية على إنتاج الجمل، التي لم يكن سمعها من قبل موضوع لدراستهم[2].ما اتجه التوليديون التحويليون في تحليلهم للغة إلى الحدث اللغوي الخاص بمتكلم اللغة،بمعنى أنهم يستقون مادة بحثهم من خلال مساءلة المتكلم بخلاف البنيويين الذين اعتمدوا،كما ذكرنا.على النصوص اللغوية؛لأن الجمل التي تتكون منها اللغة غير محدودة،ولكن الجمل التي تتكون منها النصوص اللغوية محدودة[3].

2– اهتم البنيويون بالتحليل الفنولوجي للتراكيب اللغوية، أي دراسة الفونيمات والمورفيمات، ولكن التوليديين التحويليين اهتموا بدراسة التركيب اللغوية نفسها(الجمل)، ذلك لأنّ الفونيمات والمورفيمات، التي تتكون منها أية لغة من لغات العالم محدودة.أمّا التراكيب اللغوية (الجمل) فغير محدودة[4]. ولذلك فإن البنيويين ينطلقون في تحليلاتهم اللغوية من المورفيمات بوصفها اصغر وحدة لغوية، ثم الكلمات. ولكن التوليديين التحويلين، ينطلقون في تحليلاتهم اللغوية من التركيب(الجملة)ويعدونه قاعدة كل تحليل.

3– اللغة في نظر البنيويين مجموعة من العادات الكلامية ولكن التوليديين التحويليين، يرون أن اللغة ليست مجموعة من العادات الكلامية، لكنها تتميز بالخلق والإبداع ولها خصائصها، التي تميزها عن لغة الحيوان. لذا كان البنيويون السلوكيون يفسرون المقدرة اللغوية عند الإنسان تفسيرا آلي قائم على مبدآ المثير والاستجابة، فيرون أن الإنسان مقلد،

---

(1) جونز ليونز،نظرية تشومسكي اللغوية،ص:20.

(2) المرجع نفسه،ص150-151.

(3) رمضان عبد التواب.المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط2؛198، ص:187.

(4) ميشال زكريا. الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص:85.

فهو كالآلة يردد ما عرف من التراكيب والصيغ[1]. لكن التوليديين التحوليين رفضوا هذه المفاهيم؛ لأنّ الإنسان يختلف عن الحيوان في أهم جانب من جوانب نشاطه، وهو قدرته اللغوية الخالقة (الإبداع اللغوي )[2].

4- يرى البنيويون السلوكيون أنّ الاكتساب اللغوي، ناتج من تأثير البيئة على الطفل.لكن التوليديين التحويليين، يرون أن الاكتساب اللغوي، يكون عن الطريق امتلاك الإنسان لمعارف لغوية تتضمن قواعد كلية،وأن الطفل يكون قواعد لغته بصورة خالقة من خلال ما يسمعه من بيئته، والأطفال يتعلمون أية لغة بشكل تطوري سريع بغض النضر عن البيئة والجنسية لذا"تبرز أهمية خاصة لقدرة الأطفال على بناء جمل نحوية صحيحة منتظمة ، واشتقاقها من خلال ما يسمعونه من آبائهم ممن حوله ممن الناس بحيث يستغلون نفس القواعد المنتظمة التي يسمعونها في بناء والتركيب جمل لم يسمعوا بها قط من قبل"[3].فالإنسان عند التوليديين التحويليين " يخلق اللغة وهو يسمعها شيئا فشيئا ، وخلقه لها مرده أنّه يتمثّل بواسطة جوهره المفكر نظام من القواعد المنسجمة المتكاملة، وذلك النظام هو النمط التكويني لتلك اللغة، وهو الذي يسمح بإدراك محتوى الكلام دلاليا مهما كانت جدّة الصياغة التركيبية، التي أفرغ فيها، فكان لكل متكلّم معرفة خفية بالنّحو التوليدي للغته "[4].

5- يرى البنيويون السلوكيون أن لكل لغة بنيتها الخاصة وقواعدها، التي تتميّز وتنفرد بها عن غيرها.لكن التوليديين التحويليين، يرون أن اللغات تتشابه في قواعدها،وهم يحاولون الكشف عن هذه التشابهات الكليّة[5].

6-يهدف البنيويون السلوكيون إلى تصنيف المدونة اللغوية وتحليلها إلى مؤلفاتها النهائية..لكن التوليديين التحويليين لا يكتفون بالوصف للمادة اللغوية، وإنما يتعدون ذلك إلى تفسير التراكيب اللغوية، وقد جعلوا تعيين القواعد النحوية التي تتحكم في بناء الجمل هدفا لهم[6]. والقواعد التوليدية التحويلية؛ قواعد لغوية صرفة تتعامل مع المقدرة اللغوية عند المتكلم، ولكن المادة اللغوية التي يتعامل معها البنيويون السلوكيون ، هي مزيج من مؤثرات لغوية ونفسية واجتماعية ،حيث إنها تركّز على الأداء اللغوي، الذي يتأثر بهذه العوامل.

7- ركز البنيويون السلوكيون على الشكل الخارجي في دراستهم للغة عن طريق التصنيف والتوزيع والوصف،وأغفلوا أهم وظيفة للغة وهي الاتصال، ونقل المعنى على أساس أن المعنى لا يخضع للمنهج العلمي؛لأن المنهج العلمي.في

---

(1) المرجع السابق، ص: 188.

(2) رشيد العبيدي.البحث اللغوي وصلته بالبنيوية في اللسانيات. مجلة آداب المستنصرية، العدد12، 1980، ص:12-58.

(3) عبده الراجحي. النحو العربي والدرس الحديث، ص:112.

(4) جون ليونز. نظرية تشومسكي اللغوية، ص:31.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص: 17.

(6) ميشال زكريا،الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص: 12-13.

نظرهم يهتم بالجانب المادي فقط،وعليه فهم يركّزون على العوامل الخارجية في التعبير اللغوي.ولكن التوليديين التحويليين، رفضوا أن يتعاملوا مع اللغة على هذا الأساس دون أن يتعدّى ذلك إلى تفسير المادة اللغوية، وإدراج المعنى في الدرس اللغوي، لأنّ المعنى يعد أمرا ضروريا في التحليل الغوي،نظرا لدوره الفعال في شرح الملابسات، التي تكتنف العالقات بين بعض الجمل،و التي تعود إلى تركيب عميق واحد،لكنها تختلف في تركيبها السطحي[1]. وذلك مثل:

| الرقـم | التركيــب(الجملة) |
|---|---|
| **01** | صلّى محمد الفجر. |
| **02** | محمد صلّى الفجر. |
| **03** | الفجر صلاّه محمد. |

**–جدول توضيحي لبعض الجمل المختلفة في التركيب السطحي والمشتركة البنية العميقة–**

فالجمل الثالثة السابقة، تؤدّي معنى عميقا واحدا على الرغم من اختلاف تراكيبها السطحية، والمنهج البنيوي لا يقدم لنا أيّ وسيلة لشرح هذا المثال.إلاّ أنّه يعطي كل جملة من هذه الجمل شرحا مستقلا.لكن المنهج التوليدي التحويلي، يشرح هذا المثال باستخدام عناصر التحويل المختلفة من تأخير، وتقديم، وحذف، وزيادة، واستبدال، وغيرها من عناصر التحويل.

وتفسير العلاقة بين الجمل السابقة وفقا للمنهج التّوليدي التّحويلي كالآتي:إنّ هذه الجمل الثالثة السابقة متحوّلة من جملة واحدة في البنية العميقة، ورغم ذلك فالجملتان (2 و3) جملتان متحوّلتان من الجملة النواة(الأصل أو التوليدية) رقم(1) عن طريق عناصر التحويل.فالجمة رقم (2): تمّ فيها إجراء تحويل هو تقديم الفاعل(محمد) على الفعل.والجملة رقم(3): تم فيها إجراء تحويلي وهو تقديم المفعول به(الفجر)،كما تم إجراء تحويلي آخر وهو إلحاق ضمير(الهاء)بالفعل، ليعود على المفعول به المتقدم،وبذلك يمكننا فهم أصل اشتقاق هذه الجمل.

8–لا يستطيع البنيويون النفسيون تفسير العدد اللانهائي من الجمل الصحيحة في أي لغة على الرغم من كون هذه اللغة، تتكون من عدد محدود من الأصوات والقواعد،كما أنّه ليس بإمكانهم إيجاد تفسير لما يقوم بين بعض الجمل من علاقات، كتشابهها في الشكل واختلافها في المعنى،أو اختلافها في التركيب الشكلي على الرغم من أنها ترجع إلى تركيب عميق واحد.ولكن التوليديين التحويليين، يجدون لكلّ هذه القضايا تفسيرات في منهجهم؛لأنهم

[1] رمضان عبد التواب.المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 25–24.

يعتمدون في دراستهم للجملة على مستويين:الأول ظاهر(سطحي)يتناول الشكل الخارجي، والثاني مستتر(عميق)، يتناول الشكل الداخلي بما فيه المعنى،ويربط بين هذين المستويين عمليات تحويلية[1].

وعلى هذا يمكن للقواعد التحويلية القدرة على تفسير الجمل ذات العلاقات الملتبسة مثل:

| الرقـم | التركيــب(الجملة) |
|---|---|
| **01** | طلب محمد من علي أن يرجع |
| **02** | قابلت عليا ضاحكا |
| **03** | كان ضرب محمد شديدا. |
| **04** | استنكرت وزارة الزراعة إهمال الفلاحين |
| **05** | نجح في الامتحان عشرون طالبا وطالبة. |

**–جدول توضيحي لقدرة القواعد التحويلية على إزالة اللبس–**

فكل جملة من هذه لجمل، تحتمل معنيين مختلفين، فالأولى لا نعلم فيها من الذي سيرجع أمحمد أم علي؟ والثانية لا نعلم فيها من الضاحك أهو المتكلم أم علي؟ وفي الثالثة لا نعلم فيها أمحمد ضارب أم مضروب؟ وفي الرابعة لا نعلم فيها هل الإهمال للفالحين من جانب وزارة الزّراعة، أم الإهمال هو إهمال الفلاحين في عملهم؟ وفي الخامسة لا نعلم فيها عدد الناجحين بالضبط أهم عشرون أم واحد وعشرون؟ فالقواعد التّحويلية، تستطيع أن تفسّر مثل هذه الجمل، بتحديد معناها في التركيب العميق، لايستطيع المنهج البنيوي أن يفسر العلاقة بين جملتين مختلفتين في التركيب السطحي، ولكنهما ترجعان إلى معنى واحد في التّركيب العميق، كما في الجملتين الآتيتين:

- **شَرَحَ المُعَلِّمُ الدَّرْسَ.**
- **شُرُح الدَّرْسُ.**

هاتان الجملتان مختلفتان في التركيب السطحي إلا أنهما، ترجعان إلى معنى واحد في التركيب العميق،فالجملة الأولى مبنية للمعلوم،والجملة الثانية مبنية للمجهول،والمنهج البنيوي، يعطي لكل جملة منهما تفسيرا مختلفا عن الآخر على اعتبار أنّ كلاّ منهما جملة مستقلة عن الأخرى.ولكن المنهج التحويلي يرى أن الجملة المبنية للمجهول ليست جملة

(1) المرجع نفسه، ص: 188.

أصلية(نواة) ولكنها جملة محوّلة من جملة أصلية (نواة) بعد أن مرّت بسلسلة من القوانين التّركيبية، والدلالية، والصوتية، فالجملة رقم (1) ملة نواة أصلية اشتقت منها الجملة رقم (2) وتبدو العالقة بين هاتين الجملتين على النحو التالي:

- فعل مبني للمعلوم + مورفيم المعلوم + اسم(1)+اسم(2)
- فعل مبني للمجهول + مورفيم المجهول + اسم (2)

وقد استبدل في أثناء عملية التحويل مورفيم البناء للمجهول بمورفيم البناء للمعلوم،كما حذف الفاعل(الاسم رقم 1) من الجملة النواة،وتمّ تحويل المفعول به(الاسم رقم 2) إلى نائب فاعل.كما تمّ استبدال مورفيم نائب الفاعل بمورفيم المفعول به على آخر الاسم رقم(2).فهنا استخدمنا أكثر من عنصر من عناصر التحويل (الحذف،والاستبدال،وإعادة ترتيب المكونات)[1].

**v)– النظرية التوليدية التحويلية في ميزان النقد :**

لا يسلم أي بحث علمي مهما بلغ صاحبه من العلم من الانتقادات الموجّهة إليه، وعليه فمن جملة الانتقادات التي وجهت لأصحاب هذه النظرية:

– الاعتماد على الحدس، فكثيرُ من العلماء يرون أنّ الحدس شيء غير علمي،ولا يخضع صاحبه للملاحظة المباشرة،بالإضافة إلى أنّ الظاهرة المدروسة متغيرة وغير جديرة بالثقة[2].

– الاعتماد على الاستبطان، فبعض العلماء يرون أنّه من الاستطاعة أن نستبطن أشجار التركيب السطحي. مكوناته المرتبطة بجملنا، لكننا لا نستطيع أن نستبطن تراكيبها العميقة،وممن ذكر ذلك العالم اللغوي(سامبسون)[3].

– صعوبة تطبيق المستويات الأربعة للقواعد التحويلية، حيث نجد من الصعوبة قدرة المتكلم صياغة جملة،فلا بد له أن يبدأ في تطبيق القوانين الأساسية،ثم القوانين المفرداتية،ثم تطبيق القوانين التحويلية، وينتهي به المطاف بعد ذلك إلى تطبيق القوانين المورفيمية الصّوتية ،وهذا بالطبع، يستغرق وقتا طويلا إذا طبقته مع كل جملة، وقد لا تتكوّن لديه جملة إطلاقا،وإذا ألزمناه بتطبيق هذه المستويات صارت القواعد التّحويلية معيارية[4].

---

(1) رمضان عبد التواب،المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،ص: 189-190.

(2) كريم حسام الدين.أصول تراثية في علم اللغة.وكالة الأهرام للتوزيع، القاهرة،ط1 ؛1998 ،ص:241-242.

(3) المرجع السابق،ص:266.

(4) الخولي محمد.دراسات لغوية،ص:52.

– عدم وجود قواعد تحويلية للغة، ذلك لأنّ هذه القواعد هي في أساسها فرضية قائمة على الحدس والتخمين[1].

**خاتمة:**

إنّ الدارس، لسيرة اللساني الكبير نعوم تشومسكي، ولمنجزاته في حقل الدراسات اللغوية، يدرك مدى الأثر الإيجابي، الذي تركه على ساحتها،و كيف استطاع أن يساهم في دفع عجلة البحث اللغوي إلى الأمام.كما يدرك بأنه توصّل إلى كشوف هامة، تتضمّن مجموعة من المبادئ تطرقنا إليها سابقا،وفي ختام بحثنا ،نصل إلى النتائج الآتية:

– النظرية التوليدية لم تأت من الفراغ،بل تمخّضت عن دراسات سابقة، ومناهج لغوية متعدِّدة،انطلق منها من سبقه من العلماء أثناء دراستهم للغة كظاهرة بشرية.

– استفادت هذه النظرية من جلّ الدراسات، التي قدمها رائد المدرسة التوزيعية اللساني الأمريكي زيليغ هاريس، وهو الأستاذ الذي تتلمذ علي يديه ناعوم تشومسكي.

–جاءت هذه النظرية، لتبرز للمتلقّي بأن اللغة تصدر عن اتجاه عقلي؛لأنها عمل عقلي، يمتاز به الإنسان عن الحيوان.

–ركّزت هذه النظرية على قدرة المتكلم على إنتاج عدد لا متناهي من الجمل، التي لا يسمعها من قبل، نظرا لكفاءته، التي تعمل عقليا وفطريا على التحكم في النظام اللغوي وعناصره عن طريق التّوليد والتّحويل.

**قائمة المصادر والمراجع مع الإحالات:**


– محمد محمود غالي.أئمة النحاة في التاريخ.دار الشروق،جدة– السعودية،ط1؛1979.

[2] – نعمان بوقرة.المدارس اللسانية العاصرة.مكتبة الآداب،القاهرة،دط؛2003.

[3]–جون ليونز.نظرية تشومسكي اللغوية.تر:حلمي خليل،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية–القاهرة،1995 ط1.

[4]– تمام حسان.إعادة وصف اللغة العربية. ألسنيات. ندوة اللسانيات واللغة العربية،تونس،1978.

[5] – عبد الله أحمد جاد الكريم.الدرس النحوي في القرن العشرين.

[6] – سامي عياد حنا، معجم اللسانيات الحديثة،ط1، 1997،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت–لبنان، ط1؛ 1997.

[7] – حافظ إسماعيلي علوي وأمحمد الملاخ.قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات.الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت–لبنان،ط1؛2009.


[1] عبده الراجحي.النحو العربي والدرس الحديث،ص:142.

[8] ميشال زكريا.الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط 2 ؛ 1986.

[9] – حافظ إساعيلي علوي وأمحمد الملاخ.قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، ص:278.

[10]- التهامي الراجي الهاشمي.توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف.دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ط1؛1986.

[11] الراجحي عبده.النحو العربي والدرس الحديث.دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،دط؛1979.

[12] رمضان عبد التواب.المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي.مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط2.

13 رشيد العبيدي.البحث اللغوي وصلته بالبنيوية في اللسانيات. مجلة آداب المستنصرية، العدد12، 1980.

14 كريم حسام الدين.أصول تراثية في علم اللغة.وكالة الأهرام للتوزيع، القاهرة،ط1 ؛1998.

[15] الخولي محمد.دراسات لغوية.

# ملامح الثورة في الخطاب الشعري الجزائري قبيل نوفمبر 54

**د. ميهوب جعيرن**

**جامعة عمار ثليجي –الأغواط .**

إن ملامح الثورة ومعانيها تظهر جلية في الخطاب الأدبي الجزائري الذي سبق انطلاق الثورة المسلحة في 1954.فالشعر كنموذج لذلك الخطاب تجلت في الكثير من أغراضه وموضوعاته أشكالا من المقاومة والرفض للمستعمر بل وصلت تلك المعاني إلى حد درجة التحريض المباشر على المقاومة، فالمتتبع لنماذج ذلك الخطاب الذي زادت نبرته الثورية خاصة في فترة العشرينات الى غاية نهاية الاربعينات من القرن العشرين، أي قبيل إعلان الثورة المسلحة في 54.

المتتبع لحركة الشعر الجزائري إبان هذه الحقبة التاريخية المهمة في حياة الشعب الجزائري، تفيد بأنّ الظروف الداخلية سياسيا واجتماعيا كانت حافزا مهما رسخت كثيرا من الوعي الوطني والسياسي لدى الشاعر، يضاف إليها الحوادث المهمة في العالم والتي مست وضع الجزائر المستعمرة الفرنسية بشكل مباشر خاصة نهاية الحرب العالمية الثانية وجرائم فرنسا 1945.

هذا الجو المضطرب محليا وعالميا ساهم كثيرا في ارتفاع الوعي لدى الجزائريين، فتحملت الطبقة المثقفة مسؤولية شحذ الهمم والدعوة الى رفض الواقع الاستعماري المعيش ، فتجلت هذه الحركة التوعوية في مظاهر نشاط متعدد الاشكال منه السياسي البحت ومنه الديني الوطني ومنه الابداع الأدبي المقاوم امتزج فيه الابداع الفني والنضال السياسي والإصلاح الاجتماعي والوعي الديني، فنشأ نصا شعريا عبر بصريح الكلمة عن انتماء الى المكان الوطني "الجزائر" فتغنى الشعراء بوحدته و عبروا عن تمسكهم به والتصدي لكل من يسيئ إليه وتحسروا على وضعه الآني فكان الشعور بالانتماء الوطني هو الدافع الأساس في كثير النماذج الشعرية التي ظهرت في هذه الفترة وسنعرض الى بعض منها حيث تبرز روح المقاومة وملامح الثورة. لأنّ"الشعر هو خروج من سكون اللاتاريخ الى حركة التاريخ وهو بهذا المعنى فعل ثوري من الطراز الأول "[1]إن العلاقة الصارمة والمتينة التي ربطها العالم الخارجي مع النص وهو يحاول ان يبحث عن مساره الطبيعي ويؤسس لمستقبله ضمن خارطة إبداعية تبحث عن الذات القابعة في المكان متفاعلة مع معطياته جعلت النص يبدو وكأنه يرضخ لقوانين فوقية تفرض عليه الالتزام بقواعد معنوية وتعطيه مبررات وجودهفي علاقته المنطقية مع الواقع.

[1]عز الدين اسماعيل ، الشعر في ايطار العصر الثوري، دار القلم لبنان ط1 1974ص80

وفي هذا الفعل الثوري قول محمد العيد الجباري في قصيدة له بعنوان (كيف لا ابكي) نشرها سنة 1934:[1]

**كيف لا ابكي دما**

**وبلادي في عنا**

**تتنادى ألما**

**من عذاب وضنا**

**انا جزء من ثراها**

**قد تبدى بشرا**

**فإذا ازداد عناها**

**ازداد جسمي ضررا**

"إن أماكن الإبداع الشعري لغوية بالضرورة"[2].فلغة التعبير الشعري رسالة ذات دلالات مكثفة، ومن أبرز الدلالات في رسالة الجباري مفهوم الانتماء للمكان، فالذات الشاعرة قد بلغت أقصى درجات الألم من السائد في المكان، فوطنه (**يتنادى ألما... من عذاب وضنا**) لذا كان لواجب الانتماء والروح الوطنية اثر في نفسه لما يكابد أخا له في الوطن من جور وظلم، فروح الانتماء هي الدافع الاساس الى احساس الشاعر الوطني بابن مكانه وابن مجتمعه، هذي الروح الانتمائية الوطنية تدفعه إلى د رجة التماهي بين ذاته وثرى الوطن، وفي هذا المعنى إحالة إلى مفهومين :

**الأوّل**، استعانة الشاعر بحقيقة العقيدة الإسلامية التي تقول كلكم من آدم وآدم من تراب، هذه الحقيقة تعني الامتزاج الكلي بين الذات والمكان، فالذات عضو من المكان والمكان عنصر من الذات، وبالتالي التفاعل والتأثر والتأثير حاصل بين الاثنين نتيجة الالتصاق العضوي بينهما. وهي إشارة ايضا الى تشبع الشاعر الجزائري بروح العقيدة الاسلامية التي لطالما كانت سند مهم في التوعية الوطنية.

أمّا المفهوم **الثاني**، فيعكس درجة الروح الوطنية والشعور بالانتماء فالذات تعتبر نفسها عنصر وجزء من الوطن وبالتالي جزء من مجتمع الوطن وعضو غير مستقل عن المجموعة التي يدين لها بالولاء إلى درجة المشاركة في الألم والمعاناة، لأنّ أبناء الوطن كالجسد الواحد.

[1] محمد صالح الجابري . الأدب الجزائري المعاصر ص.305

[2] عبد الرزاق المساوي .جمالية المكان في الإبداع الشعري صفحة الويب:www.arab-ewiters.net

إنّ قوة الانتماء ودرجة الوطنية، قد تتحدد أكثر حينما يتعرض الوطن للخطر وتحدق به الأهوال، ففي هذا الوضع تقاس همة الوطنيين ودرجات ولائهم، هذه المبادئ حملهاالنص الشعري الجزائري الحديث فعبر عنها مع بدايات الأحداث المؤلمة المتمثلة في استيلاء الأجنبي على الوطن بحيث كانت رغبة الآخر ونواياه هي تغيير معالم المكان، صبغه بصبغة جديدة تتوافق ومزاجه كمسيطر له حق التصرف والتغيير.

هذا ما أحدث ردة فعل رافضة عبر من خلالها النص الشعري الجزائري عن إصرار تام على المقاومة لأن سلوك الآخر اعتدى على الذات بل مس اقدس ما تملك هذا ما جعل الشاعر الجزائري مثله مثل غيره من الوطنين الذين آلمهم وأحزنهم الوضع الجديد، فبكوا واستبكوا بطريقتهم ، فالعين لا تبكي الا عزيزا هذا العزيز هو الوطن رمز الانتماء والكبرياء، ففقده فقد لمعنى الحياة، وسلبه سلب للحرية وضياعه ضياع للكرامة، والاستيلاء عليه قهر للذات واستيلاء على مقوماتها.

من هؤلاء الشعراء المتأثرين والمتفاعلين مع الحدث **رمضان حمود**، الذي هيّجه شعور الاعتداء على الهوية والمكان فكان ذلك مبررا للنحيب والعويل فحسب ،يقول:[1]

**بكيت ومثلي لا يحق له البكاء على امة مخلوقة للنوازل واني**

**بكيت عليها رحمة وصبابة على ذاك البكا غير نـادم**

**ذرفت عليها ادمعا من نواظري تساهر طول الليل ضوء الكواكب**

**بكيت عليهم لا أبا لك في البكا طيب يبل الصدر عند المصائب**

**ولم ابك جبنا او مخافة ناطق فلي همة منتامة للـــــجلائـــــل**

**تمر على المكروه وهي طليقة وتلبس ثوب الصبر عند العظائم**

**ولكنما ابكي نفوسا ضعيفة رأت خدمة الأوطان ليس بواجب**

**إنّ** الصورة التي رسمها رمضان حمود تكاد تغير مدلول البكاء المألوف في النص الشعري العربي القديم حيث عهدنا الشاعر يبكي ويستبكي على المكان فراق الأحبة ومعاناة الهجر ، ويكون الشاهد الماثل آثار درست أو ديار عفت .

لكن حمود في وقفته الباكية، تجاوز الذاتي الخاص إلى العام، فبكاؤه هو بكاء الكل(النحن) من يشاركونه المحنة من أبناء الوطن ، فقد اقر منذ البداية ان فعله هذا غير مشروع، لكنه فعل(بكيت ومثلي لا يحق له البكا..) ما السبب

[1]– أحمد ناصر ، رمضان حمود حياته واثاره. ص165 نقلا عن يوسف ناوري ،الشعر الحديث في المغرب العربي، ج1، ص99.

في ذلك؟ الجواب قد يفهم على ضوء ما قال في عجز البيت ، انه سليل (..امة مخلوقة للنوازل ) أي انه من امة يزخر ماضيها بالعزة والكرامة والشرف فمن يتصل بنسلها لا يجوز له أن يجزع ولا أن يبكي أي كانت الصواعق و الأهوال ، لكن هذه الأمة التي كان لها الصدر أضحى وجودها مهددا، لأنّ الآخر قد استولى على المكان ، ومن ثم كان الضياع ، والحالة هاته لم تكن لتحدث لولا ضياع الروح الجهادية بسبب الوهن الذي أصاب النفوس التي صارت ترى خدمة الوطن(مكان العزة) ليست واجبة وتلك إشارة مباشرة من الشاعر إلى من فرطوا في المكان تهاونا وضعفا وجبنا وتخاذلا وحتى تآمرا.

وفي نماذج أخرى من الشعر الجزائري الحديث قبل اندلاع الثورة، تدعمتالملامح الجديدة للمكان وترسخت في مخيلة واعتقاد الشاعر حيث ارتبط الانتماء إلى المكان بمفهوم الوطن والوطنية ، ومن جراء ذلك تعددت أشكال الولاء وتوثقت في الأساس عند كثير من الشعراء بفكرة الإصلاح ، فكان من الوطنية ومن أشكال الولاء للمكان، أن يقف الشاعر موقف الناصح الواعظ لتكون الغاية من ذلك مكافحة كل أمراض التي تفشت في المجتمع بفعل فاعل كاللامبالاة والتهاون، وانتشار المفاهيم الخاطئة التي أراد الاستعمار وأذنابه زرعها بين الجزائريين لتخديرهم وشغلهم عن أساس الصراع الذي هو في الحقيقة صراع وجود جوهره السيطرة على المكان ومن ثم بسط السيطرة على مقومات الأفراد.

فمن جملة الوسائل التي لجأ إليها المستعمر بث الفرقة بين الجزائريين وإذكاء روح الصراع ،تلك أوضاع حركت قريحة الشاعر عبد الرحمن بن العقون الذي صور غربة الذات في الوطن فإخفاؤه لمعالم المكان في ظاهر النص تكشفها دلالات الانتماء إلى أبناء المكان بحيث يربط ذاته بذات الوطن فيتحدث بصيغة ال(نحن) ليعبر عن الانصهار بين ال(أنا) وال(نحن) من جهة، وبين الذات الجمعية والمكان من جهة أخرى مثلما صورها قديما الشاعر "لقيط بن يعمر الأيادي" في علاقته بقومه إذ أوضح لهم أن هذه الصراعات لا تزيدُهُم إلا غربة في عقر دارهم : [1]

**أسمعوني مَا أنا إلاَّ صَدىً**

**ردَّدَتـه من حَنَاياكم عِبَرْ**

**هذهِ الأمراضُ في جَوْهَرهَا**

[1] ديوان ابن العقون ( أطوار) : ص59-60

**تُورثُ الأُمَّةَ قَتّالَ الأَثْرْ**

**وترينُا الذُّلَّ عزًّا قَيّماً**

**وتُذيقُ الشَّعبَ مَوسُوعَ الضّرَرْ**

**جعَلَتْنا في حِمانا غُرَبَاءَ**

**وأَرَتنَا كيفَ تَنْهارُ الأُسَرْ**

في النص دعوةللتآلف والوحدة وهذا وتفاعل مع واقع يسعى للتفرقة والتشتت، لكن الذات الشاعرة تشعر بخطورة الموقف لذا تستعمل لغة التحذير النابعة من شعور وطني قومي تأبى من خلاله الرضوخ والاستسلام بل تحفز على المقاومة، وتلك نصيحة للحفاظ على كيان،وهي رغبة الذات المنتمية التي تشعر بالخطر المحدق، فتدعو إلى التنبه ومواجهة المخاطر التي تهدد المكان باعتباره رمزا للبقاء الشريف. لانّ نتائج الخصام والخلاف ضياع للمكان وذلة أهله.

إنّ استلاب المكان يولد الشعور بالغربة وضياع القصد لأنّ الإحساس بالكيان وبالألفة لا يتأتى إلا عند الشعور بملكية المكان وخصوصيته تجاه الذات سواء (الأنا ) أو (النحن) لأنهما وجهان لقيمة واحدة ، هي استقلال المكان وضمان حرية منتسبيه ، ما عدا ذلك تكون الغربة وتكون المعاناة ويكون المسخ ويكون الانقراض، والشاعر مدرك لهذه الحقائق بل قد عايشها في واقع الآني (**جعَلَتْنا في حِمانا غُرَبَاءَ**.....)

المعنى نفسه نستشفه من النص الشعري الذي تبدو فيه روح التضحية في قول الشاعر محمد العيد آل خليفة:[1]

**وهبتك روحي يا جزائري فامري**

**كما شئت اني خاضع لك خادم**

**وقرباك هم قرباي لست مباليا**

**أعاريب هم في جنسهم أم أعاجم**

[1]أبو القاسم سعد الله . شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ص159

**فخذ من دمي يابن الجزائر إنني**

**اخ لك في كل الحظوظ مقاسم**

إنّ الولاء للمكان دون تحفظ تحمله دعوة محمد العيد إلى الوحدة بين أبناء الجزائر مهما اختلفت أصولهم، وفي ذلك محاولة لقطع الطريق أمام الذين يروّجون إلى فكرة البربر والعرب من اجل شق صفوف الوحدة في المكان الوطن الذي هو الجزائر، وهي الدعوة التي ساهم المستعمر في تغذيتها من مبدأ فرق تكون سيّدا.

فقد أكد الشاعر بأنّ المحافظة على وحدة المكان هي محافظة على وحدة أهله، ففي دلالة على وحدة المصير، بحيث يكون الانتماء للوطن صمام للبقاء، هذا الادراك يبرر تجاوز الذات لكل الاعتبارات، لتؤكد ان الوحدة بين ابناء الوطن وشعورهم بالانتماء إليه هي الاساس في الحفاظ على وجودها وبقائها.

وتتواصل المعاني الشعرية في السياق نفسه تبين شعور الذات بقيمة الوحدة والتّكتل ضد كل أنواع التفرقة :[1]

**وما نحن إلا امة ذات نسبة**

**سماوية الأسباب لن تتقطع**

**وذرية للأطلس الفخم لو به**

**تصدت لنا (ذرية) ما تتصدعا**

**إذا ما دعافي(توقر)ابن أجابه**

**(بجرجرة) ابن ليس يخذل من دعا**

وحدة المكان إذن، من وحدة الشعب، فابن منطقة الاوراس(توقر) استصرخ طالبا للنجدة فلن يتوانى ابن جرجرة لنجدته، وهذا يعني ان المكان الجزائري واحد موحد. لأنّ جغرافية المكان وجغرافية الإنسان هي كل متكامل، إذا اشتكى منه جزء تداعى له البقية وهبوا للنجدة.

[1] المرجع السابق والصفحة 159

فالذات تكون غائبة الوجود اذا ما نزعت من وسطها الطبيعي وهذا الوسط الطبيعي في الحياة هو المكان الانتماء"فما دام الجسم حيا في هذا الوسط فهو لا يذوب، اما إذا نزع من هذا الوسط فيموت"[1] والمقصود من الوسط هنا مكان الانتماء فالذات حية لا تذوب في الوسط الطارئ ما دامت محافظة على تماسكها الأصيل.

وهكذا تتخذ جغرافيا المكان دلالات جغرافيا الإنسان، فقد شكل هاجس الوحدة، وحدة الشعب، مطلبا أساسيا لوحدة المكان، لأنّ تقسيم المكان هو انشطار للذات الوطنية وهو سببا في ضعفها ووهنها.

وفي موقف آخر صور شعراء الجزائر الوضع المأساوي الذي آل إليه حال الشعب ، من جراء استيلاء المستلب على خيرات البلاد ، فكان لهذا اللون من الشعر دلالات وطنية تحدد موقف الشاعر من المكان فالدعوة تحمل معنى الاستنهاض ، من خلال كشف الحقائق، أي كشف أساليب المستعمر تصرفاته تجاه الشعب ، بل تجاه الوطن برمته المعرض للخراب، وقد كان لمحمد العيد شعر مشهود في هذا الباب منه قوله مواسيا البائسين:[2]

**يناغي البائسين كما يناغي**

**لعمري العندليب العندليبا**

**ويحيي في رثائهم الليالي**

**وينهض في مصارعهم الخطيبا**

**بقلب يلفـظ الأنفاس حرى**

**وعين تذرف الدمع الصبيبا**

هذه الصورة المأساوية تشخص وضعا غير طبيعي، عكس حالة استلاب المكان ومدى تأثيره على حال الإنسان لان"أي تغيرات قسرية تلحق بالفضاء المكاني عند الكائنات الإنسانية والحيوانية، من شأنها إحداث تشويش .."[3] في الحياة الطبيعية التي يوفرها المكان في الحالات العادية ، فالتأقلم مع شروط المكان راجع إلى الوجود الفطري

[1] مكائييل باختين الزمان والمكان في الرواية . ترجمة يوسف حلاق . ص234

[2] محمد العيد ديوانه . ص35

[3] خالد حسين . شعرية المكان ص 64

الذي يصنع فردا بمقومات تألف مكان المهد وتطمئن إليه بخلاف غيره من الأمكنة الغريبة، كما أنّها لا تألف الدخيل المنافس لأنه يشوه العلاقة بالمكان الأليف.

رسم النص أنين التعساء الذين يتألمون بسبب بطش الآخر المسيطر على المكان بغير حق يؤكّد درجة التشويه الذي لحق بأهل المكان؛ إذ التعاسة والحرمان سببهما الدخيل، فالشعور بالقهر والظلم جعل الذات الشاعرة تنتفض لتجدد نفسها حتى لا يتسلل اليأس والإحباط الى حسها الوطني فهي تتجدد كل حاول المستدمر القضاء على وجدها تجدد وتتفاعل مع الواقع لكن بروح المقاومة والدفاع وفضح دناءة المغتصب من خلال اغتصابه للوطن واهانة الذات ومحاولة القضاء على أسباب وجودها.

إذن الشاعر الجزائري تعامل مع المكان من خلال ربطه المباشر، بين مأساة الشعب ، وبين ممارسات المستعمر، فصار التلازم بين المعاناة والاستعمار، وبين العيش الطبيعي و استقلال المكان . فالاستعمار معاناة والاستقلال عيش طبيعي.

مكان مستلب =معاناة

مكان مستقل= عيش طبيعي

فدلالة المكان في هذه الحالة تعدّت الحيز الترابي والبقعة الجغرافية، ذات الحدود المعلومة، وارتبط المكان بحرية الإنسان وبعيشه وبوجوده الكريم. هذا رسخ قناعة لدى الجزائري مفادها : كلما تمكن الآخر من الأرض كلما داس العرض، واغتربت الذات، وتشوشت العلاقة بين الفرد ومكان الإقامة ، بل قد تسود البلبلة وينحرف مفهوم الولاء فتداس قيم الوفاء للمكان وتطغى الروح الانتهازية فتتخلخل البنى الاجتماعية وتفسد العلاقات، وتلك سياسة يعتقد المستلب أنها ناجعة تجنبه مواجهة الأوفياء لقيم المكان.فهو يسعى دوما الى تدمير الايمان بالذات وفصل الهوية وتشويهها.

إذن الدلالات متبادلة بين أن يوحي المكان بمأساة أهلة أو أن توحي معاناة إنسان المكان بمصيره، هذه الخصوصية الشعرية تعطي للمكان مفاهيم ودلالات غير متناهية في النص وتؤدي الى مفاهيم زئبقية يمكن رؤيتها لكن يصعب الإمساك بها .

فظاهرة تدمير الذات تاتي من نجاح المستعمر في شق صفوف المنتسبين اليه والمؤمنين بالاعراف والعقائد نفسها فدرجة الايمان بوحدة الوطن والانتساب اليه متفاوتة وقد ينجح الآخر في استمالة البعض ومناصرتهم لاطروحاته. لذا نلفي شعراء الجزائر قد التفتوا للظاهرة وحذروا من نتائجها، لأنّ أصحاب النفوس الضعيفة من الخونة

والجبناء، قد يتخلون عن المكان ويركبون بساط الغريب ويتبرؤون من القريب، هؤلاء يشكلون خطرا على الوطن وأهله، لأنّهم لا يتوانون في التخلي عن القيم التي تربط الأفراد بمكان مسترقهم، ومن هؤلاء يحذر الشاعر محمد الجباري:[1]

**بني وطني لا تحسبوا الناس**

**ذوي عزة من ساكني السهل والنجد**

**فكم كنت مغترا بقوم أعدهم حصونا**

**تقي الشعب النبيل من الضد**

**فلما اتى اليوم الشديد وهو له**

**وجدتهم خلو من العزم والجد**

إنّ الذات الشاعر ترفض الخور والعجز، إنّها تواقة إلى البطولة وكل قيم الشجاعة والإقدام ، في هذه الثنائية يحدد الشاعر هوية أهل المكان والحري بهم الدفاع عنه، وهم اهل الشجاعة الذين لا يخافون جبروت العدو ولا ينجرون وراء إغراءاته، هؤلاء الوطنيين يوجه لهم الخطاب، ويحذرهم من الفئة المتخاذلة المتقاعسة العميلة، فيبدو أنّ الجابري قد وظف التجربة واستعان بالحكمة: في الوحدة قوة.

فهو على أساسهما تمكن من الفرز والتحديد لمن لهم شرف الدفاع عن المكان ومن لا يعول عليهم، وبالتالي علاقة الإنسان بالمكان تحدد من جراء درجة الشعور بالانتماء إليه. التي تضع الإنسان في ميزان القيم الاجتماعية فعلى ضوئها يصنف الناس وتحدد طبائعهم. هذا التفاعل الإيجابي في حدود شعرية المكان والايمان بالقيم يعد حافزا مهما في تحديد مستقبل الوطن. لأن"تحليل المتلقي للنص يشبه "طريقة الاستعمال"mode d'emploiالتي تحدد المسار الذي يجب ان يتبعه في اكتشاف "شعرية النص "وتفرض عليه التعامل معها."[2]

[1] محمد صالح الجابري . الأدب الجزائري المعاصر ص76

° في الأبيات خلل في الوزن

[2] .النص والتقعيد.عبد القادر رابحي .ج1 دار الغرب للنشر والتوزيع 2003ص131

إنّ درجة الانتماء قد تصل إلى حالة من غياب الذات الإنسانية التي تتماهى في الذات الوطنية، فتتحلل المشاعر وتنتفي الأعضاء، فيتداخل المكان مع الأنا، فيصبحا نسيجا واحدا موحدا كلاهما يعكس وجه الآخر في تمازج فيزيقي المعالم والتوجهات، فقد قال موسى الأحمدي نويوات في هذا المعنى:[1]

**أنا جزء يا بلادي من ثراك**

**أنا جزء يا بـلادي من هواك**

**ليس في ذا الكون محبوب سواك**

**أنت كنزي ، أنت يا تاج الملوك**

تكاد تكون هذه الصورة مكررة عند كل وطني جزائري يشعر بقوة الانتماء للوطن الأم، فقد كان هذا الشعور بمثابة الوقود الذي يغذي الذات ويشحنها بالروح المقاومة غير المستسلمة مهما تعددت أساليب المستعمر، فكأن الارتباط بالمكان يدل على مدى القدرة على الصمود والمقاومة.

فالذات قد تكتسب قوتها من جغرافيا المكان بكل تضاريسه المتنوعة."لكن المكان في الإبداع الشعري ليس صورة فتوغرافية او شكلا مرسوما هندسيا "[2]وانما جغرافيته تحددأشكالها تفاعلات الذات مع محيطها في الداخل والخارج.

أما احمد توفيق المدني فيؤكد في نظرة تفاؤلية شدة الارتباط بالمكان يقول سنة 1933:[3]

**لسنا بموتى، إنّما هي نومة**

**من بعدها فجر النهوض سيسطع**

**ونرى البلاد تعيد سالف مجدها**

[1] أحمد دوغان شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر135

موسى الأحمدي نويوات، أديب جزائري ولد سنة 1903من تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس من أعماله المتوسط الكافي في علم العروض والقوافي، ديوان شعر مخطوط .(نقلا عن احمد دوغان شخصيات من الأدب الجزائري ص 129 ، 130)

[2] عبد الرزاق الميساوي .جمالية المكان في الإبداع الشعري صفحة ويب :www.awfaz.com

[3]محمد صالح الجابري . الأدب الجزائري المعاصر ص303

**ولعصر نوم الخاملين نودع**

**ابنوا الى المستقبل الزاهي جدا**

**را أسّه في الأرض لا يتزعزع**

**شيدوا المدارس حرة عربية**

**بلبانها غذوا البنين وارضعوا**

تتجلى نشوة الشاعر التفاؤلية بأمل الخلاص للمكان، المكان الرامز للهوية والانتماء، فتمتزج روح التفاؤل، بقوة البقاء في المكان من خلال الدعوة إلى تثبيت دعائمه بالوحدة والتعلم والتخطيط للمستقبل، وهي صفات ترغب من خلالها الذات إلى استرجاع توازنها.

وفي الختام نلفي النص الشعر الجزائري قد مثل مرحلة مهمة في تاريخ الإبداع الشعري الذي جسد تفاعل الذات مع واقعها ورسم حدود ذلك التفاعل الصدام المنطقي بين الهوية والاستلاب، بين الوجود والاندثار، بين البقاء والانقراض. فكل جزائرييحمل في ذاته شاعرا مقاوما وكل شاعر يحمل في مؤشرات ابداعه مواطنا شريفا. الوطن في قلبه وفي ذاته. فقد ينطبق على إنتاجهم ما ذهب إليه بشلار حينما يشير الى أنّ صورة الوجود تكتسب عند هؤلاء الشعراء مفهومها الخاص ...الذي يتجاوز الحيز الجغرافي للمكان الى دور وأصل المكان.[1] فلقد كان المكان في النص الشعري الجزائري المحور الاول في استنطاق مشاعر الشاعر.: تطور المفهوم المكان من لازم فني الى ضرورة شعرية استوعبها الشاعر وشكلت له وسيلة تعبيرية لا تخلو من الشعرية والجمالية والرمزية، فلقد منح أمكنة ظلالا أغنى وطاقات أوسع. شكل المكان معادلا موضوعيا للشاعر الجزائري فترة المقاومة، فاستعمله للدلالة على القوة وعلى الثبات، كما شكل له معان خاصة جلبها من تاريخ الأصيل بكل تنوعاته وقداسة أحداثه، فاستحضر التاريخ وأنسن المكان.

[1] ينظر غاستونبشلار . جماليات المكان . ترجمة غلب هلسة ص 136

## مراجع البحث

1.عز الدين اسماعيل ، الشعر في ايطار العصر الثوري، دار القلم لبنان ط1 1974

2.عبد الرزاق المساوي .جمالية المكان في الإبداع الشعري صفحة الويب:-www.arab ewiters.net

3.محمد صالح الجابري . الأدب الجزائري المعاصردار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الاولى 2005

4.النص والتقعيد.عبد القادر رابحي .ج1 دار الغرب للنشر والتوزيع 2003

5.احمد دوغان شخصيات من الأدب الجزائري المعاصرالمؤسسة الوطنية للكتاب . 1989 الجزائر

6.خالد حسين . شعرية المكان في الرواية الجديدة .الخطاب الروائي لادوارد خراط نموذجا مؤسسة اليمامةالصحفية عدد83اكتوبر 2000

7.مكائييل باختين الزمان والمكان في الرواية . ترجمة يوسف حلاق .،منشورات وزارة الثقافة 1990دمشق سوريا

8.مجمد العيد ديوانه المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثالثة الجزائر

9.أبو القاسم سعد الله . شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفةالمؤسسة الوطنية للكتاب . الطبعة الثالثة 1984

10أحمد ناصر ، رمضان حمود حياته واثاره . نقلا عن يوسف ناوري ،الشعر الحديث في المغرب العربي (الجزء الأوّل.

11.ديوان بن عقون (ا\طوار)الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر 1985

12.غاستون بشلار . جماليات المكان . ترجمة غلب هلسة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1984 بيروت لبنان.

# البنية السرديّة للشخصيّات الفنتازيّة في شعر سليمان العيسى
## قراءة في ديوان "أراجيح تغني للأطفال" أنموذجا

**A Narrative Study of Fantastic Characters in Suleiman Isa's "Swings that Sing forChildren" Series Using Vladimir Prop's Model**

**مهتاب دهقان (طالبة ماجستير)**

**أ.م.د. رسول بلاوي/ أ.م.د. ناصر زارع.**

**جامعة خليج فارس، بوشهر – إيران .**

**الملخّص:**

إنّ السّرد يُعدّ من العلوم الجديدة التي ظهرت خلالمنتصف القرن العشرين، وقد دخل مجال النّقد الأدبي الحديث بقوّة؛ إذ نجد كثيراً من النّقاد والباحثين في مجال الأدب تطرّقوا إلى دراسة النّصوص المختلفة من منظار النّقد السّردي. ومن بين هؤلاء الباحثين نرى فلاديمير بروب الباحث الشّكلاني الرّوسي الذي في دراسته المورفولوجيّة للقصص العجائبيّة تطرّق إلى دراسة الشّخصيّات ووظائفها فحسب؛ فالشخصيّة بإعتبارها إحدى عناصر السّرد الهامّة تُستعمل أحياناً في النّصوص النثريّة والشعريّة المختلفة بشكلٍ فنتازيّ وخياليّ جميل يشدّ المتلقّي. ومن بين الشّعراء الذين استخدموا هذه الشّخصيّات الفنتازيّة في نصوصهم، نستطيع أن نذكرَ الشّاعر السوريّ الكبير، سليمان العيسى، الذيله كثيرٌ من المجموعات الشعريّة الطفوليّة.

نحن في هذه الدّراسة وفقاً للمنهج الوصفيّ التحليلي واعتماداً على منهج بروب المورفولوجي، تطرّقنا إلى سرديّة الشّخصيّات الفنتازيّة في شعر سليمان العيسى وبالتحديد في مجموعته "أراجيح تغنّي للأطفال"؛ وبعد ذكر المباحث النظريّة حول السّرد والفنتازيا وما يتعلّق بمنهج بروب المورفولوجي من العناصر المتغيّرة (الشّخصيّات) والعناصر الثّابتة (الوظائف) ونظرة قصيرة إلى حياة الشاعر، بدأنا بدراسة وتحليل مورفولوجي في سبع قصائد من هذه المجموعة الشعريّة. وحاولنا من خلال دراستنا أن نقدّمَ نموذجاً مناسباً من البناء السّرديلهذه القصائد. وأهمّ النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة هيأنّ الشّخصيّات الفنتازية الموجودة في مجموعة الشّاعر انتُخبت من عالم الطّبيعة وما يختصّ بها، حيث وجد الشاعر لهذه الطبيعة انتداب في مخيال الأطفال. يحاول الشّاعر أن يعطي الطّفلَ أفقَ تفكيرٍ واسعاً ويجعلَه متحرّراً؛ فعلاوة على تعرّف المتلقّي/ الطفلعلى الواقعيّات المعهودة ينقله إلى عالم طفولي وراء الحقيقة. وأخيراً أنّ المنهج الّذي وظّفه بروب يكون أسلوباً منتظماً يعطينا إمكانيّاتٍ نستطيع بإستخدامها التعرّف على بنية القصائد السّرديّة.

**الكلمات المفتاحية:** السّرد، الفنتازيا، الشّعر الطّفولي، الشّخصيّة، سليمان العيسى، بروب.

**Abstract**
Narrative is among the most recent and most important sciences that has entered in to thefield of literature and literary criticism in the second half of the 20th century. Many scholars in the field of literature have also examined various texts from a narrative critical perspective. Among these scholars is Vladimir Prop, the Russian structuralist, who in his morphology ofthe Russian tales, has examined the characters and their functions. Character, which is amongthe most important elements of narrative, has sometimes been used in different prose and versetexts in a fantastic and imaginative way. Among the poets who have employed these fantasticcharacters in their literary works, is Suleiman Isa, the great Syrian poet, who has writtenplenty of works in the field of children's literature.

In this study, by focusing on Prop's morphology and using a descriptive-analytic method,we have investigated the narratology in the fantastic characters of Isa's poems in "Swings that Sing for Children" series. After a short glance on the life of the poet, and bringing aboutthe theoretical discussions like that of narrative, fantasy and what is related to Prop's theory, such as the dynamic elements (characters) and the stock elements (Functions), we examinedseven odes in Isa's series using Prop's model and tried to present an appropriate model ofnarrative structure in his poem. The results of this study reveal that the fantastic characters inSuleiman Isa's series have mostly been selected from the elements that exist in nature whichconsist of a great deal of his children's poems. Giving the child a vast viewpoint, the authortries to familiarize them with the common realities and also to lead them to a world beyond thereality. The method that Prop has employed to investigate the characters in the tales and theirfunctions, is a very precise, organized and perfect structure that provides us with facilities thatwe can use to get familiar with the narrative structure of the odes.

**Keywords**: Narrative, Fantasy, Children's poem, Character, Suleiman Isa, Prop.

## 1. المقدمة

لقد اهتمّ الباحثون بدراسة السّرد[1] في النصوص النثرية والشعرية الحديثة لما له من دور هامّ في بناء النص وخلق دفقات شعورية، وثيمات دلاليّة تجعل النص في حالة متحرّكة تشدّ المتلقي نحوها.يُعدّ مصطلح السّرد من المصطلحات الحديثة التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيويّة وقد نحت هذا المصطلح تزفتان تودوروف في سنة 1969م[2]. علم السّرد يُعدّ من العلوم الجديدة التي ظهرت في العقود الأخيرة من القرن العشرين، ولا يحصر مجال درسه وموضوعه بلونٍ من ألوان الأدب، بل إنّ دلالة درسه اتّسعت لتشمل فنّ الرواية والقصة، والحكايات الشعبيّة، والأساطير، والنصوص الشعريةوغيره. فالسّرد طريقة أساسيّة "للتّفكير" أو أداة معرفية عناصره تكاد تكون واحدة: كالحبكة والحدث والمكان والزمان والشخوص والحوار بشقيه الداخلي والخارجي والبوليفونية (تعدّد الأصوات). من بين هذه العناصر، الشخصيّة باعتبارها إحدى عناصر السّرد الأصليّة، تعتبر جزءاً هامّاً في سرديّة النّصوص. فلا تُستثني النّصوص الشّعريّة الطّفوليّة من هذه القضيّة؛ وهذا النّوع من الشّعرالسّردي يعتبر من الأنواع التي يجب أن يكون

[1] Narration

[2]. يان مانفريد، **علم السّرد**: مدخل إلى نظريّة السّرد، ص51.

الشاعر ذاعناية فائقة في اختيار أنواع شخصياتها من الخير والشّر؛ لأنّ العلاقة التي تحدث بين النّص وعقل الطّفل في الأغلب تكون بواسطة الشّخصيات؛ الشّخصيات التي يمكن أن تكون أصليّة وواقعيّة أو غيرواقعيّة وفنتازيّة. الشّخصيات الأصليّة كالأب والأمّ أو المعلّم أو كلّ شخص يمكن للطّفل أن يتفاعل معه في عالمه الحقيقيّ. والشخصيّات الفنتازيّة كالملاك والمارد والأشياء أو الحيوانات النّاطقة أو غير النّاطقة التي تأتي في قالب فنتازي جميل وخارج عن حدود العالم الحقيقيّ. بعبارة أدقّالفنتازي[1] هو نوع من أنواع القصّ الذي يحبّه الطّفل ويستطيع أن يحسن العلاقة بينه وبين خيالاته الطّفولية. «في الواقع يطلق الفنتازيا علي جزء من الأدب الذي تحضر الوقائع والأماكن والأزمنة والشّخوص القصصيّة خارجاً عن إطار المعتقدات»[2]، والعناصر الموجودة في النص الفنتازيّ تكون من عجائب ما يتصوّر الطّفل في خيالاته.

لقد مرّت على الشّعر الطّفولي في الأدب العالمي بشكل عام وفي الأدب العربي الحديث بشكل خاص تحوّلات وتطوّرات كثيرةفي العقود الأخيرة الّتي سبّبت التحوّل والتّغيير في أفكار الأطفال. فالفكرة الفنتازية في النّصوص الشّعريّة تكون من إحدى التّحولات التي حظيت بالقبول من جهة الأطفال والكبار وبالتّعبير الأفضل استُقبلت بكل حفاوة، إمّا في الأدب العربيّ وإمّا في أدب الأمم الأخرى. ففي الأدب العربي نرى بعض الكتّاب والشّعراء يستخدمون هذا النّوع من الأدب الذي يستطيع أن يساعد الطّفل في مواجهة الصّعوبات والضّغوط التي حدثت في العالم العربي الرّاهن ويستخدمون هذه النّظرة الجديدة التي تعتبر الطّفل ذكيّاً أمام تلك التّحديّات الموجودة. ونشاهد في طليعة هؤلاءالمؤلفين، الشّاعر السّوري سليمان العيسى الذي عُرف بشاعر الأطفال في البلدان العربية، الشّاعر الذي إذا اطلقنا نظرة على نتاجاته الشّعرية نجده من المهتمّين بأدب الأطفال بعناية فائقة. مجموعة "أراجيح تغنّي للأطفال" هي من نتاجاته الشّعريّة التي يتطرّق فيها إلى الحكايات الطفوليّة بلون فنتازيّ جديد ويستخدم الشّخصيات الفنتازية التي تناسب عقليّة الأطفال.

في هذا المقال إنّنانحاول أن نظهر صورة دقيقة من الشّخصيات الفنتازيّة الموجودة في المجموعة المذكورة وفي بحثنا هذا نستمدّ من منهج بروب السّردي الذي يستند إلى دراسة الشّخوص ووظائفهم.بناءً على هذا، هذه الدّراسة الأدبيّة الفانتاستيكيّة (متعلّقة بالخيال الخارق)تعني الطّلاب والباحثين في مجال السّرد والسّرديّة والمتحمّسين لأدب الأطفال.إنّنا في هذا البحث أولاً نتطرّق إلى دراسة السّرد وسرديّة الشخصيّات الفنتازيّة بجانب منهج بروب السّردي وندخل في صلب البحثحول شعر العيسى الطفولي في مجموعته "أراجيح تغني للأطفال" وفقاً للمنهج الوصفيّ – التّحليلي. ومن خلال دراستنا هذه فضلاً عن تعريف الأشخاص الفنتازيّة الموجودة في شعر العيسى نهدف إلى دراسة كيفيّة استخدام

---

[1]. Fantasy .

[2]. محبوبة فيض نژاد، **فانتزی در ادبیات کودکان**، ص32.

الشخصيّات في حكاياته الشّعريّة وثانيا إلى وظائف تلك الشّخصيّات وفق الإمكانيّات التي يقدم لنا منهج بروب السّردي لدراسة تلك الشّخصيّات.

### 1.1. أسئلة البحث

أمّا الأسئلة التي تُطرح في مجال بحثنا هذا فهي:

أولّاً: ما هي الشّخصيّات الفنتازيّة الموجودة في مجموعة "أراجيح تغنّي للأطفال"؟ وكيف استُعملت في بناء قصائد العيسى الطّفوليّة؟

ثانياً: ما هي الإمكانيّات التي يعطينا منهج بروب السّردي في معرفة النّصوص الشّعريّة، خاصّة الشّعر الطّفوليّ السّرديّ الحديث؟

وثالثاً: ما مدى توفيق سليمان العيسى في استخدام الشّخصيّات الفنتازيّة في نقل الفكرة الأصليّة إلى المتلقّي الصغير؟

### 1.2. خلفيّة البحث

السّرد يعدّ من العلوم الجديدة التي لفت إنتباه الكثير من العلماء والأدباء في مجال الأدب الحديث وفتح آفاقاً جديدةً أمام البحوث الأدبية المتداولة. من بين الباحثين الذين اهتمّوا بدراسة هذا اللّون من ألوان الأدب نستطيع أن نشير إلى **والاس مارتن**(1998م) في كتابه "نظريّات السّرد الحديثة" الذي يتطرّق فيه إلى نظريّات السّرد وبنيته وتقاليده في التّأريخ وبعض المقارنات بين التخييل والسّرد وما إلى ذلك؛ وأيضا كتاب "علم السّرد (مدخل إلى نظريّة السّرد)" من تأليف النّاقد الإنكليزي **يان مانفريد** (2011م) الذي يضع بين يدي الدارس والباحث تعاريف خاصّة بالنظريّة وتطبيق عمليّ لأعمال أدبيّة متنوّعة مع التعرّف على عناصر السّرد. والدّراسة الهامّة التي سيستند إليها هذا المقال هي "مورفولوجيا القصّة" للمنظّر السّردي **فلاديمير بروب**(1996م)الذي يتطرّق في هذا الكتاب إلى دراسة الحكايات الخرافيّة الرّوسيّة من وجهة النّظر الشّكلي ومن بين عناصر السّرد يركّز على الشّخصيّات ووظائفها وما يتّصل بها في عمليّة القصّ.

أمّا بالنّسبة إلى القضيّة الرّئيسيّة في هذا المجال، يعني الفنتازي والبحوث الفانتاستيكيّة، بما أنّ هذا الموضوع يعدّ من الموضوعات الجديدة، نكاد لم نعثر على دراسة معمّقة وشاملة إلّا عدّة بحوث متفرّقة في مجال النّصوص الأدبية الحديثة. محمد جاسم جبّارة (2008م) في بحثه تحت عنوان "السّرد وفنتازيا الواقع في سرديّات ثامر معيوف" يبحث في قصص معيوف القصيرة واعتماده على شخصية (الرّاوي) البطل؛ يدور بحثه حول ايجاد العلاقة بين السّرد وصناعة الفنتازيا ويتناول مجموعة من السّرديّات في مرحلة الثمانينات حتى سنة 2008م. "فانتزي وشيوهاي فانتزي سازي شاهنامه در ادبيات كودك ونوجوان/ فنتازيا وطرق الفنتزة لشاهنامة في أدب الطّفل والمراهق" هو عنوان بحث في مجال أدب الطفل والمراهق الذي تطرّقت فيه الكاتبتان، بورخلقي وجلالي (2010م)، أولاً إلى التعرّف بالفنتازيا والهدف من

التخيّل في قصص شاهنامة الأسطوريّة والملحميّة، ثم إلى عناصر هذا النّوع كالشخصيّات والثيمات وأساليب الدخول في الفنتازيا وما إلى ذلك.

وأمّا بالنّسبة إلى شعر سليمان العيسى فنستطيع أن نشير إلى رسالة في جامعة الحاج‌لخضر في جمهوريّة الجزائر، عنوانها "التّشكيل الموسيقي في شعر سليمان العيسى ديوان الجزائر نموذجا" إعداد الطالب بوعيسى مسعود (2011م) الذي يتطرّق في رسالته إلى البنية الموسيقيّة في شعر العيسى في "ديوان الجزائر" الذي ليس من نتاجاته الطّفوليّة. بناء على هذا بالنّسبة إلى شعر سليمان الطّفولي ودراسة شخصياته الفنتازية لم نعثر على دراسة حتّى الآن، وهذا البحث يكون أوّل دراسة مخصّصة ستتطرّق إلى الجانب الفنتازي من شعر العيسى الطّفولي.

## 2. الفنتازيا

ذُكرت لمصطلح الفنتازي أو الفنتازيا معانٍ مختلفةٍ في القواميس الإنجيليزية. منها الخيال أو قوّة الخيال، الوهم، التصوّر، النّزوة و...[1]. إذا ما راجعنا مصطلح الفنتازيا نجد أنّه «مصطلح قديم استعمله أرسطو، وعنه انتقل إلى فلسفة القرون الوسطى للدّلالة على الصّور الحسيّة في الذّهن، وحلّ محلّه الآن "المخيّلة" بمدلولها الأوسع»[2]. الفنتازي هو جزء من الأدب الذي يحاول أن يخرج الوقائع عن إطار المعتقدات ويحاول كسر العاديّ وكسر التّرابط المنطقي في العلاقات الموجودة بين الأشخاص وحتى بين الأشياء وبهذه الطّريقة يحاول أن تبقى القصّة خالدة في خيال المتلقّي.شيلا اغف النّاقد الكندي في مجال أدب الأطفال يعتقد: «أنّ الفنتازيا هو أدب التّناقض؛ هو كشف الواقع من باطن ما ليس واقعياً؛ وكشف المقبول من باطن ما ليس مقبولاً؛ وكشف المعقول من باطن ما ليس معقولاً. المبدعون في مجال الفنتازيا يمكن لهم أن يستفيدوا من الصوّرالخياليّة ما هو أكثر خيالاً وغرابةً وما هو أبعد عن الذهن ولكنّ الإنتباه وإهتمامهم الأصلي يرجع إلى صحّة روح الإنسان»[3].

عادة الكاتب الفنتازي يحاول من خلال نتاجاته أن يطرح القضايا التي تعدّ من المشاكل الأصليّة وبعبارة أخرى من المعضلات الرّئيسيّة التي يواجهها المجتمع البشري؛ فيوظّف الفنتازيا لطرح أيديولوجياته/أدلجته من أجل إصلاح الأخطاء الإجتماعيّة والتّاريخيّة في المجتمعات البشرية. فنرى أنّ كاتب الفنتازيا هو كاتب أخلاقيّ بالضّرورة، لأنّه يعالج مسائل الواقع بنمط من التّخييل المجازي الذي يعيد صياغة البنى المعرفيّة للواقع وللمجتمع[4]. في الواقع علماء النّفس يرون الفنتازيا دفاعاً أمام الحقائق الكريهة في حياة البشر ويعتبرونه كدواء لعلاج الفشل والحرمان الموجود في حياته[5].

---

[1]. سليمان حييم، **فرهنگ معاصر كوچک**، ص198.

[2]. مجدي وهبة و كامل المهندس، **معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب**، ص278.

4. محمد جاسم جبّارة، **السّرد وفنتازيا الواقع في سرديّات ثامر معيوف**، ص67.

[5]. محبوبة فيض‌نژاد، **فانتزى در ادبيات كودكان**، ص32.

### 3. السّرد

يعتبر علم السّرد أو السّرديّة من العلوم الجديدة التي تستوحي أسسها من البنيوية،دخلت دائرة نقد الأدب الحديث من قبل تزفتان تودوروف سنة 1969م في كتابه "قواعد الديكاميرون" وبعد ذلك إضافة إلى الأدب، استُعمل في المجالات التّاريخيّة والمذهبيّة وحتى السياسيّة والصّحافة. يقول مانفريد في تعريف السّرد: كلّ سرد يعرض لنا قصّة وأنّ القصّة هي تتابع أحداث تستلزم شخصيات. فالسّرد هو وسيلة إتّصال تعرض تتابع أحداث تسببت فيها أو جرّبتها الشّخصيات[1]. عرّف برينس السّرد بأنه «تمثيل حدثين أو موقفين على الأقل في نطاق زمني محدّد على ألّا يكون واحد يستلزم أو يستنتج واحداً آخر»[2]. وجاء في معجم مصطلحات السّردي في تعريف السّرد: «الحديث أو الإخبار (كمنتج وعملية وهدف وفعل وبنية وعمليّة بنائيّة) لواحد أو أكثر من واقعة حقيقيّة أو خياليّة (روائيّة) من قبل واحد أو اثنين أو أكثر (غالباً ما يكون ظاهراً) من السّاردين وذلك لواحد أو اثنين أو أكثر (ظاهرين غالباً) من المسرود لهم»[3]. فالسّرد بلغة بسيطة يكون قصّة أو قضيّة تحدث في مكان وزمان معيّن والسّارد أو الرّاوي ينقله إلى القارئ والسامع.

### 4. منهج بروب المورفولوجيّ

ولد ولوديمير ياكف لويج بروب[4]سنة 1895م بمدينة سانبطرزبورغ في روسيا من عائلة ألمانية. كان طالباً في فقه اللّغة الروسية والألمانية. بعد تخرّجه من جامعة سان بطرسبرج أصبح معلماً للّغة الألمانيّة والروسيّة في المدرسة الثّانويّة. في سنة 1928م نشر أوّل كتابه تحت عنوان "مورفولوجيا القصّة".العمل الذي يعدّ من أوّل الدّراسات المنهجيّة المنتظمة في دراسة السرد؛ والأسبقيّة الأصليّة والهامّة للسّرديّة البنيويّة تقوم عليه.

يبحث بروب في كتابه "مورفولوجيا القصّة" في مائة قصّة من القصص العاميّة (العجيبة) الرّوسيةلأفاناسيف (1826-1871م)[5]. هو يعتبر هذه القصص بناءً منتظماً لايتغيّر من قصّة إلى قصّة أخرى فيقوم أوّلاً بعزل الأجزاء المكوّنة للقصص العجيبة ثمّ يقارن بين القصص حسب أجزائها المكوّنة وتكون نتيجة عمله دراسة في الشّكل[6]؛ يعني وصفاً للقصص تبعاً لأجزائها المكوّنة وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض إضافة إلى علاقتها بالكل[7]. هو أيضا يذكر

---

[1]. يان مانفريد، **علم السّرد**: مدخل إلى نظريّة السّرد، ص12.

[2]. جرالد پرينس، **روايت شناسي**: شكل و كاركرد روايت، ص10.

[3]. جرالد برنس، **المصطلح السّردي**، ص145.

[4]. Vladimir Yakovlevich Propp

[5]. ألكسندر نيكولايفيتش أفاناسيف (Alexander Nikolaevich Afanasiev)، الباحث في الفولكلور الرّوسي والّذي قام بجمع القصص العجيبة في مجموعة تحتوي على ما يقرب من ستمائة نص (بروب، 1996م: 19).

[6]. Une Morphologie

[7]. فلاديمير بروب، **مورفولوجيا القصّة**، ص35.

العناصر الثّابتة والعناصر المتغيّرة؛ الأبطال الموجودة في القصّة (وصفاتها في الوقت نفسه) تكون من العناصر المتغيّرة أما أعمالهم ووظائفهم لاتُغيّر فتكون من العناصر الثّابتة. «فمعرفة ما تقوم به الشّخصيات هو السؤال الوحيد المهم في دراسة القصّة، فأمّا من يقوم بالشّيء وكيف يقوم به فإنّها أسئلة لاتطرح إلّا بشكلٍ ثانويٍ»[1]. فمن هنا نعرف أنّ المهمّ في دراسة بروب المورفولوجي تكون معرفة الشخصيّات وما يتعلق بهم من الأعمال والوظائف. لأنّنا نرى من جهة« وظائف الشّخصيّات تمثّل الأجزاء الأساسيّة في القصّة»[2] ومن جهة أخرى «الشّخوص تحمل القسم الرّئيسي في القصّة»[3]. سنتحدث حول هذه الشّخصيّات ووظائفهم في الفقرات التّالية.

### 5. وظائف[4] الشّخصيّات

وظائف شخصيّات القصّة تكون من الأجزاء الأساسيّة الأصليّة في بناء النص الحكائي[5]. يقول بروب في تعريف الوظيفة: «نعني بالوظيفة، ما تقوم به الشخصيّة من فعل محدّد من منظور دلالته في سير الحبكة»[6]. هو في دراسته يعيّن واحدة وثلاثين وظيفة أصليّة ويجعل لكلٍ منها علامة إصطلاحيّة خاصّة «ستسمح بإجراء مقارنات مبسطة في بنية القصص» على شكل التّصويرة[7]. تتشعّب منها وظائف فرعيّة لسبعة أشخاص: 1. المعتدي أو الشرير 2. المانح أو المزوِد 3. المساعد 4. الأميرة (أو الشّخصيّة موضع البحث) وأبوها 5. الطالب (هو الذي يرسل البطل) 6.البطل 7. البطل المزيف؛ ويعتقد أنّ عدد الوظائف الموجودة في القصّة محدودة ولاتزيد عن واحدة وثلاثين وهي مستقلّة عمّن يفعلها وكيف يؤدّيها؛ يعني هي وظائف الشّخصيّات أيّاً كانت هذه الشّخصيّات وأيّاًكانت الطريقة التي تؤدّي بها هذه الوظائف؛ لأنّ الوظيفة كما قلنا وسيأتي، هي الجزء المكوّنة الأساسيّة للقصّة[8].

### 6. سليمان العيسى شاعر الأطفال

سليمان العيسى –الذي عرف بشاعر الأطفال– شاعر سوريّ ولد في قرية النعيّريّة من توابع أنطاكيّة سنة 1921م. تلقّى ثقافته الأولى على يد أبيه الشيخ أحمد العيسى في القرية. حفظ القرآن، والمعلّقات، وديوان المتنبّي،

---

[1]. **م.ن**، ص37.

[2]. **م.ن**، ص38.

[3]. زهره وند وآخرون، **ریخت‌شناسی داستان لیلی و مجنون جامی**، ص171 نقلاً عن فتح الله بي‌نياز، **درآمدی بر داستان نویسی و روایت شناسی**، ص70.

[4]. Functions

[5]. فلاديمير بروب، **مورفولوجيا القصّة**، ص38.

[6]. **م.ن**، ص38.

[7]. Scheme

[8]. **م.ن**، ص38-98.

وآلاف الأبيات من الشّعر العربي. بدأ كتابة الشّعر في التّاسعة أو العاشرة وكتب أوّل ديوان من شعره في القرية وتحدث في ديوانه عن هموم الفلاحين وبؤسهم. في بداية أمره شارك بقصائده القوميّة في المظاهرات والنّضال القومي الذي خاضه الشّعب ضد الإستعمار الفرنسيّ. واصل دراسته في المرحلة الثّانويّة في حماة واللاذقيّة ودمشق. وسُجن أكثر من مرّة بسبب قصائده القوميّ. أنهى دراسته العالية في دار المعلمّين العالية ببغداد. رجع إلى سوريا وبقى في حلب مدة عشرين سنة من 1947م حتى سنة 1967م. فبدأ بكتابة الشّعر للأطفال بعد نكسة حزيران 1967م. ومنذ ذلك العام إهتمّ بالشّعر الطّفولي إهتماماً خاصّاً. وكتب عدة مجموعات شعريّة للأطفال منها: "ديوان الأطفال"، "أنا والقدس"، "النّعيريّة قريتي"، وبعض قصائده الطّفوليّة المتناثرة في أعماله الأخيرة ومجموعته التي سندرسها في هذا المجال "أراجيح تغنّي للأطفال" التي نشرت في يوليو من سنة 2009م من منشورات دبي الثّقافيّة. ترجم عدد من الآثار الأدبيّة، منها آثار الكتّاب الجزائريين وعدة مجموعات قصصية ومسرحيّة. في تشرين الأوّل من عام 1982م حصل على جائزة "لوتس" للشّعر من اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا؛ وفي عام 1990م انتخب عضواً في مجمع اللّغة العربيّة بدمشق[1]. وأخيراً في سنة 2013م شاعر الأطفال السّوريّ، بعد تحمّل فترة من المرض، وبعد مضي اثنتين وتسعين سنة من عمره ترك دنيا الأطفال ومات بدمشق.

يقول سليمان العيسى عندما يغنّي للأطفال: «أنا أعتقد أنّ الشّجرة العظيمة بنت الغرسة العظيمة. وأنّ الصّغير الذي يحمل في طفولته فكرة كبيرة هو الذي يخلق الوطن الكبير. شعراؤنا –حفظهم الله– ما زالوا يخجلون من وضع بسمة الملائكة على شفتي طفل، أعني من كتابة نشيدٍ للصّغار.. يخجلون أو يترفّعون أو يتهيّبون..لا أدري.. تظلّ النّتيجة واحدة.. ويظلّ أطفالنا محرومين من الأناشيد الجميلة»[2].كما تقول عنه زوجته الدكتورة ملكة أبيض، تحوّل شعره بعد نكسة حزيران 1967م تحوّلاً ملحوظاً ونزع إلى الشّعر الطفوليّ بصفته وسيلة لربط الأطفال إلى مستقبل مشرق وأيّام زاهية[3].

### 7. العناصر المتغيّرة (الشّخصيّات)

يوجد في عمليّة كلّ قصّة عدد من الشّخصيّات التي تساعد في تحقيق الأهداف الموجودة في القصّة. كما يعتقد بروب في منهجه السّرديّ، لكلّ قصّة، سبعة حقول عملٍ معيّنٍ لسبع أشخاصٍ. حقل عمل المعتدي أو الشّرير، والمانح، والمساعد، والأميرة أو الشخصيّة موضع البحث، والطالب، والبطل، وفي النّهاية حقل عمل البطل المزيف. ولكلّ هذه الشّخصيّات وظيفة معيّنة–سنناقشها فيما يلي–ويمكن لها أن تتغيّر؛ فمثلاً يمكن أن تكون شخصيّة البطل

---

[1]. سليمان العيسى، **الأعمال الشّعرية1**، ص479و480.

[2]. ايمان يوسف بقاعي، **سليمان العيسى**: منشد العروبة والأطفال، ص68و69 نقلاً عن مقدّمة مجموعة العيسى **غنّوا يا أطفال**، ص14-17.

[3]. سليمان العيسى، **النّعيريّة قريتي**، ص5.

طفلاً في قصّة أو طائراً جميلاً أو حيواناً في قصّة أخرى أو كلّ شخصيّة يمكن لها أن تقوم بالأعمال البطوليّة. تتغيّر شخصيّة البطل ولكن عمله البطوليّ كالرّحيل من أجل البحث (C↑) وردّ الفعل على مطالب المانح (E) ومثله لايتغيّر. فلهذا السّبب يُطلق على هذه العناصر، العناصر المتغيّرة. لأنّها تتغيّر وتختلف من قصّة إلى قصّة أخرى.

العناصر المتغيّرة أو الشّخصيّات التي تكلّمنا حولها تنعكس في شعر العيسى وفي مجموعته "أراجيح تغنّي للأطفال" بلونٍ فنتازيٍّ جميلٍ يناسب عقليّة الأطفال. وبما أنّ الأطفال يحبّون الفنتازيا إمّا في قالب النثر وإمّا في قالب الشّعر،فيحاول الشّاعر من خلال أعماله الشّعريّة الطفوليّة أن يجذب الطفلَ إلى الفكرة التي يراها مناسبة لتقدّم الوطن العربيولجلب الجيل الجديد إلى الفكرة اللّيبراليّة التي تساعد في «إيقاد شمعة في الظّلام العربي الدّامس»[1]. فيستخدمالتقنيات الفنتازية والشّخصيّات الفنتازيّة التي لها جذّابيّة خاصّة بالنّسبة إلى فكر المتلقّي الصّغير.

بطبيعة الحال لايمكن أن نرى جميع الشّخصيّات السبعة التي ذكرناها، في قصّة واحدة؛ كما لانرى جميع الوظائف الموجودة لشخصيّة واحدة في نفس الوقت. نحن في هذا القسمننتخب سبع قصائدَ من نتاجات العيسى في ديوانه "أراجيح تغنّي للأطفال" وبعد ذكر ملخص من كلّ قصيدة نتطرّق إلى دراسة بناءها الفنتازي وشخصيّاتها الفنتازيّة اعتماداً إلى منهج بروب المورفولوجي. أمّا قبل أن ندخل في دراسة الشّخوص،فيجب أن نذكر أنّ شعر العيسى خلافاً لقصص آفاناسيف–التي يلعب فيها البطل دوراً محوريّاً–يتمحور حول قضايا أخلاقيّة وعندما احتاجت القصّة في مسار حركتها إلى البطل يستعين به. فالشّخصيّة الرّئيسيّة في شعر سليمان ليس **البطل** دائماً ولاتقوم بالأعمال البطوليّة؛ بل تبحث عن تحقق قضيّة أخلاقيّة.

### 7.1. قصيدة "المنزلق"

الأطفال مشغولون باللّعبة ويتسابقون على المنزلق؛ فجأةً تشرق الشّمس وتذوب المساحات المكسوة بالصّقيع؛ فيحزن المنزلق وينشد أنشودته بالحزن والألم لأنّه خلا من الأطفال؛ فيتكلّم عن سعادته بالأطفال: كنت سعيداً بالأطفال/ كنتُ سعيداً ويخاطب الشّلال المرح: يا صوت المرح الشّلال/ صرتَ بعيداً ويطلب من الشّمس أن يردّ ربيعه وسعادته بالأولاد: يا ضوءَ الشّمس الوقّاد/ ذاب صقيعي/ كنتُ سعيداً بالأولاد/ ردَّ ربيعي[2]. الشخصيّة الفنتازيّة الأصليّة في هذه القصيدة تكون "المنزلق" الذّي يُهمهِم ويغنّي الأنشودة بالحزن والألم وتدور القصّة حولها. ثمّ شخصيّة "الشّمس" التي تكون **المعتدية أو الشّريرة** بالنّسبة إلى ما حدث "للمنزلق"؛ لأنّها سطعت وأذابت المساحات المكسوة بالصّقيع، فخلا المنزلق من الأطفال؛ فسبّبت الإخفاء ($A^7$). و"الأطفال" هم الأصدقاء و**المساعدون**. الطّفل يعرف أنّ "المنزلق" لايحرّك ولايتكلّم ولكنّه بطبيعة طفولته يرغب فيه ويستحسنه ويحبّ أن يسمع أنشودته، كما سنرى في القصائد التّالية.

---

[1]. سليمان العيسى، **أراجيح تغنّي للأطفال**، ص5.

[2]. **م.ن**، ص33.

### 7.2. قصيدة "لمياء والحمل"

في يوم من الأيّام حضر موزّع البريد رسالةً في ظرف أزرق للمياء الصّغيرة؛ رسالةٌ من صديقها الحمل الصّغير الذي رعته ثم تركته في المزرعة ليرعى مع القطيع. بعد أن كبر الحمل وأصبح خروفاً،كتب رسالته للمياء وسمّاها في الرّسالة منحة السّماء له. ويحكي لها بأنّه كبر ويأكل من العشب الأخضر؛ يلهو ويطفر في الحقول. يحكي بأنّه اشتاق لها ويحبّ أن يلقاها في الصّباح والمساء: أحبّ أن ألقاكِ في الصّباح والمساء/ أحبّ أن تزورني صديقتي لمياءلأنّها أعطته الأمان والحنان حينما افتقد أمّه: أنت التي أعطيتِني الأمان/ والدّفء والحنان/ وكنتِ أمّي الحلوة الصّغيرة/ حين افتقدتُ أمّي الكبيرة[1]. القصّة تُحكى على لسان "الحمل الصّغير" الّذي يبحث عن صديقته "لمياء" ويعتبرها كـ**بطل**لأنّها اهتمّتبه اهتماماً تامّاً وربّته في المزرعة.و"لمياء" إن لمتقم بالأعمال البطوليّة لكنّها بالنّسبة إلى "الحمل" تكون بطلة صغيرة تحميه دائماً. ولكن موجّهاً إلى القالب الّذي يعرضه بروب فـ"لمياء" بالنّسبة إلى "الحمل" تكون صديقته (**المساعد**) التي تقوم بإصلاح الإساءة أو سدّ الحاجة (K). كما يظهر في القصيدة، "الحمل" هو الشّخصيّة الفنتازيّة التي يستخدمه الشّاعر لإلقاء فكرة الصّداقة إلى عقل متلقّيه الصّغير. فيتصوّر الطّفل في عالمه الطّفوليّ "الحمل" الذي يلعب مع الأطفال، يتكلّم وحتّى يكتب الرّسالة.

### 7.3. قصيدة "صديق الفقراء"

كان قاطعالأحجار المسكين يضرب الصّخرة بفأسه وهو يشكو عمله الشّاق المرهق ويحلم بالرّاحة والعيش الرّغيد. فجأةً أجابه صوتٌ من أعلى الجبل. فيرى قاطع الأحجار أنَّ جنّياً يطير فوق الجبل وينشد بأنَّه جنّي ذوالقلب الرّحيم ويعيش في هذا الجبل العالي وتلك الصخرة بيته: أنا الجنّي ذوالقلب الرّحيمِ/ وهذا الشّامخ العالي تخومي. يطير ويحلّق في الفضاء ويقول الشعر ويكتبه بأجنحة الغيوم. يساعد النّاس وينجدهم حينما يأتونه هاربين من الهموم ويصاحب الفقراء ويجيئهم أينما كانوأخفّ من النّسيم: أنا الجنّي والفقراءُ صحبي/ أجيئُهمُ أخفَّ من النّسيمِ[2]. الشّخصيّتان الأصليّتان في هذه القصيدة هما "قاطعالأحجار" و"الجنّي" والشّخصيّات الفرعيّة في إطار هذه القصيدة هم "الفقراء". "قاطعالأحجار" يكون الشّخصيّة الأصليّة أي **البطل**، و"الجنّي" هو شخصيّة **المساعد** في مسار القصّة. فـ"الجنّي" الذي يعدّ من الشّخصيّات الفنتازيّة في القصيدة، في حقل عمله يتبرّع لـ**لبطل**ويحاول لإصلاح الإساءة أو سدّ الحاجة (K) ويظهر على البطل –الذّي يمكن له أن يتغيّر في قضيّة أو مغامرة أخرى– لإنجاز المهمّات الصّعبة (N).

### 7.4. قصيدة "جنّيّة اللّهب"

كان جابرُ يجلس أمام النّار، يتأمّل اللّهب المشتعل وهو يتراقص أمامه. كانت "جنّيّة النّار" تظهر له من فوق اللّهب وتلاطفه وتقصّ له القصّة. ذات يومٍ اختفت صديقته الجنّيّة فجأةً ولم يجد لها أثراً فراح يناجيها ويغنّي لها

[1]. **م.ن**، ص138و139.

[2]. **م.ن**، ص162.

أنشودته: صديقتي الجميلة جنّيّة اللّهب/ أين اختفيت فجأةً لو أعرف السّبب؟/ قد كنتِ يا جنّيّتي أليفة رقيقة/إنّي نسيتُ وحدتي مذ صرتِ لي رفيقة[1]. في هذه القصيدة لدينا شخصيّتان أصليّتان، هما "جابر" الشّخصيّة التي يمكن لنا أن نعدَّها **البطل** و"جنّيّة النّار" الشّخصيّة الفنتازيّة التي تلعب دور**المساعد** أو **شخصيّة موضع بحث البطل**. وأمّا هناك شخصيّة فنتازيّة أم غيرفنتازيّة أخرى يلزم وجودها، لأنّها تسبّب في إختفاء "جنّيّة النّار"، ورغم أنّنا لانرى هذه الشّخصيّة مباشرة، لكنّها موجودة في باطن القصّة.

**7.5. قصيدة "أمّ الرّيح"** في يومٍ من الأيّام هبّت عاصفة شديدة، حطّمت الأغصان واقتلعت الأشجار، ولمتترك شجرة واحدة في حديقة العمّ نبْهان. قررّ العمّ نبهان أن يذهب لمقابلة "أمّ الرّيح" لكي تعوضّه عن هذه الخسارة الشديدة. فحينما اقترب من منزل "أمّ الرّيح"، رآها جالسة على باب الدّار وهي تنشد أنشودتها الجميلة بصوت مرحٍ طروبٍ؛ وتصرّح بأنَّ: لولاي لما اهتزّ الغصنُ/ أو طاب لساكنه سكنُ...،تحبّ النّاس وتروي لهم القصص والحكايات. تمرّ على القمم وعلى السّهول الخضراء ورغم عصفها الشّديد طيّبة القلب ولاتؤمّن إلّا بالحبّ: لا أدري كيف أثور/ من منكم ليس يثور؟/ أنا أمّ الرّيح؟/ لكنّي طيّبة القلب/ لا أومن إلّا بالحبّ[2].كمانشاهد في هذه القصيدة توجد شخصيّتان أصليّتان هما "العمّ نبهان" و"أمّ الرّيح". يقع "العمّ نبهان" في موضع **البطل** الباحث الّذي يبدأ بالرّحيل من أجل البحث (C↑)؛ و"أمّ الرّيح" التي تعدّ من الشّخوص الفنتازيّة المستعملة في القصّة الشّعريّة وتقع بداية في موضع **المعتدي** أو **الشّرّير**. لأنَّ ذُكرت لها صفاتٌ كاقتلاع الأشجار وتحطيم الأغصان ومثلها من الصّفات السّلبيّة. ولكنّها بعد أن يبدأ **البطل** بالبحث تُبدّل إلى شخصيّة فنتازيّة أخرى التي يمكن أن تكون **المساعد** بنوعٍ ما، لأنّها تقوم بإنجازِ مهمّةٍ تجاه **البطل**؛ وإن تكن مهمّتها سهلة وبسيطة ولكنّها توضّح حقلَ عملها وتفصله من **المعتدي**.

**7.6. قصيدة "الشّمس التي تأخّرت"**

تعبت الشّمس ذات يومٍ فقرّرت أن تستريح، وظلّت نائمةً خلفَ الأفق ساعاتٍ طويلةً من النّهار. حزن الأولاد والطّيور والأزهار وأخذ الجميع يطالبونها بالعودة والشّروق. فأجابت نداءهم وعادت وهي تُنشد في فرحٍ وبهجةٍ: جئت إليكم يا أطفال/ جئتُ إليكم /أُلقي نفسي يا أطفال/ بين يديكم /جئتُ إليكم يا أولاد/ ملءَ السّاح/ سوف نكون على ميعاد/ كلّ صباح/ لن أتأخّر يا أطفال/ لن أتأخّر/ إنّي قادمة في الحال/ تبراً أصفر.وتستمر: انتظروني في السّاحات/ انتظروني/ لي معكم أحلى السّاعات/ انتظروني[3]. لدينا شخصيّة فنتازيّة أصليّة في هذه القصيدة وهي "الشّمس" التي يوضّح حقل عملها في العلاقة بسائر الشّخوص الموجودة في القصّة وهم الأطفال والطّيور والأزهار. فتظهر "الشّمس" ك**بطل** يبدأ بالرّحيل (↑)، ولكن كما يبدو لاتقوم بأعمالٍ بطوليّةٍ خاصّة. بل هي تسمع نداءً وتبدأ

[1]. **م.ن**، ص 92و93.

[2]. **م.ن**، ص 180و181.

[3]. **م.ن**، ص 58و59.

بالشّروق جواباً لما يُطلب منها.فيظهر الأطفال كـ**طالب** يبدأ بالنّداء ويطلب المساعدة (B[1]).

### 7.7. قصيدة "رسالة اعتذار"

ذات يومٍ التَهَم الظّبيُ الصّغير شادنٌ شجرةَ صديقتها عفراءَ خطأً. فأرسل رسالته الشّعرية إلى عفراء ليحيّيها ويعتذر لها عن التهام شجرتها الجميلة ويدعوها إلى زيارته في البرّيّة. فأخذ يغنّي أنشودته وكتب لها في الأنشودة أنّه قضمَ الشّجرة سهواً وطلب منها أن تقبلَ معذرته: سهواً قضمتُ الشّجرة/ هل تقبلين المعذرة؟وكتب بأنّه يعيش على الأوراق والأعشاب الطّريّة الغضّة مع سائر أصدقائه؛ فدعاها إلى عالم الظّباء وإلى حبّهم الّذي يؤدّي إلى السّعادة وإلى الشّمس (النّور) والحرّيّة[1]. هنا يكون الظّبي الصّغير، الشّخصيّة الأصليّة والفنتازيّة التي تحْدث الحكاية حوله ويخلق فضاءً فنتازيّاً. لكنّه ليس **البطل**. هو بالنّسبة إلى "عفراء" يعدّ **الطالب** الّذي ينادي أو يرسل **البطل** (B). فيبعث الرّسالة لدعوة صديقته. أمّا "عفراء" في قصّتنا هذه تكون **البطل المساعد**[2]الّذي يبدأ بالرّحيل ويقوم بسدّ الحاجة (C↑K) ويُكمل حقل عمله برَدِّ ما يطلُب منه.

### 8. العناصر الثّابتة (الوظائف)

كما رأينا في الفقرات السّابقة، لكلّ قصّة عناصر متغيّرة وعناصر ثابتة. تطرّقنا إلى العناصر المتغيّرة وحدّدناها في عدة قصائد من نتاجات سليمان العيسى. أمّا العناصر الثّابتة التي جئنا بتعريفها سابقاً، وقلنا أنَّ هذه العناصر تكون من الأجزاء الأصليّة الأساسيّة في بناء النّص الحكائيّ، أيضا تكون من الموادّ المهمّة في دراستنا هذه. فالعناصر الثّابتة في منهج بروب المورفولوجي هي الوظائف التي تتكرّر للشّخصيّات التي تختلف من قصّة إلى قصّة أخرى. فيصنِّف بروب ملاحظاته حول العناصر الثّابتة هكذا: 1.« إنّ العناصر الثّابتة الدّائمة في القصّة هي وظائف الشّخصيّات أيّاً كانت هذه الشّخصيّات، وأيّاً كانت الطّريقة التي تؤدّي بها هذه الوظائف. فالوظائف هي الأجزاء المكوّنة الأساسيّة للقصّة. 2. إنّ عدد الوظائف الّذي تحتوي عليه القصّة العجيبة محدود. 3. إنّ تتالي الوظائف هو نفسه على الدّوام. 4. فكلّ القصص العجيب ينتمي من حيث بنيته إلى نفس النّمط»[3]. فهو يعرّف عدداً محدوداً من الوظائف (واحدة وثلاثين وظيفة) للشّخوص السّبعة وقبل هذه الوظائف يذكر الحالة البدئيّة.

يتصوّر بروب لكلّ قصّة حالة بدئيّة معيّنة ويعتقد أنّها لاتُعدّ وظيفة ولكنّها تمثّل عنصراً مورفولوجيّاً مهمّاً، فيحدّدها بالحرف α. ثم يأتي بالوظائف وينتخب لكلّ منها علامة معيّنة. نحن في هذا المجال نتطرّق إلى دراسة وظائف شخصيّات القصص السبعة التي درسناها من حيث العناصر المتغيّرة؛ ثم نأتي بتصويرة كلّ قصّة. أمّا هناك ملاحظتان

---

[1]. **م.ن**، ص 30و31.

[2]. في حال غياب المساعد تنتقل هذه الصّفة (صفة المساعدة) إلى البطل فتكون النّتيجة صورة "بطل منتبئٍ" (فلاديمير بروب، **مورفولوجيا القصّة**، 101).

[3]. فلاديمير بروب، **مورفولوجيا القصّة**، ص 38-40.

لابدّ أن نشير إليهما قبل أن ندخل في دراسة الوظائف. وهما أوّلاًأنّ في منهج بروب المورفولوجي في بناء قصص آفاناسيف، عادة بعد ذكر الحالة البدئيّة تبدأ القصّة بتجاوز الحظر(نقض النّهي/$\delta^1$) أو بشرارة المعتدي أو الشّرير، لكنّه في قصائد العيسى الطّفوليّة لانرى هذا الحكم دائماً؛ وثانياً يجب أن ننتبه أنَّ قصائد سليمان الطّفوليّة موجّهة إلى تحمّل متلقّيه الصّغير، عادةً تكون قصيرةً؛ فلذلك ستكون "تصويرة" القصائد أو القصص، قصيرة أيضاً.

### 8.1. قصيدة "المنزلق"

الأطفال مشغولون باللّعبة ويتسابقون مع بعض على المنزلق(الحالة البدئيّة $\alpha$). فجأةً تشرق الشّمس وتذوب المساحات المكسوة بالصّقيع (سرقة أو اتلاف شيءٍ $A^3$ ثمّ سبب الإخفاء $A^7$)؛ فيحزن المنزلق (البطل يخضع لفعل المعتدي $\theta^2$) وينشد أنشودته بالحزن والألم (البطل يستجيب آلياً لخدعة المعتدي $\theta^3$) لأنّه خلا من الأطفال؛ فيتكلّم عن سعادته بالأطفال ويخاطب الشّلال المرح ويطلب من الشّمس أن يردّ ربيعه وسعادته بالأولاد (الحاجة a وأشكالأخرى للحاجة $a^6$). فتكون تصويرة القصيدة هكذا:

$$\alpha\ A^3\ A^7 \theta^2\ \theta^3 a^6$$

### 8.2. قصيدة "لمياء والحمل"

في يوم من الأيّام حضر موزّع البريد رسالةً (التّحضير لنقل شيءٍ إلى البطل D، ثمّ وضع الأداة تحت تصرّف البطل وتداول الأداة إليه $F^1$) في ظرف أزرق للمياء الصّغيرة (الحالة البدئيّة $\alpha$)؛ رسالةٌ من صديقها الحمل الصّغير الذي رعته ثم تركته في المزرعة ليرعى مع القطيع (ردّ فعل البطل E فالإستجابة للإسترحام$E^5$). بعد أن كبر الحمل وأصبح خروفاً، كتب رسالته للمياء وسمّاها في الرّسالة منحة السّماء له. يحكى لها بأنّه كبر ويأكل من العشب الأخضر؛ يلهو ويطفر في الحقول(الزّواج وإرتقاء سدّة العرش [الحدث الحسن] $W^*_*$). يحكي بأنّه اشتاق لها ويحبّ أن يلقاها في الصّباح والمساء لأنّها أعطته الأمان والحنان حينما افتقد أمّه.

كما نشاهد تُذكر وظيفة $E^5$التي تتعلّق بالبطل، في بناء القصيدة بعد $F^1$، فيُحسب أنّها خلاف الأصل، لكنّها في الحقيقة تحدث قبل الوظيفة التي تتعلّق بردّة فعل البطل. فتكون تصويرة القصيدة هكذا:

$$\alpha\ D\ E^5\ F^1\ W^*_*$$

### 8.3. قصيدة "صديق الفقراء"

كان قاطعالأحجار المسكين يضرب الصّخرة بفأسه وهو يشكو عمله الشّاق المرهق (الحاجة إلى مساعد سحريّ 2a ثمّ مرحلة الرّبط والنّداء لطلب المساعدة $B^1$ ونشيد نائح $B^7$) ويحلم بالرّاحة والعيش الرّغيد (الحاجة إلى المال أو الطّعام$a^5$)[الحالة البدئيّة $\alpha$]. فجأةً أجابه صوتٌ من أعلى الجبل (إصلاح الإساءة أو سدّ الحاجة K) فيرى قاطع الأحجار أنَّ جنّي يطير فوق الجبل (إصلاح الإساءة مباشرة $K^4$)وينشد بأنَّه جنّي ذوالقلب الرّحيم ويعيش في هذا الجبل العالي وتلك الصخرة بيته. يطير ويحلّق في الفضاء ويقول الشعر ويكتبه بأجنحة الغيوم. يساعد النّاس وينجدهم

حينما يأتونه هاربين من الهموم ويصاحب الفقراء ويجيئهم أينما كانوا أخفّ من النّسيم (معالجة الفقر بفضل استعمال الأداة السّحريّة من قبل المساعد $K^6$). التصويرة التي تحصل لنا من هذه القصيدة ستكون هكذا:

$$\alpha a^2\ a^5\ B^1\ B^7\ K^4\ K^6$$

### 8.4. قصيدة "جنّيّة اللّهب"

كان جابرُ يجلس أمام النّار، يتأمّل اللّهب المشتعل وهو يتراقص أمامه (الحالة البدئيّة $\alpha$). كانت "جنّيّة النّار" تظهر له من فوق اللّهب وتلاطفه وتقصّ له القصّة. ذات يومٍ اختفت صديقته الجنّيّة فجأةً (إساءة أوّليّة $\lambda$ثمّ الإخفاء $A^7$ وسبب الإخفاء الّذي لم يُذكر) ولم يجد لها أثراً (الإعلام بالإساءة تحت أشكالٍ شتّى $B^4$) فراح يناجيها ويغنّي لها أنشودته: أين اختفيتِ صديقتي الجميلة وما هو سبب الإختفاء؟ أنا نسيتُ وحدتي مذ صرتَ رفيقتي وأميرتي الجميلة(نشيد نائح $B^7$). فتكون التّصويرة هكذا:

$$\alpha\ \lambda\ A^7\ A^7{}_1\ B^4\ B^7$$

### 8.5. قصيدة "أمّ الرّيح"

في يومٍ من الأيّام هبّت عاصفة شديدة (الإساءة الأوّليّة $\lambda$) [الحالة البدئيّة $\alpha$]. حطّمت الأغصان واقتلعت الأشجار، ولمتترك شجرة واحدة في حديقة العمّ نبْهان (سرقة البذار أو اتلافها $A^3$).قررّ العمّ نبهان أن يذهب لمقابلة "أمّ الرّيح" لكي تعوضّه عن هذه الخسارة الشديدة (الرّحيل من أجل البحث $C\uparrow$). فحينما اقترب من منزل "أمّ الرّيح" ($\theta^1$)، [يبدّل الشّرّير إلى المساعد]: رآها جالسة على باب الدّار وهي تنشد أنشودتها الجميلة بصوت مرحٍ طروبٍ (التّخلّص من التّلف $Rs^9$)؛ وتصرّح بأنَّ لولاها لما اهتزّ الغصنُ...، تحبّ النّاس وتروي لهم القصص والحكايات. تمرّ على القمم وعلى السّهول الخضراء ورغم عصفها الشّديد طيّبة القلب ولاتؤمن إلّا بالحبّ (إنجاز المهمّة أو حلّها N). تصويرة هذه القصّة هكذا:

$$\alpha\ \lambda\ A^3\ C\uparrow\ \theta^1\ Rs^9\ N$$

### 8.6. قصيدة "الشّمس التي تأخّرت"

تعبت الشّمس ذات يومٍ فقرّرت أن تستريح(رحيل البطل $\uparrow$)، وظلّت نائمةً خلفَ الأفق ساعاتٍ طويلةً من النّهار[الحالة البدئيّة $\alpha$]. حزن الأولاد والطّيور والأزهار (الوساطة مرحلة الرّبطB) وأخذ الجميع يطالبونها بالعودة والشّروق (النّداء$B^1$). فأجابت نداءهم (جواب لطيف $E^2$) وعادت وهي تُنشد في فرحٍ وبهجةٍ (عودة البطل $\downarrow$): جئت إليكم يا أطفال وألقي نفسي بين يديكم. ففي كلّ صباحٍ سوف نكون على ميعاد ولن أتأخّر أبداً. انتظروني في السّاحات لكي أكون معكم أحلى السّاعات (استجابة للطّلبات $E^7$ثمّ الحدث الحسن $W^*{}_*$). فتصويرة القصّة ستكون هكذا:

$$\alpha \uparrow B^1\ E^2 \downarrow E^7\ W^*_*$$

### 8.7. قصيدة "رسالة اعتذار"

ذات يومٍ التَهَم الظّبيُ الصّغير شادنٌ شجرةَ صديقتها عفراءَ خطأً (الحالة البدئيّة $\alpha$). فأرسل رسالته الشّعرية إلى عفراء (الإرسال $B^2$)ليحيّيها (النّداء $B^1$) ويعتذر لها عن التهام شجرتها الجميلة (الإسترحام $D^5$) ويدعوها إلى زيارته في البرّيّة (طلبات أخرى [الدّعوة] $D^7$). فأخذ يغنّي أنشودته (نشيد نائح $B^7$) وكتب لها في الأنشودة أنّه قضمت الشّجرة سهواً وطلب منها أن تقبلَ معذرته (الإسترحام $D^5$). كتب بأنّه يعيش على الأوراق والأعشاب الطّريّة الغضّة مع سائر أصدقائه؛ فدعاها إلى عالم الظّباء وإلى حبّهم الّذي يؤدّي إلى السّعادة وإلى الشّمس (النّور) والحرّيّة.

توجد في القصّة صورة مستترة أيضا من الوظيفة للبطل المساعد؛ تكون علامتها الإصطلاحيّة $C\uparrow K$(بدءُ الرّحيل لسدّ الحاجة). فتصويرة قصتنا الشّعريّة تكون هكذا:

$$\alpha\ B^1\ B^2\ B^7\ D^5\ D^7 C\uparrow K$$

### 9. النّتيجة

توصّلت الدّراسة لسرديّة الشّخصيّات الفنتازيّة في مجموعة "أراجيح تغنّي للأطفال" من منظار الشّكلانيّ الرّوسي فلاديمير بروب، إلى عدد من النّتائج التي يمكن لنا أن نلخّصها في ما يلي:

– توجد في قصائد العيسى الطّفولية عدّة شخصيّات فنتازيّةمنها المنزلق، والشّمس، والجنّيّة، وجنيّة اللّهب، والحَمَل، وأمّ الرّيح والظّبي و.. . استُعملت هذه الشّخصيّات أحياناً كالبطل وأحياناً أخرى كالمساعد أو شخصيّة موضع البحث أو الطالب أو المانح؛ ولكن لا نرى شخصيّة البطل المزيف في بناء هذه القصص الشعريّة كما نراها في قصص موضع دراسة بروب.

– انتُخبت الشّخصيّات الفنتازية الموجودة في مجموعة الشّاعر من بين الحيوانات وما يتعلّق بالطّبيعة كالأشجار والنّباتات، لأنّ للطّبيعة مدىً واسعاً في شعر العيسى الطّفولي.

– مع أنّنا لا نرى تشابهاً ملحوظاً بين كيفيّة رواية قصائد العيسى والقصص العجائبيّة الرّوسيّة،لكن من خلال دراستنا هذه، تبيّن لنا أنّالمنهج المورفولوجي الّذي وظّفه بروب في دراسة تلك القصص يكون أسلوباً منتظماً كاملاً يناسب دراسة النّصوص السّردية نثراً وشعراً.

– مع أنّ بروب في منهجه المورفولوجي يعرّف واحدة وثلاثين وظيفة فقط لشخصيّات القصص، لكنّه يعطينا إمكانيّاتٍ نستطيع بإستخدامها أن نستورد عدداً من الوظائف الجديدة في دراسة بناء القصص الأخرى.

– إنَّ قصائد العيسى الطّفولية—خلافاً للقص المدروسة في مشروع بروب– لا تبدأ بشرارة المعتدي حتى تحتاج إلى البطل وإلى العمل البطوليّ لدفع الشّرارة؛ بل أنّها تبدأ عادة بحركة الشّخصيّة الأصليّة التي تبحث عن تحقّق قضيّة أخلاقيّة وتوصيل المتلقّي إلى الفكَرة الإيجابيّة.

– يحاول الشّاعر من خلال قصائده أن يعطي الطّفلَ أفقَ تفكيرٍ واسعاً ويجعله متحرّراً؛ فعلاوة علىتعرّف الأطفال بالواقعيّات المعهودة يوظّف الشّخصيّات الفنتازيّة لنقلهم إلى عالم طفولي وراء الحقيقة.

**قائمة المصادر والمراجع**

**العربيّة:**


1. برنس، جيرالد، **المصطلح السّردي**، ترجمة عابد خزندار، الطّبعة الأولى، القاهرة: المجلس الأعلى للثّقافة، 2003م.
2. بروب، فلاديمير، **مورفولوجيا القصّة**، ترجمة عبدالكريم حسن وسميرة بن عمّو، الطّبعة الأولى، دمشق: شراع للدراسات والنّشر والتّوزيع، 1996م.
3. جاسم جبّارة، محمّد، «السّرد وفنتازيا الواقع في سرديّات ثامر معيوف»، **مجلّة دراسات موصليّة**، العدد 21، أبريل 2008م، صص 65-75.
4. العيسى، سليمان، **أراجيحُ تغنّي للأطفال**، لاطبعة، دبي: دبي الثّقافيّة، 2009م.
5. **الأعمال الشّعريّة1**، الطّبعة الأولى، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 1995م.
6. **النّعيريّة قريتي**، الطّبعة الأولى، دمشق: اتّحاد الكتّاب العرب، 2012م.
7. مانفريد، يان، **علم السّرد (مدخل إلى نظرية السّرد)**، ترجمة أماني أبورحمة، الطّبعة الأولى، سورية: دار نينوى، 2011م.
8. وهبة، مجدي والمهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب**، الطّبعة الثّانية، بيروت: مكتبة لبنان، 1984م.
9. يوسف بقاعي، ايمان، **سليمان العيسى منشد العروبة والأطفال**، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1994م.


**الفارسيّة:**


10. پراپ، ولاديمير، **ريخت‌شناسى قصه‌هاى پريان**، ترجمه فريدون بدره‌اى، چاپ اول، تهران: توس، 1368ش.
11. پرينس، جرالد، **روايت‌شناسى: شكل وكاركرد روايت**، ترجمه محمد شهبا، چاپ اول، تهران: مينوى خرد، 1391ش.
12. حييم، سليمان، **فرهنگ معاصر كوچک**، چاپ پانزدهم، تهران: فرهنگ معاصر، 1387ش.
13. زهره‌وند، سعيد و همكاران، «ريخت‌شناسى داستان ليلى ومجنون جامى»، **پژوهشنامه ادب غنايى دانشگاه سيستان و بلوچستان**، شماره 23، پاييز و زمستان 1393ش، صص 169-190.
14. فيض‌نژاد، محبوبه، «فانتزى در ادبيات كودكان»،**رشد آموزش پيش دبستانى**، شماره 3، بهار 1389ش، صص 32-35.
15. نيدلمن لين، راث، «فانتزى فرار از واقعيت يا ارتقاى واقعيت؟»،ترجمه حسين ابراهيمى الوند، **پژوهشنامه ادبيات كودك ونوجوان**، شماره 23،زمستان 1379ش، صص 7-31.

# لغة الحوار الروائي بين الفصحى والعامية .

**د. دحماني شيخ**

**جامعة مولاي الطاهر– سعيدة.**

**ملخص البحث:**

يعرض البحث إشكالية مهمة تتعلق بالرواية العربية الحديثة، وهي لغة حوار شخصيات هذه الرواية .وكيف يكتبه الروائي أبالفصحى أم بالعامية الدرجة أم بلغة وسطى ؟ هذا ماحاول البحث الإجابة عنه شكل موضوعي من خلال عرض الآراء ومناقشتها .

**–الكلمات المفتاحية :** الرواية، حوار،لغة، شخصيات، فصحى، عامية.

Abstract :

The essences of recearch is important related to the moderne arabic novel,the language of the dialogue of the characters of this novel and how the novelist writs with a classical or a colloquial language or a middle language, this is what the research sougth to ancwer objectively by presenting and discussing the views .

The keywords : the novel, dailogue, language, characters,the classical language , the colloquial languag .

**تمهيد:**

يشكل الحوار في عملية الإبداع القصصي أهمية عظيمة، بوصفه خاصية أسلوبية وأداة لغوية إبداعية، قادرة على بث الحياة وضخها في الهياكل الخيالية التي يقوم بتشكيلها المبدع في إبداعه الأدبي، فتتخلف هذه الشخصيات في رحم الإبداع وتولد– خلال الحوار– لتعمر هذا الكون الإبداعي الممتلئ بالنضارة والجدة، حتى لتبدوا كأنها شخوص حقيقية وممتلئة بالحياة. فإذا كان الحوار بهذه الخصوصية الإبداعية، وهذا الخطر في تشكيل الإبداع الأدبي سيما القصة والرواية ! ! فلابد أن تكون لغته على هذه الدرجة من الرقي والنضارة التي تصل إلى حد الإيداع. فيخيل إلينا أننا نقرأ مثل هذه الألفاظ لأول مرة، وكأن هذا الأديب هو أول عذرها وهو أول من استعملها وافترعها، مع أننا كنا نعرف ذلك اللفظ من قبل، "ولكن لاسواء معرفتك لفظا قابعا في المعجم، واستعمالك له ، فتحوله إلى عروس مجلوة، وإلى شهد عسل مشتار، وإلى وردة تعبق الشذى، وإلى كائن يطفح بالحياة... لغة إبداعية قابلة للتغيير بحكم زئبقية الخيال العالم

فيها، وبحكم الحرية الفنية التي يتمتع بها الأديب حين يلعب بلغته، وهو ينفخ فيها من روحه معاني جديدة، ويحملها طاقات دلالية لم يعهدها أحد فيها من قبل"[1].

وقبل الخوض في لغة الحوار الروائي والقصصي وما دار حوله من خلاف وتجاذب وأراء بين داع إلى كتابته باللغة العربية الفصحى وآخر إلى كتابته بالعامية اليومية وثالث إلى كتابته بلغة وسطى لاهي فصحى ولا هي عامية، نود أن نقدم لذلك بمقدمة نبين فيها أهمية اللغة عموما، واللغة الإبداعية على وجه الخصوص وما أثاره حولها الفلاسفة وعلماء اللغة والنقاد من أراء .

## I. اللغة واللغة الإبداعية:

لم تبرح المسألة اللغوية تشغل الفلاسفة والمفكرين منذ الأزل، ابتداء من: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو طاليس إلى هيدجر ، مرورا بابن جني وابن سينا، وعبد الرحمن بن خلدون، وما ذلك إلا لأن اللغة هي التفكير، وهي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها، بل هي الحياة نفسها، إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة، فهو لا يفكر إذن إلا داخلها، أو بواسطتها، فهي التي تتيح له أن يعبر عن أفكاره فيبلغ مافي نفسه، ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه... الحب دون لغة يكون بهيميا، والإنسان دون لغة يستحيل إلى لا كائن، بل إلى لا شيء.إن اللغة لهي المعرفة، وإنها لهي الخصوصية والاختلاف في الوقت ذاته. فأنا عربي لأني أتكلم اللغة العربية، فالعربية هي التي تحدد خصوصيتي وهويتي الحضارية.من أجل كل ذلك يجب أن" تكون اللغة عظيمة الشأن، رفيعة القدر، كريمة المكانة، عالية القيمة: لدى كل الأمة، لأنها هي مضطرب تاريخها وحضارتها وجراب رقيها وانحطاطها. ومن أجل كل ذلك كله يجب أن نعير أهمية بالغة للغة الإبداع، وذلك على أساس أنها هي مادة هذا الإبداع وجماله ومرآة خياله، فلا خيال إلا باللغة ولا جمال إلا باللغة، ولا صلاة إلا باللغة، ولا حب إلا باللغة، ولا حضارة إذن إلا باللغة... فهل بعد كل هذا يمكن أن ندبج كتابة، أو نكتب أدبا، أو نقرأه خارج اللغة ؟ "[2]. إن الأدب الذي يمثل الجنس الروائي فيه المادة الأدبية الأولى على عهدنا هذا، إذن هو اللغة نفسها. والحوار في الرواية(( وفي كل نوع أدبي يرد فيه يتعدى كونه لغة إلى أن يكون، كما يرى البعض، جزءا من السرد، وأحيانا وسيلة تقنية، تسهم في تطوير الحدث والسير بالخط الروائي إلى الأمام، ولكنه... يبقى لغة وربما نعده جزءا من عنصر اللغة أو الأسلوب، أو على الأقل يبقى أن أهم مافيه لغته))[3]. فاللغة أداة أو وسيلة أو واسطة لتوصيل معنى غير أنها بحد ذاتها وبمعزل عن صاحبها لا تشتمل على هذا المعنى، بل تشتمل عليه بإرادة صاحبها الواعي وغير الواعي وفي ما يختاره لها، فهو الذي يضع ذلك في ما يسمى عموما (كلاما) ونظما وتأليفا(خطابا) بجمع وحداتها(المفردات) إلى بعضها. لكن لكل من هذه الوحدات(معنى) أو (مدلولا) مجردا أو (إشارة) أو(علامة) غير ذات فائدة حقيقية بذاتها لمتلقيها. لذلك فهي ليست لغة لأنها غير قادرة على التوصيل. إذ

[1] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشروالتوزيع ، وهران ، الجزائر 2004، ص: 141.

[2] – المرجع السابق، ص: 145.

[3] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، ط1 ،2012 ، ص: 10

بدون جمع الألفاظ بعضها إلى بعض لا تكون لغة، وبدون أن تكون لغة موصلة وبدون أن يفهمها المتلقي فإنها لا تحقق الفائدة، إذ هي بهذا الجمع فقط تفيد[1]. يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا السياق:(( الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب))[2]. ومن هنا سيكتسب التركيب في الحوار أهمية أكثر مما تكتسبه المفردات مع عدم تجاوز أهمية هذه المفردات بالطبع كونها الجزئيات أو الوحدات التي يتشكل منها، خصوصا إذا عرفنا أن الكثير منها لا تكون لها الدلالة نفسها أينما وردت، يل هي لا تكتسب دلالة مقصودة إلا عبر ورودها في التركيب وتعلقا بصائغه[3] إذا فاللغة في الرواية بما فيها الحوار(( هي أهم ما ينهض عليه بناؤها الفني، فالشخصية تستعمل اللغة، أو توصف بها، أو تصف هي بها، مثلها مثل المكان...والزمان والحدث...فما كان ليكون وجود لهذه العناصر، أو المكونات، في العمل الروائي لولا اللغة ولما كانت الرواية جنسا أدبيا فقد كان منتظرا منها أن تصطنع اللغة الأدبية التي تجعلها تعتزي إلى الأجناس الأدبية بامتياز))[4]. فاللغة كانت ومازالت وسيلة الإنسان لترجمة مشاعره وبيان حاجاته، أي أنها وسيلة للتواصل مع الآخرين، وفيما يخص العمل القصصي " فاللغة فيه كانت ومازالت أداة معبرة متى تحققت لها صحتها اللغوية وتماسكها العضوي وجمالها غير المبالغ فيه، وملائمتها للأشخاص وتأثيرها الطيب أمكن أن تقدم عن طريقها التجربة القصصية، ولذلك وجب أن تكون عامل بناء في الفن القصصي وعامل تعبير عن الآراء والأفكار، فاللغة إذن في القصة هي اللغة القادرة على إيصال الحوادث و المواقف إلى المتلقي بكل سهولة ويسر، ولا سيما أنها حين تدور على لسان الشخصية تصبح وعاء يعبر عن الذات الإنسانية في لحظة انفعالها بالحدث أو الواقعة أو الموقف، ويكشف عن مشاعرها ويظهر حقيقتها الباطنة، وعليه فإن لغة الحوار أينما تمثلت في الشعر أو القصة أو القراءة أو الرواية ... فهي لغة الناطقين به"[5]. وكما كانت اللغة هي أداة السرد فهي أيضا أداة الحوار، وبما أن الحوار قول فهو لغة، ومن ثم فهو يخضع لما تخضع له اللغة من قوانين وأهداف والهدف الذي تسعى إليه اللغة هو التواصل أو التوصيل، وكلاهما يعتمد على أن هناك رسالة يراد من اللغة نقلها من مخاطب إلى مخاطب[6].فالحوار" نمط تواصل: حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي"[7]. ليبلغ كل منهم رسالة للأخر، ومن ثم يبلغ هؤلاء من خلال حوارهم رسالة لمتلقي ذلك الحوار، وبناء على

[1] – المرجع نفسه، ص: 10.

[2] –: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1991، ص: 04.

[3] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، مرجع سابق، ص: 10.

[4] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص: 164.

[5] – فادية مروان أحمد الونسة، الحوار في مقامات الهمذاني، مجلة التربية والتعليم ، العدد2011/4 ،جامعة الموصل ، ص: 267.

[6] – المرجع نفسه ، ص: 267.

[7] – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،مطبعة المكتبة الجامعية ،الدار البيضاء ، المغرب ،1985 ، ص: 78.

ذلك يبلغ الحوار رسالتين أحداهما داخلية يبلغها طرف الحوار الأول لطرفه الثاني، والأخرى خارجية يبلغها الحوار– بما فيه من حديث متبادل بين أطرافه– إلى المتلقي[1].

1) **إشكالية ازدواجية لغة الحوار في الرواية العربية :**

إن الحوار منذ أن دخل الفن الروائي في الآداب العالمية– وهو قد دخله من لحظة ظهور هذا الفن بالطبع – أدخل معه إشكالية كانت دوما مثار بحث وتأمل من النقاد والمنظرين والروائيين أنفسهم، ولكنه لم يكن ليتحول إلى مشكلة حقيقية، بل كان دوما عنصرا فنيا تبحث بعض جوانب الإبداع من خلاله، وإذا كان هذا على المستوى العالمي ، فإنه صار مشكلة وربما عائقا في الرواية العربية. أما لماذا؟ فربما، **أولا**: بسبب عدم امتلاك العرب لتجربة التعامل فنيا مع الحوار، إذ هم لم يمتلكوا أصلا فنونا أو أجناسا أدبية تعتمده عنصرا ضمن عناصرها كالرواية المسرحية... **وثانيا**: بسبب جدة التجربة الروائية العربية، **وثالثا**: ربما بسبب ما يقال– وأظن أن ذلك يمتلك نسبة من الحقيقة – عن الانفصام والفجوة الناشئة بين لغة الكتابة الفصحى ولغة الكلام اليومي المحلية، فصحيح أن هناك غالبا ما يمكن أن نسميها لغتين أو طريقتين لاستخدام اللغة، لدى كل أمة تقريبا، إلا أن انفصاما حقيقيا لم يكن دوما هو الشائع في اللغات الأخرى، كالذي ظهر لدى العرب في الاستخدامات الحديثة لها، وربما خلال القرون القليلة الأخيرة خاصة بسبب توالي الهيمنات غير العربية المختلفة[2]. ومع إقرارنا بما يسمى انفصاما حقيقيا بين اللغة الفصحى واللهجة اليومية الدارجة أو المحلية كان هو بشكل أساسي وراء أن صارت كتابة الحوار في الأدب العربي، وتحديدا في الرواية والمسرحية مشكلة لا نراها عادة في الآداب الأخرى، فمن المعلوم أن الآداب الأجنبية توجد فيها اللغة الفصحى واللهجات المحلية فليس هذا الأمر خاص باللغة العربية ، غير أن الفرق بين العرب والغرب أن هذا الأخير لا يوظفها في أدبه الفصيح، ولايدور في خلد واحد منهم يوما أن لغة الأدب في صراع مع العامية، فضلا أن يزعم أن العامية أقدر على تصوير الواقع من الفصحى كما يزعم الكتاب والنقاد عندنا نحن العرب في هذا الزمان. وفي هذا السياق يقول الدكتور محمد غنيمي هلال:" ... وفي جميع من نعرف من الأمم التي تعنى بلغتها الأدبية والعلمية، يعيش الأدب الفصيح مع الأدب الشعبي عيشة سليمة مع الاحتفاظ لكل منهما بطبيعته ومجاله. ونظير اللغة العامية عندنا اللهجات المحلية عند الشعبين الفرنسي والإنجليزي، مما يطلق عليهargot في الفرنسية و slang في الانجليزية مثلا. وطبيعي أن هذه اللهجات أكثر استعمالا في شؤون الحياة اليومية... على الرغم من أن الهوة بين تلك اللهجات واللغة الفصحى والعامية... فالفرق بين لغتنا العامية والفصحى...له ما يماثله أو يقرب منه في اللغات الأدبية واللهجات المحلية في تلك الآداب أصلح من اللغة الفصحى التي هي لغة الأدب..."[3]

---

[1] – فادية مروان أحمد الونسة، الحوار في مقامات الهمذاني، مرجع سابق، ص: 268.

[2] – ينظر :نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، مرجع سابق، ص: 12.

[3] – محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973، ص: 670. وأنظر أيضا للمؤلف: في النقد المسرحي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ص– ص: 75– 76.

إن هذا الانفصام بين اللغة الفصحى والعامية لم يكن وحده وراء أن صارت كتابة الحوار مشكلة بل هناك أسباب أخرى سنذكرها في البحث، ولعل من الأدلة على أن هذا الانفصام لم يكن وحده كما قلنا سببا في المشكلة،كما " أن القدماء قد ناقشوا مايشبه هذه القضية حتى حين لم يكن هناك ما نسميه انفصاما بين اللغة الفصيحة واللغة الدارجة، كما جاء في ما نقله المؤلفون والرواة وجماع الشعر واللغويون العرب من وقائع وطرائف ونوادر وحكايات تقع لأناس أو يرويها أناس عاديون، إذ طرح ذلك قضية اللغة التي تكتب أو تنقل بها تلك الوقائع والطرائف والنوادر والحكايات"[1]. فالجاحظ(254ه) مثلا أجاز بشكل واضح كتابة الحديث كما يسمعونه، سواء أكان هذا الحديث فصيحا أم غير فصيح، فقال في"البيان والتبيين": متى سمعت – حفظك الله- بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحميها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ...وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة والطعام، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها من فيك مخرجا سريا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها عن صورتها، ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستلامهم لها"[2].

وهذا الرأي لم يتفرد به الجاحظ وحده بل اتفق البعض معه في ذلك واقترب كتاب آخرون منه، فهذا ابن قتيبة(176ه) يقول في مقدمة كتاب "عيون الأخبار" وبوعي أيضا ومنهجية:" اللحن إن مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده، لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه، وشاطر النوادر حلاوتها"[3]. وربما كان مؤلف كتاب" نقد النثر" قدامة بن جعفر(337ه) أو غيره[4]، أكثر صراحة ودقة وطرافة في ذلك، إذ يحدد الموضع الذي أجاز لنفيه فيه استخدام ما سماه" اللفظ السخيف"، حين يقول:" وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أن يستعمل فيه غيره، وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء، فإنه متى حكاها الإنسان على غيره ما قالوه ، خرجت عن معنى ما أريد بها، وبردت عند مستعملها وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها، ولم يكن على حاكيها عيب في سخافة لفظها"[5] وهكذا لم تصر هذه مشكلة عند العرب القدماء، لكنها صارت كذلك في العصر الحديث، وتحديدا مع دخول الفنون الجديدة التي تشتمل على الحوار، نعني المسرحية أولا، ثم الرواية فالقصة القصيرة في فترة مابين القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

[1] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، مرجع سابق، ص- ص: 12- 13.

[2] – الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام هارون، القاهرة، مصر، ص – ص: 145-146.

[3] – ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق: محمد الاسكنداري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1997، ج1، ص: 40.

[4] – قلنا أو غيره لأن هنالك خلاف حول صحة نسبة كتاب" نقد النثر" لقدامة بن جعفر.

[5] – قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق وتقديم: طه حسين – عبد الحميد العبادي، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1995، ص: 139.

ولعلنا نستطيع القول إن من أسباب ما يكمن وراء أن صارت مشكلة وموضع خلاف شديدة بين الكتاب، وإضافة إلى ما ذكرنا ، ما نتج عن تخلف العالم العربي وخضوعه في القرون الأخيرة للهيمنات الأجنبية المؤثرة سلبا في ثقافته ولغته[1].

وإذا تتبعنا بداية ظهور هذه المشكلة نجد أنها برزت أول مابرزت عند مترجمي المسرحيات والروايات والقصص، ثم عند كتابها بعد ذلك. وقد واجه المشكلة لأول مرة في أدبنا الحديث **(مارون النقاش)** حيث قام بترجمة أول مسرحية إلى لغتنا العربية سنة 1847م وهي مسرحية: **البخيل**– لموليير، فقد حاول أن يصل إلى حل قد يدهشنا اليوم، لكنها كانت محاولة طبيعية من أديب يلتمس لأول مرة حلا لهذا الإشكال باستخدام أكثر من لغة في العمل الأدبي الواحد[2]، وذلك بأن جعل شخصيات تتكلم الفصحى وأخرى العامية. والواقع أن مثل هذه (الإزدواجية) في اللغة التي كانت أساسا وراء ذلك لم تقتصر في جنسها على الأدباء العرب. بل هي أمر طال آخرين من روس أمريكان وإنجليز وفرنسيين خاصة خلال القرنين الأخيرين، غير أن الأمر عندنا يختلف عما عندهم يقول د. **محمد مندور**:" فإذا أردنا أن نستأنس بتجارب الأمم واللغات الكبيرة الأخرى كالفرنسية والإنجليزية مثلا، فإننا نلاحظ أن لغة الحديث فيها لا تختلف عن لغة الكتابة ذلك الاختلاف الكبير الذي حدث في بلادنا حتى وصل إلى ما يشبه الازدواج اللغوي"[3]. ومع هذا الذي قاله محمد مندور فإن هناك بلا شك فروق مابين لغة الحديث الفرنسية أو الإنجليزية مثلا ولغة الكتابة وخاصة لدى المثقفين والكتاب، وفي هذا السياق يقول **رولان بارت**:" قبل أكثر من مائة عام، كان يجهل الكتاب بصورة عامة أنه يوجد عدة ضروب شديدة التباين من التكلم بالفرنسية... وربما كانت فترة **بروست** هي التي مكنت من أن يحقق الالتحام الكلي بين أبطاله ولسانهم، فلا يقوم هؤلاء الأبطال إلا صنوفا صافية، وحجوما كثيفة ملونة هي صنوف الكلام وحجوما... في هذه الفترة بدأ الكاتب يقتفي أثر الألسنة المحكية حقا، لا على أنها مستظرفة ، بل على أنها موضوعات أساسية تستفذ كل مضمون المجتمع"[4].

وللولوج في صلب المشكلة ومعرفة أراء النقاد والكتاب وأدلتهم نقول:" فبعد أن كانت سيادة الفصحى في الأدب العربي عموما، ولقرون طويلة شبه مطلقة– مع استثناءات معينة ومعروفة– برزت(العامية) فجأة لتلعب دورا غير هين في بعض أنواع الكتابة الأدبية الحديثة وبالتحديد في الفنون القصصية وبشكل أكثر حصرا في حوارات الأعمال

[1] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، مرجع سابق، ص: 14.

[2] – يوسف الشاروني، دراسات أدبية،مطبعةالمعرفة ، مصر ، ص : 130.

[3] – محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996، ص: 118.

[4] – رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: نعيم الحمصي، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1970، ص – ص: 87–88.

المكتوبة ضمن الفنون، خاصة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وربما كان هذا أكثر وضوحا في آداب أقطار عربية معينة مثل: مصر والعراق، خاصة في أعمال الاتجاهين الواقعي والرومانسي"[1].

ولعل" رشاد رشدي" ينفرد برأي خاص يبرر به بروز مشكلة الخلاف حول كتابة الحوار بين العامي الفصحى، وهو يرصد كتابة بوصفه ظاهرة، ولعلنا نكتفي به دون الآراء الأخرى حتى ندخل إلى مناقشة أراء النقاد والكتاب حول هذه المشكلة والحلول المقترحة لها. يقول رشاد رشدي في هذا السياق:" والعجيب أن الظاهرة ينفرد بها كتاب القصة عندنا دون كتابة القصة في أي مكان آخر في العالم، ولعل السر في هذه الظاهرة الغريبة هي أن كتابنا لم يتخلصوا بعد من المفهوم القديم للأدب الذي يقوم على الصياغة اللفظية، وهو يختلف تماما المفهوم الذي قامت عليه القصة في الآداب الغربية، وهي القصة التي يحاول كتابنا تقليدها"[2].

وهكذا ظهرت وبرزت إشكالية أن يستخدم القصاصون والروائيون العامية أو الفصحى مقتنعين ومقنعين القراء بذلك في النتيجة، الأمر الذي جعلهم في موضع اختلاف وأحيانا مفترق طرق فيما بينهم، ولقد توزع هؤلاء الكتاب ومعهم النقاد ولا يزالون مابين فريق ممارس أو داع أو مؤيد لكتابة الحوار بالعامية، وآخر يمارس أو داع أو مؤيد لكتابته بالفصحى، وثالث يحاول أن يجد له طريقا وسطا بين الفريقين، ولأن لكل فريق، دواعيه وأسبابه ودوافعه، فإننا سنعرض لكل فريق وما يراه، ولعل من الطبيعي أن نبدأ بفريق المستخدمين أو الداعين للعامية كون مواقف الفريقين الآخرين أو بعضها هي غالبا ما تكون ردود أفعال عليه، ونحن نعني هنا الحوار الخارجي الذي يدور بين شخصيات الرواية بعضها مع البعض، لا الحوار الداخلي فانه غالبا ما يتطلب لغة فصحى معبرة عن كامن النفس وهواجسها وطموحاتها وأحلامها وألأمها.

### 2) لغة الحوار الروائي وموقف الكتاب والنقاد العرب منها :

### 1.2) الحوار عاميا:

عرفنا أن من أوائل الذين عملوا على استخدام العامية في الأدب العربي الحديث، إن لم نقل الأول على الإطلاق هو" مارون النقاش" أواسط القرن التاسع عشر حين جعل بعض شخصيات ومسرحيات ترجمها إلى العربية تتكلم بالعامية وهذا الأمر لم يقتصر على مارون النقاش، بل تعداه إلى غيره من مترجمي المسرحية وكتابها تحديدا، مثل" فرج أنطون" في بداية القرن الماضي[3]. ومع هذا الاستعمال للعامية إلا أنهم لم يسلموا بهذه التجربة تسليما مطلقا، وما ذلك إلا لما كانت تمثله اللغة العربية عندهم من مكانة وحرمة. وبعد هؤلاء جاء كتاب آخرون سواء كانوا في المسرح أم في الكتابة الروائية والقصصية، كانوا في ذلك أكثر قناعة بالعامية في الحوار، وبالتالي أكثر جرأة وحسما في استخدامها، ومن هؤلاء" يوسف السباعي" صاحب رواية" السقامات" التي كتب حوارها بالعامية وهي عامية

[1] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، مرجع سابق، ص: 16.

[2] – رشاد رشدي، في القصة القصيرة، دار العودة، بيروت، لبنان، 1984، ص: 101.

[3] – رشاد رشدي، في القصة القصيرة، دار العودة، بيروت، لبنان، 1984، ص: 101.

سخيفة وساخرة، وقد كتب في مقدمة هذه الرواية ما يوضح به سبب استخدامه للعامية في الحوار فقال:" ولست أشك أننا في فترة صراع بين العامية والفصحى، وأن الكتاب في هذا الجيل حائرون بينهما... وهذه القصة يبدوا فيها هذا الصراع بين الفصحى والعامية، ولا جدال هناك أن الغلبة – في الحوار– للعامية، لأن من المستثقل الممجوج أن نحاول إنطاق أشخاص القصة باللغة الفصيحة. وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها"[1].

ومن خلال هذا التقديم نلاحظ أن هذه المشكلة أول ما ظهرت في المسرحية، وقد أثارت إشكالية عند كتاب المسرح العرب[2]، وقد أخدت حظها من العناية والنقاش ولازالت مثار خلاف وجدل كبيرين، ثم انتق هذا الجدل والاستعمال إلى القصة والرواية تحت نفس المبررات والدوافع التي احتج بها أنصار العامية في المسرح، وسنعرض في بحثنا هذا إلى هذه الدوافع والمبررات ونناقشها مع ذكر القائلين بها من كتاب رواية ونقاد. فنقول: إن هذه الظاهرة التي تفشت في الرواية العربية وعظم أمرها حتى أصبحت مشكلة تؤرق الكتاب والنقاد على حد سواء لم تأت من فراغ، بل كانت وليدة أطروحات أبرزت مثل هذا التوجه وجعلته أمرا واقعا في الأعمال الروائية والقصصية العربية في العصر الحديث، بل أصبح الذي لا يكتب رواية على هذا النمط لا يعد عمله مقنعا حتى وإن أجاد فيه. يقول الدكتور– عبد الملك مرتاض:" ولقد شاع بين الناس، وفيما كنا نتلقى ذلك عند أساتذتنا في الجامعة، أحسن الله إليهم، أن لغة الكتابة الروائية ضربان اثنان:... ومن مرق عنها مرق عن الجادة، وحاد عن الطريق السوي، الضرب الأول سرد، ولغته فصحى، والضرب الآخر حوار، ولغته العامية. وكما أنه لا يجوز كتابة السرد بالعامية، فإنه لا يجوز كتابة الحوار بالفصحى، هذه المعادلة الفنية التي إن وفرت لنص من النصوص الروائية اغتدى مقبولا في الأذواق، ومرضيا عنه لدى النقاد"[3].تلك إذن هي الأطروحة النقدية التي كانت ولاتبرح، شائعة في النقد الروائي العربي المعاصر، وإنما جنح هذا النقد إلى تبني العامية في الحوار، ابتغاء الملائمة بين مستوى المتكلم، ومستوى اللغة التي يستعملها، وإذن من أجل تحقيق المقدار الأعلى من" واقعية" الأدب والفن.

وهذا الذي ذكره مرتاض هو اتجاه قائم في النقد الروائي له أنصاره من كتاب رواية ونقاد يقول الأستاذ "أنور المعداوي": ونحن في اتجاهنا النقدي الذي ننادي به، نرى أن تكون عملية السرد في القصة باللغة الفصحى على أن تكون مبسطة، بحيث لا يصعب فهم تعبير معين على رجل الشارع أو أنصاف المتعلمين... أما الحوار الذي يدور بين الشخصيات سواء أكان ذلك في قصة أو مسرحية فيجب أن يكتب بنفس اللغة التي تنطق بها الشخصيات في الواقع المعاش أو بتعبير آخر، بلغة الحياة اليومية، ولنا من وراء ذلك هدف مزدوج، هو أن نضمن سلامة المفهوم الفني لعملية التصوير القصصي من جهة، وسلامة التحقيق الفعلي لظاهرة التجاوب الجمهوري مع مضمون الأدب من جهة

[1] – يوسف السباعي، السقامات، لجنة النشر للجامعيين، مصر، 1987، ص – ص: 4-5.

[2] – أنظر تفصيل هذا الجدل وما دار حوله من نقاش : محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، وفي النقد المسرحي للمؤلف نفسه.

[3] – عبد الملك مرتاض، فقي نظرية الرواية، مرجع سابق، ص: 167.

أخرى"[1]. وانطلاقا من هذه الأطروحة النقدية فقد" لاقت هذه الدعوى صدى لدى كثير من مبدعينا، سيما عند من تربعوا- في مطلع عصر النهضة- على منابر الإبداع وأصبح لهم تواجدهم الفاعل في تشكيل حركة الإبداع وتوجيهها نحو تحقيق أهدافهم التي تتصادم مع حركية التراث الثقافي والإبداعي للأمة العربية"[2]. وبما أن هذه النهضة كانت في مصر، فإن هذه الأطروحة كانت تهدف ضمن ما تهدف له" إلى تهميش الفكر العربي في مصر خاصة، قلب العروبة النابض، وبؤرة إشعاعها الثقافي والإبداعي والتشكيك في علاقتها بالأمة العربية، فنجد منهم " لويس عوض" في رواية" طالب بعثته" يمعن في رفضه للإبداع بالفصحى فأجرى حوارها وسردها بالعامية المصرية وكان منطلقه فكريا، ومن رؤية معينة للغة مصر ولحضارة مصر، وعلاقتها مع الآخرين، من منطلق صدامه مع الحضارة الإسلامية، خاصة التي روجت للغة العربية، وجعلت تعليمها فرضا، لا تصح العبادات والمناسك الإسلامية إلا بها، ولم يكن للفن الأدبي ومذاهبه علاقة بتوجيهه هذا"[3].إن الكتابة بالعامية في الخطاب السردي و توظيفها فيه قد يكون لغرض جمالي للوصول إلى واقعية الحدث، وقد يكون مراعاة لحال المتكلم أو مناسبة لوضعية المتلقي[4]. وهذه الظاهرة إنما وجدت في الرواية كم يقول أنصارها لتحقيق واقعية الأدب وتعبيرها عن صدق التجربة، ولتكون الرواية أكثر مقروئية لأنها تحدث الجماهير بلغتهم اليومية، ونلاحظ أن كتاب الرواية ومنذ عصر الرواد قد جنحوا إلى هذا الاتجاه ولكن باستحياء ودون مبالغة في استخدام العامية." فنجد الروائي – محمد حسين هيكل- رائد القصة الفنية في الإبداع الأدبي في مصر في العصر الحديث، يجري حواراته باللغة العامية في رواية- زينب- لكن المتتبع لحواره في هذه الرواية، يجده متحرجا من التعبير بالعامية، حتى لنجده لا يفرط في المحاورة بها، يقينا منه بقصورها عن الإفضاء بمكنونات النفس، والعجز عن الإيحاء بما يرمي إليه الإبداع الفني الحقيقي، من قيم جمالية مبهرة"[5].

### 2.2) دوافع استعمال العامية كلغة للحوار :

وإذا ما أردنا البحث عن المبررات والدوافع التي جعلت كتاب الرواية وكذلك النقاد يدعون إلى استخدام العامية في حوارات الرواية نجد أنها تنحصر في النقاط التالية:

- يحقق للرواية واقعيتها، لأنه ينطق شخصيات الرواية بلغة الواقع المعاش وهي العامية.

---

[1] – أنور المعداوي، لغة الأداء في القصة والمسرحية، ص: 142. نقلا عن محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص: 70.

[2] – كمال سعد خليفة، اللغة وتقنية البناء القصصي، كتاب منشور في موقع جامعة أم القرى بدون دار طبع، ص: 191.

[3] – صالح بن إبراهيم الحسن، الفصحى في الحوار القصصي، مجلة الفيصل، العدد 245، ذو القعدة1997/1417.(مقال).

[4] – محمد تحرشي، العامية في الخطاب السردي الجزائري، عبد المالك مرتاض والسائح الحبيب كنموذجيين، مجلة دراسات جزائرية، عدد5/4، جامعة وهران، الجزائر، 2007، ص: 79.

[5] – كمال سعد خليفة، اللغة وتقنيات البناء القصصي، مرجع سابق، ص: 192.

- يجعل الشخصية أكثر إقناعا وذلك راجع إلى القوة التعبيرية أو الإيحاء الصادق الذي تملكه العامية ولا تتوفر عليه الفصحى.
- يجعل الرواية أكثر مقروئية ورواجا لأنها تخاطب الجماهير بما يفهمونه ويعيشونه في حياتهم اليومية.

وفيما يتعلق بهذه المبررات والدوافع وفي خضم هذا الجدل القائم، فإننا وبعكس التوقع نجد أن النقاد أكثر من الكتاب المبدعين أنفسهم اقتناعا وميلا إلى كتابة الحوار بالعامية في القصة والرواية، وقبل ذلك بالطبع في المسرحية، فنجد أنهم راحوا ينظرون، وكثيرا ما كان ذلك بحماسة وحسم لا نجده حتى عند المبدعين أنفسهم في تصريحاتهم ومقابلاتهم الفكرية والنقدية وهو أمر يلاحظه كل من بحث هذه المسألة. ومن هؤلاء النقاد **"رشاد رشدي"** الذي يرى أن الكتاب ليسوا أحرارا ولا يملكون أن ينطقوا الشخصيات في الرواية والقصة باللغة الفصحى كما يتراءى لهؤلاء الكتاب، فإنهم من البديهي أن أي قصة تحاكي حدثا، وأن أي حدث يحاكي الواقع، واقع الحياة التي يمثلها هذا الحدث، ولا أعتقد أن أحدا من كتاب القصة عندنا أو في العالم أصبح ينكر أنه واقعي، فإن كيان القصص إنما يقوم على هذه الواقعية، ولذلك فالكاتب الذي يجعل شخوص قصته تتكلم وتفكر بلغة غير اللغة التي تفكر وتتكلم بها في الحياة يهدم من أساسها الواقعية التي هي السبب في كيانه، لأن الحدث إنما يقوم على الأشخاص وتفاعلهم بعضهم مع بعض، فإن جاءت محاكاة الأشخاص ناقصة جاء الحدث ناقصا وبالتالي انعدمت الواقعية"[1]. إن كتابة الحوار بالعامية يجعل الشخصية كما يقول هؤلاء النقاد أكثر واقعية وقربا من الحياة اليومية، وأنه من غير المقبول أن نجعل فلاحا أميا يتكلم بلغة فصيحة وتفكيرا راقيا لأنه يفقد الشخصية واقعيتها ويجعل القارئ غير مقتنع بما تقوله لما يراه في حياته الواقعية أن الفلاح لا يتكلم بمثل هذه اللغة ولا ينطق بها، فان إنطاق الشخصية بما يناسب مستواها في الواقع والحياة الاجتماعية يحقق واقعية الأداء كما يقول أنصار هذا القول.

والقارئ للرواية لا يعرف الشخصية اعتمادا على وصف الكاتب لها بل يتعرف عليها من خلال حواراتها وكلامها، فاعتمادا على لغتها المستعملة في الرواية يتعرف عليها. "فمن المعروف أننا في الفن القصصي لا نعرف الشخصية عن طريق الوصف بل عن طريق تصرفاتها. واللغة من بين هذه التصرفات التي تعبر عن شخصية صاحبها، فنستطيع أن نتعرف على أخلاقها أو بيئتها من مجموع الألفاظ واللهجات التي نستخدمها"[2]. ونلاحظ كذلك أن محمد مندور يقترب من هذا الرأي في حديثه عن موضوعية الحوار الدرامي ولكنه لا يسلم به فيقول:" وموضوعية الحوار الدرامي يثير مفهومها بعد ذلك خلافات ومناقشات عديدة بين النقاد، فمنهم من يرى أن تلك الموضوعية، بخاصة في الأدب الواقعي، لا تتحقق إلا إذا أنطقت شخصيات المسرحية بلسان مقالها، ومستوى إدراكها بل ولغة حياتها اليومية المختلطة بمشاعرها..."[3]. فلغة الحوار يشترط فيها مراعاة الواقع اللغوي للشخصيات التي يجري بينها

[1] – رشاد رشدي، في القصة القصيرة، مرجع سابق، ص: 100.

[2] – يوسف الشاروني، دراسات أدبية، مرجع سابق، ص: 187.

[3] – محمد مندور، الأدب وفنونه، مرجع سابق، ص– ص: 115– 116.

الحوار، وبما أن الواقع الاجتماعي تعيش فيه شخصيات لا تتكلم بالفصحى، فإن إنطاقها باللغة الفصحى، يخل بهذا الشرط ويفقد العمل الروائي واقعيته الفنية وتأثيره المباشر على المتلقي الذي ما هو في الحقيقة الواقعية إلا رجل الشارع وأنصاف المتعلمين. وهذا مفهوم من هؤلاء النقاد والأدباء الاشتراكيين، لأن الفن عندهم إن هو إلا خادم للجماهير، وبما أن هذه الأخيرة في البلدان العربية تتألف في الأعم من رجل الشارع وأنصاف المتعلمين" فإن الواقعية تقتضي من الكاتب المسرحي والقصصي أن لا ينساق وراء الأساليب والتراكيب اللغوية التي قد تمنع المسرح أو القصص من القيام بوظيفتها التي هي خدمة الجماهير و توعيتها في قضاياها المعاشية والاجتماعية والسياسية"[1].

فالسعي وراء واقعية الأداء كما لاحظنا هو المبرر الأكبر لهؤلاء الكتاب والنقاد في استخدامهم للعامية في حوار تعمم الروائية. غير أن واقعية الأداء ليست هي الدافع الوحيد بل هنالك دوافع ومبررات أخرى لعل من أبرزها أن استخدام العامية في الحوار أقدر على تصوير بعض الحالات النفسية، لما تتوفر عليه العامية من قوة التعبير والتأثير المباشر على التلقي وهو مالا يتوفر عليه في اللغة العربية الفصحى، وفي هذا السياق نجد محمد مندور يحاول أن يعلل الميل الكبير نسبيا الذي أظهره الكتاب والمسرحيون خاصة إلى استخدام العامية إذ رأى" قدرة اللغة العامية الحية على التعبير أحيانا على ضلال من المعاني والأحاسيس التي قد لا تستطيع الفصحى التعبير عنها بنفس الدقة والإيجاز. ومن المؤكد أن الإحساس بهذه الحقيقة هو الذي دفع كثيرا من الأدباء إلى تفضيل العامية في كتابة بعض أنواع المسرحيات بل وفي كتابة الأجزاء الحوارية بين الشخصيات الشعبية في كثير من القصص الطويلة والقصيرة على السواء"[2]. وفي هذا السياق أيضا يقول الروائي" فؤاد التكرلي" صاحب رواية" الرجع البعيد" وهو ينتصر لهذا الرأي:" في رأي كقصصي أن القوة التعبيرية التي تكمن في عبارة تقال بالعامية في ظرف ومكان معينين، لا يمكن أن نجد مثيلا لها في جملة بالفصحى مهما بذلنا من جهد ... والقضية بعد ذلك قضية إحساس فني"[3]. وبإضافة إلى هذين المبررين نجد أيضا أن الهدف من استخدام العامية في الحوار الروائي يعود إلى رغبة الكتاب في تحقيق عدد أكبر من القراء وجعل الرواية أكثر الأجناس الأدبية مقرؤية ورواجا بحكم أنها مكتوبة بلغة سهلة تتضمن حواراتها اللغة العامية التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية وهذا على المستوى المحلي وكذلك على المستوى الخارجي إن أمكن.

**3) الحوار فصيحا:**

تكاد مواقف اللذين مالوا إلى الفصحى أو اقتنعوا بها لغة لحوار العمل الأدبي الإبداعي تنطلق من الرد على المواقف السابقة الداعية لاستخدام العامية أو من تسفيهها، وخاصة في اتكائها على واقعية العمل والشخصية والحوار، وسنكتفي هنا بذكر ثلاثة من الآراء التي نراها فيما نحسب أشد رفضا لاستخدام العامية في الحوار الروائي، وأكثر

[1] – محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، مرج سابق، ص: 71.

[2] – يوسف الشاروني، دراسات أدبية، مرجع سابق، ص: 208. نقلا عن: محمد مندور: المسرحية بين العامية والفصحى والشعر– مجلة الكاتب– العدد9، ديسمبر، 1961، القاهرة، مصر، ص: 61.

[3] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، مرجع سابق، ص: 27– 28.

وضوحا في رأيها الرافض لمثل هذا الاستخدام للعامية في الأعمال الإبداعية الروائية ونقصد كل من: محمد غنيمي هلال،نجيب محفوظ، عبد المالك مرتاض. ومن خلال تتبعنا لما قالوه وجدناها ردا على كل الحجج والمبررات التي أوردها أنصار العامية في الحوار.

وكما أسلفنا القول فإن من أبرز من ناقشوا بموضوعية طروحات أولئك الذين تحمسوا للعامية الدكتور" محمد غنيمي هلال" حين قال ضمن ما قاله عن المسألة:" وهذه المسألة هي لغة الحوار: أيكون بالفصحى أم بالعامية ! وهي مسألة محلية، كان السبب المباشر في إثارتها الفرق الشاسع بين الفصحى والعامية في لغتنا، مما تكاد تنفرد به في الآداب العالمية، مع الضعف المطبق في الفصحى والعامية في لغتنا لدى الجمهور، ومن ثم وضعت المسألة وضعا خاطئا في نظرنا، على أساس الواقع ومسايرته، لا على أساس مطالب الأدب، وما ينبغي أن يكون من أجل النهضة بالأجناس الأدبية ففي الحق لا صراع بين الفصحى والعامية، فلمن شاء من الكتاب أن يختاره جمهوره، وفي الأمم جميعا– منذ القديم– يعيش الأدب الفصيح مع الأدب الشعبي عيشة سليمة مع الاحتفاظ لكل منهما بطبيعته ومجاله"[1].ويقول أيضا:" ونكرر ما قلناه سابقا من أن لا نحرم على الكاتب إذا أراد أن ينتج أدبا شعبيا أن يكتب ملهاة باللغة العامية. ولكن الذي نحاربه هو الحكم ابتداء على الفصحى من حيث هي بأنها تعجز عن أن تسهم في هذا المجال. فإلى مافي هذا الحكم من إغفال لطبيعة الأشياء، فيه كذلك اعتراف بعجز الأدب العربي عن مجاراة الآداب الأخرى في غنائه بهذا الجنس من الأدب، ويتبع ذلك حتما النيل من هذا الجنس الأدبي نفسه من ناحية الرقي فنيا"[2]. ومن خلال هذا القول نلاحظ أن الدكتور غنيمي هلال لا يرفض استخدام العامية مطلقا بل يفرق بين مجالين : مجال الأدب الفصيح وهذا كما نلاحظ يحرم فيه استخدام العامية في جميع أجناسه من مسرحية، وقصة ،ورواية وغيرها، ومجال الأدب الشعبي والفلكلور، وهذا كما يرى الدكتور أنه لا حرج فيه بل ينبغي أن يكون باللغة العامية وذلك لأن له جمهوره الخاص به. أما فيما يتعلق بالواقعية وواقعية الأداء، فهو يرفض هذا الربط الخاطئ بين الأدب والصدق الفني والواقع فهو يتفق مع الدكتور محمد مندور من أن المقصود بالواقعية في الفن هو واقعية النفس البشرية لا واقعية اللغة كما يراها من دعى إلى استخدام العامية لتحقيق الواقعية في الأدب فيقول:" ... ومن المسلم به– كما يقول الأستاذ الدكتور محمد مندور– أن صدق التصوير لا يستلزم مراعاة لغة الأداء كما هي في الواقع . فالواقعية في الأدب لا يقصد بها واقعية اللغة، بل واقعية النفس البشرية، وواقعية الحياة والمجتمع، ومن المتفق عليه أن الأديب لا يستنطق لسان مقال شخصياته الروائية أو المسرحية بل يستنطق لسان حالها... وللأديب أو الكاتب بعد ذلك أن يعبر عما يفهمه بأية لغة يشاء"[3]. وهذا قول صادق بالغ المدى قي الصدق، ذلك أن عالم الفن غير عالم الواقع، فلا بد في عالم

[1] – محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص: 670. وانظر للمؤلف: في النقد المسرحي، مرجع سابق، ص – ص: 74– 75.

[2] – محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، مرجع سابق، ص: 77.

[3] – محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، مرجع سابق، ص: 78.

الفن من الاختيار والتعمق في الوعي، والنفوذ في التعبير إلى ما يوحي بمدلولات الأحداث وبواطن الشخصيات... على أن الأدب القصصي والمسرحي لم يتجاوز كثيرا لدينا دور الطفولة، ومما يدفع به إلى النهوض، والرقي أن يكثر فيه النتاج في اللغة الأدبية، ليكون مجال دراسات في الجامعات والمعاهد العالية، بل يجب أن يكون كذلك في التعليم العام... و أخطر شيء على الأدب القصصي والمسرحي أن نجاري وقائع الأمور، أو نتبع أيسر الطرق، أو نجافي ما سارت عليه الآداب في الأمم التي عنيت بلغاتها العالمية[1].

أمال إذا انتقلنا إلى رأي نجيب محفوظ وهو فيما نحسبه رأي له وزنه وثقله باعتبار أن نجيب محفوظ من كبار كتاب الرواية العربية فإن المستشرق" **روجر ألين**" يعده من أبرز الكتاب الذين وقفوا ضد استخدام العامية في الرواية ويرى أنها مرض من أمراض الأمة ورجعية مثبتة يقول: " اختار عدد كبير من الروائيين، مقرين بانتشار استخدام العربية في الكتابة، كتابة رواياتهم وحتى الحوارات بهذا المستوى من اللغة الفصيحة . بالطبع أبرزهم نجيب محفوظ الذي من وجهة نظري لسوء الحظ قد وصف اللهجات العامية المختلفة. بأنها (مرض) العربية، ولازال كارها لتضمين رواياته تعبيرات من المفردات المحلية في مصر، واتفق معه عدد كبير من الروائيين، ومن أكثرهم شهرة: جبرا إبراهيم جبرا، وعبد الرحمن منيف. وبرغم ما تضمنه هذا الاختيار لمستوى اللغة العربية من سهولة الفهم في كل الدول العربية، فثمة صعوبة ابتدائية في التعبير من خلال العنصر الدرامي في الكتابة الأدبية بواسطة لغة غير مستخدمة في الحوار اليومي..."[2].
والواقع أن نجيب محفوظ قد عبر عن شيئ من هذا في مناسبات عدة، بدا فيها متشددا في رفض العامية، فمن ذلك قوله:" إن اللغة العامية من جملة الأمراض التي يعاني منها الشعب والتي يتخلص منها حتما حين يرتقي، وأنا اعتبر العامية عيبا من عيوب مجتمعنا مثل الجهل والفقر والمرض"[3]. وإذا كان هذا الرأي قد جاء ربما وليد المد القومي الذي شهدته مصر والأمة العربية في نهاية الخمسينات والستينيات وما فرضه من اعتزاز شديد بالعربية، إذ هو عبر عنه سنة 1962، فإنه قد كان لنجيب محفوظ قبل ذلك رأي أشد وأكثر حدة إذ يقول في بداية 1956:" اللغة العامية حركة رجعية، والعربية تقدمية، فاللغة العامية انحصار وتضييق وانطواء على الذات لا يناسب العصر الحديث الذي ينزع للتوسع والتكتل والانتشار وهذا الذي قاله نجيب محفوظ نجده مجسدا في أعماله الروائية، بدليل أنه كتب حوارات رواياته بلغة عربية فصيحة واضحة سهلة، وفوق ذلك غير ممتنعة عن تقبل بعض المفردات العامية ليجعلها ملائمة للفن القصصي"[4].

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 79.

[2] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، مرجع سابق، ص: 36. نقلا عنك روجر ألين– الكتابة العربية في الغرب، ترجمة: ياسر شعبان، جريدة أخبار الأدب، القاهرة، مصر، العدد 410، 2001/05/20.

[3] – يوسف نوفل، قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1977، ص: 03. نقلا عن : نجيب حفوظ، مجلة المجلة، ديسمبر، 1962.

[4] – المرجع نفسه، ص: 03. نقلا عن نجيب محفوظ، مجلة صباح الخير، 1956/02/16.

أما عبد المالك مرتاض فإنا نعده من أكثر النقاد والكتاب رفضا لاستخدام العامية في الأعمال الروائية، بل أشدهم عبارة وأكثرهم إنكارا لهذا الفعل الذي يراه من عجز الكتاب في العالم العربي، بل من كرههم للغة العربية ورغبتهم في أهانتها وتذويبها. يقول د عبد المالك مرتاض في هذا السياق:" إن الكتابة الروائية عمل فني جميل يقوم على نشاط اللغة الداخلي، ولا شيء يوجد خارج تلك اللغة... وإذا كانت غاية بعض الروائيين العرب المعاصرين هي أن يؤذوا اللغة(ليس بالمفهوم الفني، ولكن بالمفهوم الواقعي للإيذاء). بتسويد وجهها، وتعفير خدها، وتلطيخ جلدها، وأهانتها بجعل العامية لها ضرة في الكتابة... فلم يبقى للغة العربية إلا أن تزم حقائبها، وتمتطي ركائبها، وتمضي على وجهها سائرة في الأرض لعلها أن تصادف كتابا يحبونها من غير بني جلدتها..وأمام كل هذا، فإننا لا نقبل باتخاذ العامية لغة في كتابة الحوار ...ونؤثر أن يترك للغة الحرية المطلقة لتعمل بنفسها عبر العمل الإبداعي... فلا واقعية، ولا تاريخ، ولا مجتمع، ولا هم يحزنون... وإن هي إلا أساطير النقاد الآخرين..."[1].

وفي سياق رده على دعوى الواقعية وأنها لا تتحقق إلا من خلال استخدام العامية في الحوار يقول:" لكن الروائيين العرب جاءوا إلى العامية، ثم شرعوا يغترفون منها دون تحفظ، ولا حس لغوي لطيف. ولا إشفاق ولا ارعواء، وكأن هذه العربية ملك مشاع لهم وحدهم يفعلون به ما يشاءون، ويعيثون فيه فسادا أيان يشاءون، فركموا، أو قل: ركّموا، العامية على الفصحى، باسم التعبير عن الواقع... فأن هذا الواقع المزعوم هو واقع تاريخي بكل ما تحمله التاريخية من معنى أي كان الروائي حين يكتب رواية، فكأنه إنما يكتب تاريخا دقيقا للأحداث والأشخاص، لا انه ينشئ عالما أدبيا قوامه اللغة، ولحمته الخيال، وشخصياته ورقية... فأين هذا الواقع مثل هذا؟ وماذا بقي لأنصار العامية، وهم يملؤون أرض العالم العربي في هذه الأيام...وما معنى إدعاء الواقعية التاريخية لعمل أدبي يقوم على الفن أساسا؟ وهل يمكن أن تلحق الرواية بالتاريخ، وتمرق عن جلد الأدب مروقا؟ وما هؤلاء الذين يشقون على أنفسهم في كتابة رواية لا تبرح تلهث وراء التاريخ، فإذا هي لا التاريخ يعترف بها لأنها لا ترقى إلى مستوى دقته وصرامته وواقعيته، ولا الأدب يقر بها لأنها لا ترقى إلى مستوى جماله وخياله، والعمل بلغته..."[2].ويقول أيضا:"وهل يعقل أن تنشأ لغة مستوحاة من الواقع لعالم من ورق؟ إن الكتابة الروائية تشكيل لغوي قبل كل شيء، والشخصيات والأحداث والزمان والحيز هي بنات للغة التي بتشكيها، ولعبها، توهمنا بوجود عالم حقيقي يتصارع فيه أشخاص تمثلهم شخصيات ضمن أحداث بيضاء... فلو كان أمر الكتابة الروائية بهذا اليسر ، بأن يعمد شخص ما إلى حكي حكاية ساذجة ملفقة يسجل أحداثها بلغة عامية ساقطة متخلفة قاصرة عن أن تعبر عن المشاعر الرقيقة، والإحساسات اللطيفة، والمعاني العميقة، والأفكار الرفيعة، لاعتدى كل من هب ودب، وكل من شد وفذ: على الأرض روائيا وإنما أمر الكتابة قائم على العمل البارع باللغة، والنسج بألفاظها، في دائرة نظامها، وليس هذا النسج الرفيع الكريم إلا في مقدور الفنانين المتألقين، والكتاب

[1] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، صم 160.

[2] – المرجع السابق، ص: 158- 159.

البارعين المتأنقين"[1]. أما فيما يتصل بمسألة رواج الرواية وانتشارها وكثرة قراءها، وهي ما يتمسك به دعاة الحوار بالعامية، بحجة أن قرب اللغة العامية من الجماهير والقراء يجعلها أكثر رواجا ،و إقبال عدد لا يحصى من القراء فإن الواقع المشاهد أن اللذين يقرؤون الرواية هم الطبقة المثقفة وخاصة النقاد وطلبة الجامعة الذين يفرض عليهم البحث العلمي أن يحتكوا بهذه الأعمال الروائية. يقول الدكتور عبد الملك مرتاض في هذا السياق:" وأيا ما يكن الشأن، فإنا نعتقد أنه لا ضرر في هذه المسألة ولا ضرار ،كما يقول الفقهاء، أي لا ينبغي أن يكتب الكاتب بلغة مقامات الحريري من جهة، ولا بلغة يوسف السباعي، وإحسان عبد القدوس من جهة أخرى... ولكن بلغة أنيقة، ومع ذلك تكون مفهومة، وشعرية ومع ذلك تكون بسيطة ورفيعة النسج– مادمنا طالبنا بشعريتها– ومع ذلك تكون في متناول عامة القراء الجامعيين، وقد قصرنا القراءة على الجامعيين، لأننا نعتقد أنهم هم الذين يشكلون السواد الأعظم لاستهلاك الأدب بعامة، والأدب الروائي بخاصة فعلا...ودع عنك أولئك الذين لايزالون يغالطون بجماهيرية القراءة ...، فإن هؤلاء وجدوا حلا لمشكلة ضعفهم في اللغة العربية العالية هذا القميص العثماني يلوحون به في المحافل، و يرفعونه في المأقط، زاعمين أن الكاتب إذا كتب بلغة عالية لا يفهمه جماهير القراء، وذلك على الرغم من أنهم يعلمون أن القراء هم من الصفوة حتما مقضيا، بل ربما لم نجدهم إلا في صفوة الصفوة..."[2].

ونحن نضم صوتنا إلا صوت الدكتور مرتاض لأننا نلاحظ أن الذين يقبلون على قراءة الأعمال الروائية هم القلة من المجتمع العربي وعلى وجه الخصوص طلبة الجامعة وأهل البحث العلمي، والين يعلقون أمالهم على الجماهير العربية ظنا منهم أنها تشبه الجماهير الغربية فهم في الحقيقة يخلطون بين واقعين ومجتمعين مختلفين كل الاختلاف ففرق كبير بين مجتمع متطور وغني ومجتمع متخلف وفقير ومليء بالمشاكل والحروب والجهل المطبق في مختلف المجالات، فأصحاب هذه الدعو يخلطون بين الجماهير في المجتمعات المتعلمة المتطورة، والجماهير في العالم المتخلف حيث البحث عن القوت، وعن الماء، وعن المسكن، وعن حل مشاكل الأطفال الكثر... هي الامور التي تستأثر بالسلوك اليومي لهذه الجماهير المسكينة المحرومة... إن نظرة هؤلاء النقاد إلى المجتمعات العربية نظرة مثالية، لا واقعية... إذ لو كانت القراءة الأدبية جماهيرية العدد ...لارتفع عدد النسخ المطبوعة من كل رواية خصوص، إلى الملايين ...مع أن الرواية الواحدة، في الوضع الراهن للكاتب العربي، قد لا يطبع منها إلا بضعة ألاف إذا كان سعيدا، وإلا فسبيله إلى خمسمائة نسخة... وقد تظل معروضة في واجهات المكتبات حتى تذبلها أشعة الشمس ويرين عليها الغبار... فأين الجماهير التي لا تقرأ؟ ولم إذن هذه المغالطة الثقافية التي تدعوا إلى استعمال لغة بسيطة– ولسان حال هؤلاء الداعين يقول: لغة عامية أو سوقية– في الكتابة الروائية، وهم يعلمون أن جمهرة الذين يقرءون الكتب ليسوا إلا جامعيين[3].

### 4) مساعي الخروج من المشكلة واللغة الوسطى:

[1] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص – ص: 168- 169.

[2] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص- ص: 174- 175.

[3] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص- ص: 175- 176.

سعى البعض إلى محاولة إيجاد حلول للخروج من هذه الإشكالية . وجل هذه الحلول تمحورت في ما يسمى حلولا وسطى وضمنها مانسميه لغة وسطى، وهي على أية حال ليست واحدة تماما، لكنها محاولات على اختلاف أشكالها تشترك في كونها تأخذ بشكل أو بآخر من العامية ومن الفصحى.إن هذه المحاولات ليست جديدة في الكتابة القصصية والروائية، إذ تعود إلى بدايات القرن العشرين، ومن أوائل من حاولها أو حاول أشكالها" عيسى عبيد" الذي كان في قصصه القصيرة" يستخدم الفصحى أساسا، لكنه يبيح استخدام بعض الكلمات أو التعبيرات العامية في الحوار – بل في السياق نفسه أحيانا- متى رأى ضرورة ذلك، وكان رائد هذا الاتجاه في الرواية " محمد حسين هيكل" في روايته"زينب" ... وقد وضح هذا الاتجاه لدى كاتب مثل إبراهيم عبد القادر المازني، فهو يعلنه في مقدمته لروايته" إبراهيم الكاتب"[1]. فهذا الشكل يعتمد على تفصيح الكلمات العامية أي كتابتها بلغة عربية فصيحة وهي في أصلها عامية فهذا الشكل الأول من الحلول الوسطى.

أما الشكل الأخر من أشكال الحلول الوسطى، والذي يتلتقي- ولكن ليس كليا مع هذا الذي يلجأ إليه كتاب مثل هيكل وعبيد وأخرين – فهو الذي اختاره" توفيق الحكيم" في بعض مسرحياته ، مثل " الصفقة"، إذ جعلها في لغة يمكن أن تتلى كأنها فصحى إذا أعربت، أو عامية إذا أهمل إعرابها. وحاول شيئا من هذا القبيل " يوسف غصوب" في مسرحيته " يوم أحد في الضيعة" إذ ألغى التنوين وتحريك الأواخر.. الخ، أي أنه ألغى إعراب الفصحى، فجعل اللغة، إلا في بعض الحالات أقرب إلى كلام المثقفين العرب اليوم[2]. وتقترب من تجربة توفيق الحكيم تجارب كتاب آخرين، منهم الروائي " العراقي عبد الرزاق المطلبي" في روايته " الأشجار والريح" التي سعى فيها إلى تفادي الانقياد وراء لغة فصيحة قد لا تكون مقنعة، وتجنب الوقوع في مصيدة لغة عامية قد لا تكون راقية، قائلا:" جربت الكتابة بلغة تقرأ فصحى عند التحريك وعامية عند التسكين... واعتمدت لهذه التجربة على انتقاء كلمات معينة تستخدم بشكل شائع في العامية وفي نفس الوقت كما هي فصحى مثل(أروح) و (أريد) و ( امشي) "[3].

فهؤلاء الكتاب حاولوا أن يجدوا لأنفسهم حلا وسطا يخرجهم من المشكلة ويلبي في نظرهم حاجة القارئ وما يطلبه من الكاتب من بساطة ووضوح، غير أنه ينبغي أن نشير إلى أن هذه الطريقة قد لاقت رفضا شديدا من كثير من النقاد لما تحمله من سلبيات كثيرة إن من الناحية الفنية الجمالية وإن من الناحية اللغوية الصرفية، أما من الناحية الجمالية فنجد أن لجبرا إبراهيم جبرا موقفا رافضا لهذه الطريقة، أو الطريقتين نعني طريقة توفيق الحكيم التي اتبعها كتاب آخرون مثل" يوسف غصوب" و" عبد الرزاق المطلبي" إذ يقول :" لي انتقاد على كلتا الطريقتين، فكلتاهما تؤدي لغة مصطنعة ... وبهذا تصبح اللغة في الأغلب غير متصلة بالشخصية أو لا تنسجم معها تمام الانسجام إذا اعتبرت

[1] – يوسف الشاروني، دراسات أدبية، مرجع سابق، ص: 142.

[2] – جبرا إبراهيم جبرا، الرحلة الثامنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص: 94.

[3] – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، ص: 52. نقلا عن: عبد الرزاق المطلبي، رسالة خاصة إلى الباحث، بغداد العراق، أب، 1982.

محكية، ولا تحظى بقدسية الموروث إذا اعتبرت فصحى"[1]. ويتناول محمد غنيمي هلال هذه التجربة بذكاء ودقة تشخيص، قائلا:" وتغيب هذه الحقيقة عن دعاة اللغة الوسطى من نقادنا وكتابنا، يقصدون اللغة التي تكتب على حسب الإملاء الفصيح بمفردات تتفق فيها العامية والعربية، لينطقها من يشاء بالعامية أو العربية، ولا بد لهم في هذه الحال من إغفال الدلالات الجمالية للتراكيب، ذلك أن تراكيب اللغة الفصيحة مرنة، بسبب وجود الإعراب فيها، شأنها في ذلك شأن اللاتينية، وفي هذه المرونة، تتمثل أكثر الخصائص الجمالية، وكثير من الدلالات الوضعية، على حين فقدت العامية هذه المرونة بإسقاط الإعراب، فأصبح لكل لفظ موضعه في الجملة لا يتعداه، شأنها في ذلك شأن الإنجليزية والفرنسية بعامة"[2].ونجد عبد المالك مرتاض ينتصر لرأي هلال فيقول :فإذا ذهب الإعراب من اللغة العربية، ذهب ماؤها، ورونقها، وتوقفت عن النمو والتطور، وهذا ما أحسبه يسعى إليه مثل هؤلاء من دعاة العامية، لأن هذا الصراع بين اللغة الأدبية واللغة الشعبية لم تشهده لغة من قبل مثلما هو قائم في تاريخنا اللغوي، وحتى هؤلاء الذين يبعثون بمثل هذه الدعاوي، فهم أضعف من أن ينالوا من شموخ لغتنا العربية الفذة، وليس لديهم من القوة والجهد مايمكنهم من أن يفعلوا مافعل اللاتيني عندما دأب الفرنسيون أو الإنجليز على أن يجعلوا من هذه اللهجات التي تتفرع عن الأم– اللاتينية– لغات حية، لغات عالمية، عندما شادوا بها أعمالا أدبية وإبداعية خالدة، استطاعت أن تسموا بلهجاتهم هذه إلى مصاف اللغات العالمية اليوم، فليس بمقدور هؤلاء أن يعيروا من وجهة الحضارة اللغوية، أو لغتنا الحضارية... [3] وأيا ما يكن الشأن، فإن لغة الحوار في رأينا، ليس ينبغي لها أن تبتعد كثيرا عن لغة السرد، حتى لا يقع النشاز البشع في نسج مستويات اللغة السردية، وحتى يظل الانسجام اللغوي قائما بين الأشكال اللغوية الثلاثة، مع التزام الذكاء الاحترافي في تقديم الحوار بحيث يكون مقتضبا وقصيرا وقليلا في هذا المستوى من البناء الروائي.

**خاتمة:**

وإنه لمدعاة أسف أن يصبح الصراع في مجال الأدب بين الفصحى والعامية مشكلة تتطلب الحل، بل أن تكون مجال تساؤل، لما له من دلالة خطيرة أشرنا إليها، ونرى أن هذه المسألة– كغيرها من مسائل– يجب أن تعالج لا على أساس ماهو كائن بل ما ينبغي أن يكون ، ولا على أساس التيسير أو الرواج التجاري، بل على ما هو طريقة النهوض بالأدب والجنس الأدبي موضوع الدراسة. ويكشف لنا عن طريق الرشد ما انتهجته وتنتهجه الآداب العالمية المعاصرة... وتفتح هذه المشكلة عيوننا على ما يجب أن تتخذه من إجراءات عاجلة حاسمة فيما يحص الدراسات اللغوية والأدبية في معاهد التعليم العام والجامعات، لأن هذه الدراسات متخلفة حقا عن نظيرتها في الأمم الأخرى التي تعنى كل العناية بلغة الأدب والعلم فيها.ومن خلال هذا العرض الموجز لمشكلة لغة الحوار داخل الرواية يتبين لنا

[1] – جبرا إبراهيم جبرا، الرحلة الثامنة، مرجع سابق، ص: 94.

[2] – محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مرجع سابق، ص: 673.

[3] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص: 177.

خطورة وأهمية الحوار في تشكيل ورسم وتكميل بنية العمل الروائي من جهة، وما أثاره من تساؤلات ونقاشات بين النقاد من جهة ثانية، وإن كنا نميل صراحة إلى عدم إقحام اللهجة العامية في الأعمال الإبداعية عامة والسردية خاصة وذلك لإيماننا بأن هذه الأجناس لو كتبت باللغة الفصحى كانت لها الديمومة بعكس ما يكتب باللهجة العامية المحلية، فإنه عرضة للزوال والتغيير من قطر إلى أخر، كما أنها إذا وظفت بشكل كبيير تجعل القارئ الذي لا يفهم هذه اللهجات ينفر عن قراءة هذه الأعمال.

**ثبت قائمة المصادر والمراجع:**


1) –ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق: محمد الاسكنداري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1997.
2) – جبرا إبراهيم جبرا، الرحلة الثامنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1979.
3) – الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام هارون، القاهرة، مصر.
4) – رشاد رشدي، في القصة القصيرة، دار العودة، بيروت، لبنان، 1984.
5) – رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: نعيم الحمصي، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1970.
6) – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،مطبعة المكتبة الجامعية ،الدار البيضاء ، المغرب ،1985.
7) – صالح بن إبراهيم الحسن، الفصحى في الحوار القصصي، مجلة الفيصل، العدد 245، ذو القعدة1997/1417.
8) – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1991.
9) – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، الجزائر 2004.
10) – فادية مروان أحمد الونسة، الحوار في مقامات الهمذاني، مجلة التربية والتعليم ، العدد2011/4 ،جامعة الموصل.
11) – قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق وتقديم: طه حسين – عبد الحميد العبادي، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1995.
12) – محمد تحرشي، العامية في الخطاب السردي الجزائري،، مجلة دراسات جزائرية، عدد5/4، جامعة وهران، الجزائر، 2007.
13) – محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973.
14) – محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر.
15) – محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
16) – محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996.
17) – نجم عبد الله كاظم، مشكلة الحوار في الرواية العربية، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ، ط1 ،2012.
18) – يوسف السباعي، السقامات، لجنة النشر للجامعيين، مصر، 1987.
19) – يوسف الشاروني، دراسات أدبية،مطبعةالمعرفة ، مصر.
20) – يوسف نوفل، قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1977.

# دوريَّة الشِّهاب الإصلاحيَّة . حقيقتها وأهدافها .

أ.د. الوكَّال زرارقة . المركز الجامعي – أفلو .

نشأت صحيفة "**الشهاب**" سنة 1925م في إطار الحركة التغييرية المقاومة لسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وهي محطة من محطات العمل المقاوم الذي قام به الشيخ "**عبد الحميد ابن باديس**". فهذه الصحيفة نشأت في أعقاب الحرب العالمية الأولى بحوالي خمس سنوات وخروج فرنسا منها منتصرة باسطة نفوذها على مواقع أخرى من العالم العربي ومسيطرة عليها، فزاد ذلك من جبروتها وعنجهيتها، واستمرارها في تطبيق سياستها الاستبدادية ضد الشعب الجزائري وقمع حريته وإخضاعه لقوانين الأنديجينا الإرهابية التي فرضت عليه ابتداء من سنة 1847م، والتي ظل معمولا بها حتى سنة 1944م.

وقد استغل الوطنيون الجزائريون قانون الرابع فيفري 1919م الذي خفف بعض الشيء من الإجراءات الظالمة للسلطات الاستعمارية في تكثيف عملهم السياسي والإعلامي، فنشطت الحركة الإعلامية بإصدار عدة صحف بعد توقف دام خمس سنوات بسبب المنع الذي فرضته السلطات الفرنسية عليها. كما شهد الحقل السياسي نشاطا متميزا بظهور حركة "**الأمير خالد**"، الذي تزعم الهيئة الوطنية في الجزائر وشكل واجهة جزائرية قوية أخذت تدافع عن حقوقها دفاع البطل المستميت وتقوم بحملتها في فرنسا وفي الجزائر بواسطة الخطب والصحف، وبواسطة الدعية والنشريات المختلفة[1] ، إلا أن هذه الحركة أخفقت تحت وطأة التضييق الذي وقع عليها من قبل السلطات الاستعمارية التي سخرت كل ما كانت تملك من وسائل للتخلص منه بسبب مواقفه المطالبة بالمساواة المطلقة بين الجزائريين والفرنسيين في جميع الحقوق بجزئياتها الصغيرة، وفي مجالات الحياة المختلفة[2]، إلا أن امتداد حركته بقي يسري في الجسم الجزائري، وظهر فيما بعد في تشكيل نجم شمال إفريقيا.

وفي هذا المناخ وهذه الأجواء كان هناك شخص يعمل بصبر وأناة، وبخطة ثابتة ومنظمة في إصلاح ما أفسده الاحتلال، وإعادة ما سلبه واغتصبه، والوقوف أمام سياسته الإرهابية الهادفة إلى إبعاد الشعب عن هويته ولغته ودينه. فقد بدأ "**عبد الحميد بن باديس**" مُصْدِر "**الشهاب**" وقبلها "**المنتقد**" عمله المقاوم لسياسة المحتل عام 1913م بعد ما شخص السقم الذي يعاني منه الشعب، وحدد سببه بإحداث عملية تغيير جذري للإنسان الجزائري الذي استهدفه المحتل منذ البداية وركز عليه كل التركيز في تحويله عن دينه ولغته وشخصيته وجعله قابلا للانقياد والقابلية لما يفرض عليه من سياسات، فكان هذا الإنسان هو محور اهتمام "**ابن باديس**" في ثورته التغييرية، فاتخذ من العمل التربوي

1. عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1983م، الجزائر، ط1، ص.1.

2. عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص.14.

3 . عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره ج1، 1997م، الجزائر، ط3، ،ص.101.

وسيلته للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي، فالتربية "**عند ابن باديس**" هي الوسيلة إلى تغيير الذات الإنسانية وتوجيهها وإلى تحويل الباطن البشري الذي هو العامل الأخلاقي الأساسي.[1] ورأى "**ابن باديس**" في هذه المرحلة بأن المعركة الحقيقية مع الاستعمار لن تكون إلا بعد أن تكون الأجيال تكوينا صحيحا مبنيا على صحة العقيدة، وثبات الأفئدة ووحدة الصفوف، ووحدة السبيل والهدف، لتتمكن من مقاومتها لمحتلها بقوة وعزم وإصرار في جميع المجالات، وحتى تستطيع جني ثمارها وهي قادرة على المحافظة عليه والتمسك به، وعدم التفريط فيه. وقد درس "**ابن باديس**" قبل بدء مقاومته للاستعمار الميدان وقدر جميع أبعاده، فحدد أهدافه واختار منهاجه بدقة، وأدرك أن الأمر فصل وما هو بالهزل وأن المعركة ستكون شرسة، وأن الخصم لن يتساهل بعد أن كاد يصل إلى أهدافه بما وضع من مخططات وسخر من طاقات لتشويه الدين، وترهيب النفوس، وتفريق السبل، وتشتيت الصفوف.[2]

ويعد ميلاد صحيفة "**الشهاب**" ثمرة من ثمرات المقاومة الفردية "**لابن باديس**"، فقد تمكن فيها من تحقيق مكاسب عظيمة كانت قبل 1913م حلما من أحلام العلماء والمصلحين في ميادين التربية والتعليم والإعلام. ولقد أدرك "**ابن باديس**" بعد سنوات من التدريس بأن حلقات الدرس في الجامع الأخضر لا تكفي لتحقيق ما يطمح إليه من تغيير وما يصبو إليه من تجديد[3]، لذلك أسس سنة 1925م صحيفة "**المنتقد**" وبعد توقيفها أصدر جريدة "**الشهاب**". يقول "**عبد الحميد بن باديس**" في أول افتتاحية كتبها في جريدة "**المنتقد**" الأسبوعية العدد الأول مشيدا بالعمل الصحفي ومبينا أهميته في تحقيق الأهداف والوصول إلى الغايات:"بسم الله ثم بسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون..."[4]

ومجلة "**الشهاب**" هي الصحيفة الثانية التي أنشأها الشيخ "**عبد الحميد بن باديس**" بعد اتجاهه إلى عالم الصحافة واتخاذه وسيلة من وسائل مقاومته لسياسة المحتل الفرنسي في الجزائر.وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ 12

---

4 . عبد الرحمان شيبان، مقدمة آثار الإمام ابن باديس، وزارة الشؤون الدينية، ج3، 1985م، الجزائر، ط1، ص.12.

5 . رشيد زروقة جهاد ابن باديس،1999م ، بيروت،ط1،ص.119.

6 . محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر،1980م، الجزائر،ط2، ص.12.

نوفمبر 1925م في مدينة **قسنطينة** مركز حركة **"ابن باديس"** الإصلاحية والتربوية والصحافية، وكانت أول الأمر مجلة أسبوعية ثم تحولت ابتداء من شهر شباط عام 1929م إلى مجلة شهرية.وقد صدرت "الشهاب الأسبوعية بعدما منعت سلطات الاحتلال أول جريدة أصدرها **"ابن باديس"** **"المنتقد"**، لأنها كانت حارة الأسلوب ، ملتهبة الوطنية،شديدة الانتقاد لإدارة الاحتلال وعملائها وصنائعها من بعض الجزائريين، وغيرهم وذلك بعد ظهور ثمانية عشر عددا فقط منه.[1]

وتعد "الشهاب الصحيفة الرسمية للمدرسة الإصلاحية في الجزائر التي كان يتزعمها **"عبد الحميد بن باديس"**[2] وهي من أشهر المجلات في المغرب العربي في النصف الأول من هذا القرن، وأطولهن عمرا، وأعظمهن خطرا، وأبعدهن أثرا، وأغناهن فائدة ونفعا، فقد كانت تتناول الفكر الإسلامي في عمقه وأصالته، وكانت كثيرا ما تنصب أثناء ذلك على الفكر الإنساني بما فيه من سعة وشمول[3]. وقد كان لهذه الصحيفة بفضل استمرارها والمكانة التي كان يتمتع بها رئيس تحريرها في نفوس الجزائريين تأثير ضخم على الأوساط الجزائرية المثقفة بالعربية، فقط استطاعت خلال أربعة عشر عاما أن تحدث تأثيرا عميقا في الصحافة العربية بالجزائر في فترة ما بين الحربين.[4] وتعد **"الشهاب"** ملكا **"لابن باديس"**، وما كانت يوما ملكا لجمعية العلماء المسلمين أو أي هيئة حزبية أخرى، فهي عمل من أعماله، ومفخرة من مفاخره[5]،وقد أتاح استقلال **"الشهاب"** عن الجمعية لمؤسسها ومصدرها ان ينشر فيها

---

7. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص.183.  8 . المرجع السابق ، ص.260.

9 . عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، 1985م، الجزائر، ط1، ص.37

10 عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص.99.

11. عواطف عبد الرحمان، المرجع المذكور سابقا، ص.37.

12. عبد الملك مرتاض، المرجع المذكور سابقا، ص.15.

13 . رشيد زروقة، المرجع المذكور سابقا، ص.181.

14 . محمد الميلي، المرجع المذكور سابقا، ص.12.

الآراء والنداءات ما قد يعارض فيه بعض أعضاء الجمعية أو أغلبيتهم[1]. ويوحي عنوان هذه الصحيفة"**الشهاب**" بالطموح إلى إضرام النار في القديم البالي الميت، الذي يريد أن يتحكم في الأحياء، وفي المستقبل، وإلى إنارة الطريق للجيل الصاعد، نظرا لما للشهاب من معاني النار والضوء.[2]

وقد حرص "**ابن باديس**" أشد الحرص في الحفاظ على هذا المكسب الإعلامي الثمين، الذي هو بالنسبة إليه سلاح من أسلحة بعث الأمة وتذكيرها بماضيها الأصيل، ولغتها المشرقة، ودينها الحنيف، من خلال اصطناع لغة لينة مع سلطات الاحتلال وعدم الدخول معها في مواجهة مباشرة تفقده هذا السلاح، وتذهب بمجهوداته وتبعده عن أهدافه القريبة والبعيدة، ويدل ذلك على مدى شجاعته وثباته على الجهر بالحق، وتمسكه بالمبادئ والعمل على صونها. فشجاعة "**ابن باديس**" وثباته على المبادئ العليا، أبيا عليه أن يستسلم للواقع، ويرضى بقرار سلطة الاحتلال (في توقيف جريدة المنتقد) , فلا عجب إذا رأيته يسارع إلى إصدار جريدة أخرى أسبوعية كانت على الاستعمار كالشرر الذي يرمي بلهب، وكالشهب التي تحرق كل شيء، ولكنها ثبتت وصابرت، فكانت تثور حين ترى الثورة ملائمة، وتتقي حين لا تجد غير التقية سبيلا تسلكها، فلم يستطع الاستعمار أن يصنع لها من أجل ذلك شيئا.[3]

أما بالنسبة لشكلها ومحتواها فقد كتب الشيخ "**عبد الحميد بن باديس**" على غلاف الجريدة وتحت عنوان "**الشهاب**" مباشرة هذه العبارة:- جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء". وكتب في أعلى الغلاف على اليسار ملاحظة حول طبيعة المراسلات وعنوان المكاتبات وعنوان الجريدة باللغتين العربية والفرنسية، وعلى اليمين ثمن الاشتراكات داخل الوطن وخارجه وطريقة نشر الإعلانات وعنوان الجريدة بالأحرف اللاتنية. وقد احتوت الجريدة خلال الأربع سنوات من صدورها على موضوعات سياسية واجتماعية ودينية وأدبية، منها ما يتصل بالأوضاع الوطنية، ومنها ما يتصل بالأوضاع الإقليمية والعالمية، بالإضافة على احتوائها على أبواب ثبتت في السنة الأولى وبداية السنة الثانية ثم اختفت في بقية الأعداد ومنها " ملاحظاتي، نجوم أو رجوم، للاعتبار، خطرات الأسبوع، روضة الأدب ".إلا أن الباب الخاص بالأدب بقي مستقرا وإن تغير عنوانه واختص خاصة في نشر الشعر

وابتداء من شهر فيفري 1929م تحولت "**الشهاب**" من جريدة إلى مجلة شهرية بسبب ما لاقته من مضايقات، وحصار وأزمة مالية. وكتب منشؤها على الغلاف الخارجي لها: مجلة إسلامية جزائرية – شهرية تبحث في كل ما يرقي المسلم الجزائري، ثم كتب في نصف الغلاف مبدأ المجلة في الإصلاح الديني والدنيوي الذي تسير عليه وهو قول الإمام "**مالك بن أنس**" "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". وتحت هذه المقولة مباشرة كتب الشعار الآتي:- "الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات." "**فابن باديس**" من خلال هذا الشعار يرى أن المواطن الصالح الكامل المثالي، هو الذي من يقوم بواجبه نحو وطنه ومواطنيه فإذا فعل ذلك فله الحق في أن ينال حقوقه موفورة.[1] كما أن "**ابن باديس**" إنما يشير بهذا الشعار إلى المرحلة السياسية التي كان يطمع فيها الجزائريون أن تقدر فرنسا مساعداتهم التي قدموها لها إبان الحرب العالمية الأولى.[2]

أما أركان غلاف المجلة الأربعة في صفحتها الأولى فقد كتب الكلمات الأربع الآتية:-الحرية-العدالة-الأخوة-السلام-، والكلمات الثلاثة الأولى هي شعار الثورة الفرنسية وقد أضاف إليها الشيخ "**عبد الحميد بن باديس**" كلمة رابعة من عنده وهي "**السلام**" لكي يوضح أن شعار الثورة الفرنسية المعروف والذي يتمثل في "الحرية والأخوة والعدالة أو المساواة إذا طبق في الجزائر على الجزائريين كما هو مطبق على المستوطنين الأوربيين حقيقة فإنه بدون شك سوف يساوي السلام.أما إذا بقي عبارة عن شعار نظري فإن هذا السلام لن يتحقق في الجزائر حتى وإن بقي سيف الإرهاب المادي والنفسي مسلطا على رقاب الجزائريين بكل قوة وعنف.[3] وفي الصفحة الداخلية الأولى كتبت هذه الآية: ﴿...**قُلْ هَذِه سَبِيلِي أدْعُوا إلَى اللهِ عَلى بَصيرةٍ أنَا ومَن اتَبَعَنِي وسُبْحَانَ اللهِ ومَا أنَا من المشركين**﴾. ﴿ **ادْعُ إلَى سَبِيل رَبّكَ بِالحِكْمةِ والمَوعِظَة الحَسَنةِ وجَادِلْهُم بِالتِي هِيَ أحْسَن...**﴾.

وابتداء من شهر سبتمبر 1937م وبعد رجوع وفد جمعية العلماء من فرنسا بدون أن يحصل من السلطات المسئولة على أي حق غير"**ابن باديس**"شعار المجلة المكتوب في أسفل الغلاف الخارجي وعوضه بالعبارة التالية" **لنعول على أنفسنا، ولنتكل على الله**".

واحتوت مجلة "**الشهاب**" منذ سنة 1929م على الأبواب التالية:-

15 . عبد الملك مرتاض، المرجع المذكور سابقا، ص.99.

16 . عبد الملك مرتاض، المرجع المذكور سابقا،ص.102.

17 . محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1939م، 1980، الجزائر، ط1، ص.60.

1- **مجالس التذكير**: واختص بتفسير آيات القرآن الكريم،والحديث الشريف وتوضيح مسائل في أصول العقائد أو أصول الأعمال بالاعتماد على علم أئمة السلف وأئمة الخلف لتبصرة العقول وتهذيب النفوس.

2- **رسائل ومقالات**: واحتوى على ما كان يرد المجلة من مقالات ورسائل العلماء والأدباء من مختلف أرجاء الوطن.مما هو موافق لخطة المجلة في ترقية المسلم الجزائري.

3- **مجتنيات من الكتب والصحف**: ويعرض هذا الباب لأهم ما يكتبه المفكرون والمصلحون في البلاد العربية بصفة خاصة وأكثره مقالات منقولة عن الصحف الإصلاحية الكبرى مثل "**المنار**" "**لرشيد رضا**"، و"**الأمة العربية**" "**للأمير شكيب أرسلان**"،و"**الفتح**" "**لمحب الدين الخطيب**" وغيرها من الصحف المشرقية والمهجرية الأخرى[1]، كما ينشر مقالات كبار الكتاب والأدباء.

4- **قصة الشهر**: ويهتم هذا الباب بنشر قصص واقعية منتقاة تحكي سيرة أبطال من التاريخ الإسلامي أو موقفا من المواقف الإنسانية الخالدة قد تشفع بتعليق أو تصدير يزيد القارئ خبرة بما فيها من فائدة وعبرة.

5- **المباحثة والمناظرة**: وهو باب لتبادل الآراء والأفكار، وللبحث والمناظرة فيما يتصل بالمسائل الفقهية أو الحضارية أو اللغوية، مما يكون موافقا لخطة المجلة ولاستجلاء الحقيقة من طريق الدليل.

6- **الفتوى والمسائل**: وهو باب لم يكن منتظم الصدور خصصه "**ابن باديس**" للفتاوى الشرعية.

7- **ثمار العقول والمطابع**: وخصص لنشر ما تكتبه المجلة حول ما يردها من مؤلفات وصحف بالبيان والنقد أو التقريظ.

8- **في المجتمع الجزائري**: وينشر فيه ما يتعلق بالوطن الجزائري من جميع نواحيه، وما يجد فيه من مجريات أحواله، مع ما يتبع ذلك من بيان بالحق ومعالجة بالحكمة والإنصاف.

9- **نظرة عالمية**: وهو باب سياسي يتضمن أهم الأحداث السياسية العالمية الشهرية، وقد قسم إلى عنوانين "في الشمال الإفريقي، والشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب".

10- **أخبار وفوائد**: واختص بنشر الأخبار المختصرة في شتى ميادين الثقافة والفكر الإنساني.

11- **حديقة الأدب**: واختص هذا الباب بنشر الإنتاج الأدبي شعرا ونثرا للأدباء العرب في المغرب والمشرق العربيين، وحتى لأدباء المهجر.

18 . تركي رابح، المرجع المذكور سابقا، ص.262.

ومن خلال أبوابها يتضح لنا الاتجاه الفكري لهذه الدورية الإعلامية ، فهي مجلة فكرية إصلاحية سياسية، فقد كانت بحكم اتجاهها الإصلاحي، تحارب الطرقية في شتى مظاهرها، من زيارة القبور، وإقامة الطقوس الفلكلورية، والمظاهر المعتقداتية من حول الضرائح...كما كانت تعنى عناية شديدة بالإصلاح الاجتماعي.([1]) وإلى جانب اهتمامها بالاتجاهين الإصلاحي والاجتماعي فقد اهتمت كذلك بالجانبين السياسي والأدبي وأولتهما اهتماما كبيرا، وهي في كل ذلك نشدت الإصلاح، وسعت إلى التغيير بإرجاع الأمة إلى منابعها الأصيلة، فهي إصلاحية المبدأ، سلفية العقيدة، مالكية المذهب.([2]) ومن خلال اهتمامها بكل هذه الأبواب، وتفتحها على جميع هذه المواد الثقافية،ومعالجتها لها بأشكال أدبية متنوعة، ومسايرتها للأحداث باختلاف موضوعاتها، وصمودها أمام المؤامرات المستهدفة وجودها، تعد بحق مدرسة فكرية إصلاحية رباعية الاتجاهات: دينية إصلاحية، وسياسية متحررة، وفكرية متطلعة، وتربوية متأصلة. فكأن هذه الاتجاهات الأربعة، بأوصافها، هي التي تكون الاتجاه المركزي لفكر ابن باديس.([3])

19 . محمد ناصر، المرجع المذكور سابقا.، ص.59.

20 . عبد الملك مرتاض،أدب المقاومة الوطنية في الجزائرج2، 2003م, الجزائر،ص.276.

21 . المرجع السابق.، ص.277.

# أثر الوقف في البحث العلمي والنّهوض الحضاري ( نموذج الوقف على الجامعات )

**أ. محمَّد الحبيب منَّادي – المركز الجامعي بآفلو.**

**مقدّمة :**

إذا أردنا إيجاز غاية الجامعات الوقفيَّة فهي أن يقرأ الإنسان ما يُحبّ ، في الوقت الذي يُحبّ ، على الأستاذ الذي يُحبّ ... ! وهذا ما كانت عليه معظم الأوقاف الإسلاميَّة في المساجد والجامعات والحواضر العلميَّة ...

والوقف نظام إسلامي محض [1] ، ونفعه عام [2] يكاد يشمل كلّ مناحي الحياة ، وكلّ مخلوقات الله . فهو تطبيق عَمَلي للصَّدقة الجارية ، وصُور رائعة من صُور التّكافل الاجتماعي . وقد عرف المسلمون أنواعاً شتّى من الوقف ، يكاد البعض لا يُصدِّق وُجودها ، لإغراقها في أدقّ تفاصيل الحياة الاجتماعيَّة ، فقد كان هناك وقف للأواني المنكسرة ، والثياب المتَّسخة ، ووقفٌ للمرضعات ، ومُؤنسي المرضى ، وقائدي العميان ، ومُزوِّجي العرسان ... ، ووقف لتطبيب الحيوانات وتمريضها ، ووقف للخيول الهَرِمَة ، ووقفٌ لرصف الطُّرُق وإنارتها ... فضلاً عن الأوقاف المعروفة مثل : وقف المساجد والمصاحف والآبار والأسبِلة والحدائق والجسور والطُّرق والحمّامات ، وكذا وقف المكتبات والمدارس والمستشفيات ... فلم يَدَعوا بذلك شيئاً ممّا فيه خدمة للنّاس إلاّ وكان للمسلمين فيها وقف ...

وأمامَ عجز العديد من الدُّول العربيَّة والإسلاميَّة عن خدمة الاحتياجات الرَّاهنة للتَّقدُّم العلمي ، والعجز عن الاستمرار في الإنفاق على التَّعليم " المجَّاني " وخروج جامعاتها من التَّصنيفات العالميَّة للجامعات ، ظهرت الحاجة إلى ( الوقف على البحث العلمي ) وتمويل الجامعات ومراكز البحث ، وكذا الباحثين ، من خلال الوقف ، بما يُحقّق للأمَّة اكتفاءها الذَّاتي ، ويعمل على تعزيز استقلاليَّتها ، وحرِّيَّتها ، وذلك عن طريق التَّوجُّه نحو الوقف على ( الجامعات) ذات التَّخصُّصات الحيويَّة التي تنفع الأمَّة ، وتشجيع المبادرات لتمويل التّعليم في الجامعات الحكوميَّة ، والتوسّع في الاستثمارات الوقفيَّة في المجالات التَّنمويَّة ، وفي مقدّمتها ( الجامعات ) ، لتحقيق جودة التَّعليم الذي يؤدّي إلى جودة الحياة في شتى جوانبها . إذ يعمل الوقف – في مستوى الجامعات – على علاج بعض مشكلات

---

[1] – قال الإمام الشَّافعي : « لم يحبس أهل الجاهلية ، فيما علمت ، إنَّما حبس أهلُ الإسلام » ، انظر : الزّحيلي ، وهبة : **الفقه الإسلامي وأدلَّته** ، ( 10 / 291 ) . وهناك من قال إنَّ الوقف ظاهرة إنسانيَّة عرفتها البشريَّة قبل الإسلام ، ومنها أوقاف سيِّدنا إبراهيم الخليل ، التي وُصِفت بأنَّها إحدى أشهر الأوقاف التي عرِفت في مرحلة ما قبل الإسلام ...

[2] – وهو مباح بدليل صحَّته من الكافر، كما يقول الحنفيَّة ، انظر : ( **الدرّ المختار وردّ المحتار**: 392 / 3 ، 399 – 401 . ) نقلاً عن : الزّحيلي ، وهبة : **الفقه الإسلامي وأدلَّته** ، ( 10 / 294 ) .

التّعليم الجامعي مثل ( ضعف التّمويل للنّشاطات البحثيَّة ، اكتظاظ الطلاَّب في الفُصُول ، تدنّي مستوى العمليَّة التّعليميَّة ... ) ، ويعمل على ربط التَّعليم بسوق العمل واحتياجات المجتمع ، نتيجة تعدُّد أشكال الوقف ، وتنوّع مجالاته ، إضافةً إلى إسهامه في مجال النَّشر العلمي العالمي ، وتصنيف الكثير من الجامعات الوقفيَّة ضمن الجامعات العالميَّة المتقدِّمة .

إذ تتميّز ( الجامعة الوقفيَّة ) عن ( الجامعة الحكوميَّة ) – في الغالب – باستقلال فلسفتها وتمويلها وإدارتها واستراتيجيَّاتها ... ، ممّا يفتح أمامها آفاق الإبداع والتّطوير ، على أنَّ غايتها هي النّهوض الحضاري بالأمَّة ، انطلاقاً من خدمة المجتمع وترقيته من خلال دعم التّخصُّصات الحيوية والنَّادرة التي يحتاجها المجتمع وتلبّية حاجات سوق العمل فيه بإبرام الشّراكات الفاعلة ، وكفالة طلبة الجامعة والارتقاء بمستوى خرّيجيها .

ومن هذا المنطلق قامت إشكاليَّة البحث على معرفة : أثر الوقف في البحث العلمي والنّهوض الحضاري ، وذلك ببيان ماهية الوقف ، وأركانه ، مع عرض لـ ( نماذج الوقف على الجامعات ) ، وبيان أثرها في المجتمع .

وغاية البحث أن نرى جامعاتنا تعود لتكافلها بإحياء أُسِّ التّكافل الاجتماعي وهو ( الوقف ) ، وإعادة مجد الحضارة ، كالذي كنّا نسمعه عنها حين كانت أوربّا يُغطّيها الجهل من أركانها الأربعة ، وهذا ما يتَّضح من نصّ رسالة الملك جورج الثّاني ( ملك إنجلترا ) حين أرسل ابنة أخيه " الأميرة دوبانت " ورئيس ديوانه على رأس بعثة مكوَّنة من ثماني عشرة فتاة من بنات الأمراء والأشراف إلى " إشبيليّة " لما كان المسلمين يحكمون الأندلس لدراسة نظام الدَّولة والحكم وآداب السُّلوك الإسلامي ، وكلّ مايؤدِّي إلى تهذيب المرأة . يقول فيها : « من جورج الثَّاني ملك إنجلترا والغال[1] والسُّويد والنَّرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثَّالث الجليل المقام ، وبعد التَّعظيم والتَّوقير : فقد سمعنا عن الرقيّ العظيم الذي تتمتَّع بفيضه الصَّافي معاهد العلم والصِّناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم **لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان** ، ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة " دوبانت " على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز تتشرَّف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم ، وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتي سيتوافرون على تعليمهن . ولقد أرفقت مع الأميرة الصَّغيرة هديَّة متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرّم بقبولها مع التَّعظيم والحبِّ الخالص . **من خادمكم المطيع جورج ملك إنجلترا** » [2] .

## 01 – ماهية الوقف وأركانه :

**أ – الوقف لغةً** : مصدر وقف ، ومعناه الحبسُ والمنع . ثمَّ اشتهر المصدر في الشَّيء الموقوف ، فقيل هذه الدَّار وقف . أي : موقوفة . وكما يُطلق الوقف على المادِّيَّات يُطلق على الحسِّيَّات ، فيُقال : وقفت عن السَّير ، إذا

---

[1] – الغال : تطلق على أجزاء من بلاد فرنسا الحاليَّة .

[2] – المصدر: **كتاب الاستذكار** لابن عبد البرَّ– المجلَّد الأوَّل ، ص : 13 – 14 . كتاب " العرب عنصر السّيادة في القرون الوسطى" للمؤرّخ الإنجليزي السّير " جون دوانبورت " .

امتنعت عنه . ويُستعمل أيضاً في الأشياء المعنويَّة ، فيُقال : وقف فلانٌ حياته على العلم والدِّراسة والتَّعليم . وقد يُطلق أيضاً على معرفة الشَّيء والدِّراية به ، فيُقال : وقفت على حقيقة الأمر [1] .

**ب– وفي الاصطلاح الفقهي** : هو حبسُ المملوك وتسبيلُ منفعته مع بقاء عينه ودوام الانتفاع [2]. « حبس العين على ملك الواقف والتَّصدّق بالمنافع على الفقراء مع بقاء العين كالعارية » [3] . أي هو تحبيس الأصل وتسبيل منفعته . وفي تعريفٍ آخر للوقف يقول " وهبة الزُّحيلي " : « هو حبس العين عن تمليكها لأحد من النَّاس وصرف منفعتها إلى الموقوف عليه . فالوقف يفيد تمليك المنفعة للموقوف عليه ، وله استيفاء المنفعة بنفسه ، أو بغيره إن أجاز له الواقف الاستثمار، فإن نصَّ على عدم الاستغلال أو منعه العرف من ذلك ، فليس له الاستغلال » [4] . وفي سياق عرض " وهبة الزّحيلي " لأمثلةٍ عن " الالتزام بإرادة واحدة في الفقه الإسلامي " أورد تعريفاً للوقف ينصُّ على أنَّ من بينه الوقف على دُور العلم والمرافق الاجتماعيَّة فقال : « الوقف حبس المال عن التَّصرّف ، وتخصيص ريعه لجهةِ برٍّ، تقرّباً إلى الله تعالى ، كالوقف على دُور العلم وجِهَات الخير كالمشافي والمدارس والمصانع الحربيَّة » [5] . وقال الجمهور [6] : « للوقف أركان أربعة : هي الواقف ، والموقوف ، والموقوف عليه ، والصِّيغة . باعتبار أنّ الرّكن : ما لا يتمّ الشَّيء إلاَّ به ، سواء أكان جزءاً منه أم لا » [7].

وعلى ما سبق من تعريف الوقف وأركانه يُمكن القول إنَّ الوقف يتحقَّق بحبسِ الواقفِ عينًا من أعيان ماله ، ويجعل منافعها وفوائدها وريعها كوجه من وجوه الخير، تقربًا إلى الله تعالى . وهي تقوم على خروج المال من عند صاحبه إلى ملك الله الدّائم ، وأن يُتصدَّق به في وجهٍ من وُجُوه البرّ ، وتبقى العين على شرط الواقف . والهدف الاقتصادي المباشر لاستثمار أموال الوقف هو توليد دخل نقدي مُرتفع بقدر الإمكان يسمح للأوقاف بتقديم

---

[1] – انظر : الفيُّومي ، أحمد بن محمّد بن علي : **المصباح المنير**، مكتبة لبنان ، 1987 م ، ص : 256 ، **المعجم الوسيط** : 02 / 1051 .

[2] – انظر : المناوي ، محمّد عبد الرَّؤوف : **التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف** ، ص : 340 .

[3] – انظر : القونوي ، قاسم : **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء** ، ص : 197 ، وانظر : **معجم المصطلحات الماليَّة والاقتصاديَّة** ، نزيه حماد ، ص : 474 وما بعدها .

[4] – الزّحيلي ، وهبة : **الفقه الإسلامي وأدلَّته** ، ( 4 / 416 ) .

[5] – المصدر السّابق .

[6] – انظر : **ردّ المحتار**: 395/3 ، **القوانين الفقهيَّة** : ص : 369 وما بعدها ، **الشَّرح الصَّغير** : 101/4 وما بعدها ، **مغني المحتاج** : 376/2 ، 383 ، **غاية المنتهى** : 299/2 ، **المغني** : 547/5 ، **كشاف القناع** : 279/4 ، **الفروق** : 111/2 . نقلاً عن : الزّحيلي ، وهبة : **الفقه الإسلامي وأدلَّته** ، ( 10 / 296 ) .

[7] – انظر: المصدر السَّابق ، ( 10 / 296 ) .

خدماتها للمجتمع في أفضل صُورة . وقد اعتبر الفقهاء أنَّ الوقف يفقد شرعيّته لو كان مترافقاً مع المعصية أو مع الإضرار بالآخرين [1] ، كما اشترطوا في الواقف أن يكون واجداً لأهليَّة التبرُّع [2] .

**01 – 01 – ماهية الوقف العلمي :**

الوقف العلمي هو شكلٌ من أشكال الوقف " العصريَّة " والتي تعمل على استقبال التبرُّعات أو الأوقاف النَّقديَّة والعينيَّة واستثمارها في الجانب العلمي ( تمويل الأبحاث العلميَّة ، وتكوين الأساتذة والطّلبة ، دعم المشاريع البحثيَّة ... إلخ . ) والإنفاق من عوائد هذه الأوقاف على خدمة المجتمع من خلال أنشطة وبرامج مبتكرة تهدف إلى تنمية المجتمع في مختلف المجالات العلميَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والصحِّيَّة والبيئيَّة وفق أولويَّات واحتياجات المجتمع والأمَّة ، وممَّن تبنّى هذا التوجُّه الوقفي ما رأيناه في جامعة الملك عبد العزيز بالسّعوديَّة [3] .

ووصفنا لماهية الوقف العلمي بأنَّه " عصري " فيه الكثير من التحفُّظ لأنَّ فكرة الأوقاف على المؤسَّسات التَّعليميَّة تعود – بحسب ما يذهب إليه أكثر الباحثين – إلى الخليفة العبَّاسي المأمون ، وذلك ظاهرٌ فيما أنفقه من أموالٍ طائلة على إنشاء " بيت الحكمة " ، « ولم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكمة متوقِّفاً على سخاء الخلفاء والأُمراء ، فهيَّأ للعلماء أرزاقاً سخيَّةً يتقاضونها في أوقات محدَّدة من وقفٍ ثابتٍ يفيضُ ريعُها عن التَّكاليف المطلوبة لهذه المؤسَّسة العظيمة ، ومن ثمَّ انتشرت فكرة الخليفة المأمون ، فأصبح من ضَرورات إنشاء معهد أو مدرسة علميَّة أن يُعيِّن لها وقفاً ثابتاً يفي بنفقاتها » [4] .

والوقف التَّعليمي هو ما يوفّر الدَّعم لبرامج وأنشطة الجامعات ، بما في ذلك المساعدات الماليَّة لطلبة الجامعات ، وطلبة الدِّراسات العليا ، والطَّلبة المهنيِّين ، والمقاعد الممنوحة ، والبحوث الجامعيَّة ، والمراكز الأكاديميَّة ، وبرامج تأهيل الطَّالب ، ومقتنيات المكتبة ... وتعتبر تمويلات الوقف حاسمة لتحقيق النَّجاح على الأمد البعيد للبحوث الأكاديميَّة ، ومبادرات تأهيل الطَّلبة الجامعيِّين ...

**01 – 02 – ماهيَّة الجامعة الوقفيَّة :**

---

[1] – محمَّد شفيق العاني : **أحكام الأوقاف** ، بغداد ، الشَّركة الإسلاميَّة للطّباعة ، 1375 هـ. ، ص : 09 .

[2] – عبَّاس طه المحامي : **أسرار التّشريع الإسلامي وفلسفته** ، مجلَّة الأزهر ، المجلَّد السَّادس ، 1354هـ .

[3] – انظُر : موقع جامعة موقع جامعة الملك عبد العزيز ( **www.waqf.kau.edu.sa** ) . **والتي تقوم رؤيتها للجامعة الوقفيَّة على** : " أن يصبح الوقف العلمي ( بأصوله الثابتة والمتغيرة ) و( ضوابطه الشَّرعيَّة المعتمدة ) و( استثماراته النَّاجحة ) ركيزة في تطوير ودعم المشروعات البحثيَّة وتمويل الدِّراسات العلميَّة والتَّطبيقيَّة والبرامج الخاصَّة التي تخدم المجتمع وتعالج مشكلاته الاقتصاديَّة والعلميَّة والاجتماعيَّة والصحيَّة وتسهم في تنميته " .

[4] – انظر: **أحكام الأوقاف** للشَّيخ مصطفى الزَّرقا ، ص : 14 ، **دور الوقف في مجال التّعليم** ، د . سامي الصَّلاحات ، ص : 01 – 11 . نقلاً عن : ضميريَّة ، عثمان جمعة : **استثمار أموال الأوقاف على التَّعليم وأساليب إدارتها** ، ورقة عمل مقدَّمة لمؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النَّهضة التَّعليميَّة المنعقد بجامعة الشَّارقة في 06 و 07 جمادى الآخر 1432 هـ الموافق لـ : 09 و 10 مايو 2011 م .

نقصد بالجامعة الوقفيَّة ما يتمّ حبسُه من أعيان المال في إقامة الجامعة وآدائها لوظائفها : الوظائف التَّدريسيَّة ( نشر المعرفة ) ، والبحثيَّة ، وخدمة المجتمع . و( للجامعة الوقفيَّة ) فوائد كبيرة تتمثَّل في حفظ الأصول المحبسة واستمرار عطائها في الأجيال المقبلة ، بحفظ أجزاء من أعيان الأموال لنفع الطّلبة والأساتذة الجامعيّين ، ونفع المستحقين بإعانتهم على تلبية احتياجاتهم المعرفيَّة ... وذلك بتمويل العمليَّة التَّعليميَّة برمَّتها ، إذ تعمل ( الجامعة الوقفيَّة ) على تمويل رواتب الأساتذة ومِنَح الطَّلبة والبرامج التَّعليميَّة ، وكذا نسخ الكتب وكلّ ما يتعلَّق بالتَّعليم .

ومن نماذج هذه الجامعات العربيَّة نجد جامعة القرويّين بفاس [1] ، جامعة الأزهر بالقاهرة ، جامعة الزّيتونة بتونس ... ومن نماذج الجامعات الغربيَّة هارفارد [2] ، ييل ، تكساس ( A & M ) ، ستانفورد ... إلخ .

**أُسُس إدارة الوقف** : ويُمكننا إجمالها في العناصر الأربعة الآتية :

**01 – تنفيذ شرط الواقف** : ويُلزم بتنفيذها ناظر الوقف ، وذلك لأهمِيَّة الشَّرط ، حتَّى قيل في بيان أهمِيَّته : ( شرطُ الواقف كنصّ الشَّارع ) . ومع هذه الأهمِيَّة في التزام تنفيذ شرط الواقف إلاَّ أنَّ الفقهاء جعلوا للمتولِّي مخالفة شرط الواقف استثناءً في بعض الحالات ، إذا توافَرَ شرطان ، وهما :

01 – قيام المصلحة المعتبرة التي تقتضي مخالفة شرطِه .

02 – رفع الأمر إلى القاضي ليُصدر الإذن بالموافقة على هذه المخالفة ، باعتبار ولايته العامَّة .

وتكون هذه المخالفة لشروط الواقف – غالباً – بغرض توجيه استثمارات الوقف بما يخدم الحاجة البحثيَّة « إذ يجب توجيه الاستثمارات الوقفيَّة للبحث العلمي إلى ما هو أهمُّ وأولى وأمثل وأصلح ، فإن كانت الأمَّة محتاجة إلى الإنتاج الزِّراعي أو الحيواني رُوعي أن تكون الأولويَّة في استثماراتها لهذا القِطاع ، وإن كانت حاجتها إلى القِطاع الصِّناعي الحربي أو الصِّناعات الثَّقيلة أعظمَ توجَّهت الأولويَّة إلى ذلك ، وإن كانت الحاجة أبلغَ إلى فُرَص عمل تقضي على البِطالة أو تُخفِّف من حجمها ، جعلت المشاريع الاستثماريَّة مواتية لتحقيق هذا الهدف ... إلخ » [3] .

**02 – عمارة الوقف** : لعلَّ من أهمّ واجبات متولِّي الوقف القيام بعمارة العين الموقوفة ، لأنَّ إهمال عمارة الوقف وصيانته وصلاحه قد يُؤدِّي إلى خرابه وذهابه ، وبالتَّالي إلى فوات الانتفاع به لأنَّ عمارته تؤدّي إلى دوام الانتفاع به ، وعدم تفويت أيَّة منفعة من منافعه .

**03 – إجارة الوقف** : ذكر الفقهاء أنَّ لناظر الوقف شرعاً الحقّ في إجارة أعيان الوقف – بحسب شرط الواقف عليها – إذا رأى مصلحة الوقف في ذلك ، وانتفَت الموانع . وذلك لما تُحقِّقه إجارة الموقوف من ريع وإيراد

---

[1] – أوَّل جامعة وقفيَّة في العالم ، ( وسيأتي الحديث عنها ) .

[2] – أعظم الجامعات الوقفيَّة في العالم اليوم ، ( وسيأتي الحديث عنها أيضاً ) .

[3] – انظر: ضميريَّة ، عثمان جمعة : **استثمار أموال الأوقاف على التَّعليم وأساليب إدارتها** ، مرجع سابق ، ص : 16 .

يصرفه المتولّي في المصارِف التي حدَّدَها الواقف ، أو بما يُحقِّق مصلحة الوقف كعمارته وصِيانته ، أو مصلحة المستحقِّين [1] .

**04 – أداء حقوق المستحقِّين في الوقف** : يجب على ناظر الوقف أداء حقوق المستحقِّين في الوقف من الموقوف عليهم ، وعدم تأخيرها مُطلقاً إلاّ لموجبٍ يقتضي تأخير حقوُقهم ، كحاجة إلى التَّعمير والإصلاح ، أو الوفاء بدين على الوقف ، لأنَّ هذه الأمور مقدّمة على الإعطاء للمستحقِّين .

**02 – الدّوافع لإنشاء الوقف بالجامعات ( الوقف الجامعي ) :**

هناك دوافع عديدة – في عصرنا هذا – لإقامة الوقف على الجامعات والعمل على تشجيعه ، ويُمكننا إيجازها في النّقاط الآتية :

01 – التخلّف الذي تعرفه الجامعات العربيَّة ، ويكفي في ذلك الاطّلاع على أيّ إحصائيَّات معاصرة ، والتي تشمل : ( ترتيب الجامعات ، مستوى التَّعليم الجامعي ، ترجمة الأبحاث ، مستوى القراءة ، البحث العلمي ، براءات الاختراع ... إلخ ) ليظهر من خلالها قوائم جامعاتنا العربيَّة التي تأتي في ذيل التّرتيب ، إذ ( لا توجد جامعة واحدة في العالم العربي ضمن لائحة أفضل 100 جامعة في العالم في تصنيف ( QS Top University ) طيلة سنوات عديدة ) . وهو ما يفرض تشجيع الوقف على الجامعات للنهوض بمستواها ، وتحقيقها لغاياتها وأهدافها .

02 – عيشُنا في ما يُسمَّى بـ" عصر الثَّورات الستّ " : ( المعلومات ، الاتّصال ، الفضاء ، التّكنولوجيا ، البيولوجيا ، والجينات ) . وهي كلُّها مجالات في ( البحث العلمي ) . وللأسف الشّديد الأمّة الإسلاميَّة لم تُواكب هذه الثّورات ، وكلّ واحدة منها تحتاج إلى تمويلٍ كبير ، تعجز معظم الحكومات عن تحقيقه ، ليُفتح بذلك المجال للوقف على الجامعات لسدّ فجوة الإنفاق على هذه الثَّورات ...

03 – من العناصر الأساسيَّة لنظام تمويل البحث العلمي ، عنصر المصدر أو " المورد المالي " اللازم للصَّرف ، والذي ينبغي أن يكون موردًا ثابتًا وقابلًا للنموّ والتَّنمية الذَّاتيَّة المستدامة . وعنصرَا الثّبات والدّيمومة هما ما يتوفَّر عليهما الوقف ، ولا يتوفَّران في غيره .

04 – الحاجة لتجهيز المعامل بأحدث الأجهزة والمعدَّات العلميَّة ، وكذا الحاجة لإنشاء المكتبات المتخصِّصة في البحث العلمي ، التي تعتمد على تقنيَّات الاتّصال المنتظم مع قواعد المعلومات المتخصِّصة في المجالات العلميَّة المختلفة [2] ، وكلّ هذا يتطلَّب ضخّ أموال كبيرة ومستقرَّة الإنفاق ليُؤتي البحث العلمي أكله ، ويتيسَّر نشره وتعميمه وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « ما تصدَّق النَّاس بصدقة مثل علم ينشر» [1] .

---

[1] – انظر: الطَّرابُلسي : **الإسعاف في أحكام الأوقاف** ، ص : 53 .

[2] – ولا يخفي على أحد أنّنا نعيش فيما ذكرناه في العنصر الثَّاني ممّا يُعرف بعصر ثورة المعلومات وثورة الاتّصال ومثالهما : التّراسل الإلكتروني ( E-mails ) ، التجارة عن بعد ( Commerce électronique ) ، التّحاور عن بعد ( E- chatting ) ، الطبّ عن بعد ( تشخيصا وعلاجاً ) ( Télé-médecine ) ، تبادل المعطيات الطبّية عن بعد ( Banques des

05 – مواجهة البطالة : « يشير تقرير منظمة العمل العربيَّة أنَّ المنطقة العربيَّة تعاني من ارتفاع معدَّلات البطالة ، حيث يعتبر المعدَّل الأعلى مقارنة بالمعدَّلات السَّائدة في المناطق الأخرى من العالم إذ يتجاوز ( 14 % ) وأنَّ المعدَّلات الأعلى للبطالة كانت بين الشَّباب ، إذ يتجاوز هذا المعدل ( 25 % )( ... ) ومن المقدَّر أن تحتاج المنطقة إلى توفير أكثر من 100 مليون وظيفة إضافيَّة بحلول عام 2020 م للقضاء على البطالة ، ممَّا يعني مضاعفة المستوى الحالي للتَّشغيل . كما أنَّ دول المنطقة تحتاج سنويّاً توفير أكثر من 4 مليون وظيفة إضافيَّة لإبقاء معدَّلات البطالة عند مستواها الحالي » [(2)] . والملاحظ على بعض الجامعات الوقفيَّة أنّها أَوْلَت قضيَّة توظيف الخرّيجين عنايتها من خلال تكوينهم العلمي والفنّي والمهاري بما يواكب مستجدَّات العصر، وهو ما يُتيح للخرّيج أن يحصل على وظيفة – ضمن مجال تخصُّصه – وهو ما تعرفه الكثير من الجامعات الوقفيَّة التُّركيَّة – مثلاً – على ما يذكُره الدّكتور أحمد علي سليمان إذ يقول عنها : « إنَّها أسهمت في حلّ مشكلة البطالة للحاصلين على الماجستير والدّكتوراه من خلال استيعاب معظم أعضاء هيئة التَّدريس الأتراك ، عن طريق الإعلان الحقيقي والمنافسة الحقيقيَّة ، وتفرّغ غالبيَّتهم للعمل في الجامعة ، والاستغناء عن السَّفر للإعارة للدّول الأخرى ، لاسيما بعد رفع مرتَّباتهم بما يضمن لهم حياة كريمة ، ويمكّنهم من إنجازاتهم العلميَّة والتّقنيَّة العالية » [(3)] .

06 – استحداث تخصُّصات جديدة : « الوقف يفتح الباب أمام ظهور جماعة من المتخصِّصين في الأعمال ، فمن المبادئ الاقتصاديَّة والمشهورة أنَّ " التَّخصُّص يرفع الإنتاجيَّة ويزيد الابتكار" ، وبقدر ما نجد أوقافاً مخصَّصة للإطعام ، وأخرى للإيواء ، وثالثة للتَّعليم ، ورابعة للعلاج الطبّي وهكذا ، بقدر ما نجد أناساً متخصِّصين في توفير الغذاء وآخرين في توفير الإسكان وغيرهم في تقديم الخدمات الطبّيَّة » [(4)] .

07 – التفرُّغ لطلب العلم ويكفي لبيان ذلك قول الشّافعي – رحمه الله – : لو كُلِّفتُ شراء بصلة ما تعلَّمت مسألة . ولا شكّ أنَّ العناصر السَّابق ذكرُها هي من أكبر الدَّوافع لإقامة الوقف على الجامعات لما يُدرّه الوقف من أموال لحلّ معظم إشكالات البحث العلمي القائمة ، فضلاً عمّا فيه من مراعاة لمصلحة الأجيال القادمة ، فإنشاء وقف هو بمثابة إنشاء مؤسَّسة اقتصاديَّة دائمة لمصلحة الأجيال القادمة ...

---

( données médicales ) ، المنتديات الحواريَّة والملتقيات عن بعد ( News-groups ) ، الحكومة عن بعد ( E-governing ) ، التَّصويت عن بعد ( E- voting ) ، وأخيراً وليس آخراً الدّراسة أو التّعليم عن بعد ( E- learning ) ... وكلّها تتطلّب معدّات ووسائل اتّصال يُنفق علها من ريع الأوقاف .

(1) – رواه الطَّبراني عن سمرة بن جندب . وقال عبد الله المبارك : ( لا أعلم بعد النبوَّة أفضل من بثِّ العلم ) .

(2) – انظر: بحث الأستاذ "حسين عبد المطلب الأسرج " : **دور مؤسَّسة الوقف فى مواجهة البطالة** .

(3) – أحمد علي سُليمان : **خبرة الجامعات الوقفيَّة بتركيا وإمكانيَّة الإفادة منها في مصر** ، ( دكتوراه ) ، إشراف : أ. د . زينب حسن حسن سيد ، د. آمال محمد حسن عتيبة ، جامعة عين شمس ( كلّيَّة التَّربية ، تخصُّص أصول تربية ) ، مصر ، 1434 هـ / 2013 م ، نقلاً عن : موقع الألوكة : ( www.alukah.net ) ( 1434/10/13 هـ – 2013/8/20 م ) .

(4) – انظر: بحث الأستاذ "حسين عبد المطلب الأسرج " : **دور مؤسَّسة الوقف فى مواجهة البطالة** ، مرجع سابق .

### 03 – التّفاعل بين الوقف العلمي والجامعة :

تتجلّى ثمرة التّفاعل بين الوقف العلمي والجامعات في تحقيق مخرجات الجامعة ، من جهة ، وإحياء فكرة الوقف على البحث العلمي ، من جهةٍ أخرى ، وعلى التّمايُز الموجود بين أصل الجامعة وأصل الوقف إلاّ أنَّ كليهما يهدف إلى خِدمة المجتمع ، وعلى هذا سنعرض لبيان أثر الجامعة في النُّهوض بالوقف والمجتمع ، وأثر الوقف في النُّهوض بالجامعة والمجتمع ، وهو ما يُبيّنُه المخطَّطان الآتيان الممثّلان لعلاقتي التّفاعل والتّكامل :

**الشّكل رقم ( 01 ) يُبيّن التّفاعل القائم بين الجامعة والمجتمع والوقف وأثر كلّ واحدة في الأخرى ( التّفاعل : التّأثير والتّأثُّر ) .**

فالملاحظ أنَّ الجامعة تُوفّر الكفاءات البشريّة المختلفة ( الخرّيجون ) الذي يقومون بخدمة المجتمع ، هذا الأخير الذي يُعتبر أساس تمويل كلّ الأوقاف ، والذي يعود عليه بالنَّفع مرَّة أخرى في حلقة دائمة من التّأثير والتّأثُّر .

**الشّكل رقم ( 02 ) يُبيّن المجالات المشتركة بين الجامعة والمجتمع والوقف ( تكامل النّشاطات ) .**

ورغم سلسلة التّفاعل الدّائمة بين العناصر الثّلاث ( الجامعة ، والمجتمع ، والوقف ) المبيّنة في الشّكل ( 01 ) ، إلاّ أنّنا نلحظ التّفاعلات بين العناصر الثّلاث ، مع ملاحظات أنَّ العلاقات الممثّلة هنا هي علاقات ( انعكاسيَّة ) ، أي ( الجامعة / الوقف = الوقف / الجامعة ) ، والتي نُمثّل لها بالأمثلة الآتية :

**01 – ( الجامعة / الوقف ) = (الوقف / الجامعة ) :**

ومثاله : الوقف على تدريس الطّلبة ، وطباعة كتبهم ، وتوفير حاجياتهم . والملاحظ أنّ هذا لا علاقة له ( مباشرة ) بالمجتمع . وهو ما يُذكّرنا بقصّة " الجاحظ " مع أمّه عندما قدّمت له طبقاً فيه كُتب عندما سألها طعاماً – وكان

شغوفاً بالكتب – وكان فعلها ذاك لاعتقادها أنَّه لا علاقة ( مباشرة ) بين التّحصيل ( قراءة الكتب ) وواقع النَّاس المعيش .

**02 – ( الجامعة / المجتمع ) = ( المجتمع / الجامعة ) :**

ومثاله : خدمة الخرّيجين في وظائف المجتمع المختلفة ... والملاحظ أنّ هذا لا علاقة له ( مباشرة ) بالوقف [ إلاّ إذا كان منهم واقفون ! ] .

**03 – ( الوقف / المجتمع ) = ( المجتمع / الوقف )** : ومثاله : الوقف على الطُّرق ، وبناء الجسور ، وقف الأواني المكسورة .... والملاحظ أنّ هذا لا علاقة له ( مباشرة ) بالجامعة .

**03 – 01 – أثر الجامعة في النُّهوض بالوقف والمجتمع :**

وقد آثرتُ البدءَ بأَثَرِ الجامعة في النُّهوض بالوقف ، لأنّ هذا هو الخُطوة الأولى المنوطة بالباحثين ، ولأنَّ هذه الخطوة في علاقتها بالواقفين – للأسف الشَّديد – مُنبَتَّة ، ومتى ما كانت مُنْبَتَة فإنَّها [ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ] . والله تعالى يقول : [ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ **كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ** فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ] [ البقرة : 261 ] [1] . وقد قال بعد بيان فضل المنفقين في سبيل الله : [ **قَوْلٌ مَعْرُوفٌ** وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ] [ البقرة : 263 ] . وكلّ ما نملكه نحن – الآن – هو ( القول المعروف ) ، فبالكملة يبدأ الوقف وبها ينتهي ، وبالكلمة تقوم كلّ شُؤوننا : ( ففي البدء كانت الكلمة ) ، والكون خُلق بكلمة [ كُنْ فَيَكُونْ ] ، ونحن ندخل الإسلام بكلمة ، ويخرُج سوانا منه بكلمة ، ونتزوّج بكلمة ونُطلِّق بكلمة ، ونتملّك الرّقاب بكلمة ونُعتقها بكلمة ، ونُمضي العقود بكلمة ونُنهيها بكلمة ، ونَشنّ الحروب بكلمة ونضَعها بكلمة ! ، وتوحيدُنا لله كلمةُ ( لا إله إلاّ الله ) وأعظِم بها من كلمة ... ومن هنا كان أهمّ ما يُمكن أن يتجلَّى من آثار الجامعة في النُّهوض بالوقف هو بـ ( الكلمة ) التي يُعرَّف من خلالها بالوقف وأهمِّيَّته ، وآثاره على المجتمع ، وعوائده على النَّاس ، والبيئة ، والحيوان ، والحياة كلّها .. وذلك بأن تَعقد الجامعاتُ النَّدوات ، وتُقيم الدَّورات ، وتعقد المحاضرات ، وتنشر الأبحاث ، وتُحيي المخطوطات ...

ولبيان هذا الأثر نذكر جهود الجامعات في تحقيق نفائس التّراث المتعلِّق بالوقف وإعادة نشره ، ونذكر الدِّراسات الأكاديميَّة التي تناولت الوقف – لا سيما ما تعلَّق منها بدراسة العلاقة بين الجامعة والوقف ، وهي كالآتي [2] :

---

[1] – ولاحظ ما بعد هذه الآية من تكثيف الآيات في الأمر بالإنفاق بشتّى الأشكال والتّرغيب فيه بشتّى الطُّرق [ البقرة : الآيات من 261 إلى 276 ] .

[2] – انظر ما كتبه " يوسف أحمد الحسن " – مثلاً – وما استفاده من بعض الجامعات والمراكز البحثيَّة ، منها : ( مكتبة الملك فهد الوطنيَّة بالرّياض ) و( مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ) في كتابة مقال بعنوان : **قائمة ببليوغرافيَّة حول الوقف ( كتب ورسائل جامعيَّة )** ، ( مجلّة الواحة ) ، ( مجلّة فصليّة تُعنى بشؤون التُّراث والثّقافة والأدب في الخليج العربي ) ، العدد : 28 ، في 11 / 03 / 2011 م ، موقع : ( www.alwahamag.com ) .

**01 – الكتب والدّراسات الأكاديميَّة التي تناولت علاقة الوقف بالجامعة والبحث العلمي :**

**الدّراسة 01** : « **الجامعة الوقفيّة الإسلاميَّة** »[1]، للدّكتور " عبد الستار إبراهيم الهيتي " .

**الدّراسة 02** : « **بعض التطبيقات المعاصرة للوقف في الجامعات : جامعة اليرموك نموذجاً** »[2] للدكتور " محمَّد موفّق الأرناؤوط " .

**الدّراسة 03** : « **دور الوقف الإسلامي في تنمية القدرات التّكنولوجيَّة** » [3] ، للمهندس " عبد اللطيف محمَّد الصّريخ " .

**الدّراسة 04** : « **الوقف على المؤسّسات التّعليميَّة –كليَّة التّكنولوجيا نموذجاً –** » للدّكتور حسن محمَّد الرِّفاعي .

**الدّراسة 05** : « **خبرة الجامعات الوقفيَّة بتركيا وإمكانيَّة الإفادة منها في مصر** » [4] ، للدّكتور : أحمد علي سليمان ، ( دكتوراه ) .

**الدّراسة 06** : « **الوقف الإسلامي وأثره في النّمو التَّعليمي والاجتماعي** » ، لـ " علي أحمد فيَّاض ضرغام " د . ت، ( دكتوراه ) .

**الدّراسة 07** : « **دور الوقف الإسلامي في الحياة العلميَّة والتَّعليميَّة بالمدينة المنوَّرة في العهد السَّعودي** » ، لـ " سحر عبد الرَّحمن مفتي صديقي " ، كلّية التَّربية بالمدينة المنوَّرة ، 1422هـ ، ( ماجستير ) ( إشراف : عبد الرَّحمن النَّقيب ، منى علي السَّالوس ) .

**02 – ومن المخطوطات المحقَّقة في الوقف :**

– « **رسالة في إثبات صحَّة وقف النُّقود** » : أبو السُّعود ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى العمادي ( ت 982 هـ / 1574 م ) .

وقد نشرت بعض وزارات الأوقاف أبحاثاً تُعنى بالوقف وعلاقته بالبحث العلمي خاصَّةً، وعلاقته بالعمليَّة التّعليميَّة بشكلٍ عام ، ونذكر منها :

**الدّراسة 01** : « التّويم ، ناصر بن إبراهيم : « **الوقف في خدمة البحث العلمي** » ، وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف ، وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف ، 1420 هـ ، مكَّة المكرَّمة .

---

[1] – انظر: مجلّة أوقاف الصادرة عن الأمانة العامَّة للأوقاف ، بالكويت ، العدد 2 ، 1423هـ / 2002 م ، من ص : 89 حتى ص : 107 .

[2] – انظر: مجلّة أوقاف ، العدد 7، من ص 83 إلى ص 89.

[3] – وهذا الكتاب صادر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت ، 2003 م . [ نقلاً عن : ]

[4] – بإشراف : أ.د. زينب حسن حسن سيد ، د. آمال محمد حسن عتيبة ، بجامعة عين شمس ( كلّيَّة التَّربية ، تخصُّص أصول تربية ) ، مصر ، 1434 هـ / 2013 م .

**الدّراسة 02** : « **الوقف والبحث العلمي كاستثمار** » ، لـ " محسن بن علي فارس الحازمي " ، وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف ، وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف ، 1420 هـ ، مكَّة المكرَّمة .

**الدّراسة 03** : « **بحث الإفادة من التجارب المعاصرة لبعض الدول الإسلامية في مجال الوقف** » ، لـ " مانع حماد الجهني " ، وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف ، وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف ، 1420 هـ ، مكَّة المكرَّمة .

**الدّراسة 04** : « **دور الوقف في العمليَّة التَّعليميَّة** » ، لـ " عبد الله بن عبد العزيز المعيلي " ، وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف ، وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف ، 1420 هـ ، مكَّة المكرَّمة .

**الدّراسة 05** : « **وثيقة استراتيجيَّة النّهوض بالوقف** » ، صادرة عن الأمانة العامَّة للأوقاف ، الكويت ، 1997 م.

وتحت عنوان : " **دور الجامعات في النّهوض بالوقف** " قدَّم الدّكتور سليم هاني منصور لمحة عن الدَّور الأساسي للجامعات في النّهوض بالمجتمع ودورها المحدّد في ثلاثة أمور رئيسيَّة هي : تقديم المعرفة ونشرها ، والبحث العلمي في مختلف مجالات المعرفة الإنسانيَّة ، وخدمة المجتمع عن طريق تقديم الخدمات الاجتماعيَّة والتَّوعية العامَّة .

بالإضافة إلى تدعيم الاتّجاهات الاجتماعيَّة والقيم الإنسانيَّة المرغوب بها ، كما تطرَّق إلى تقصير الجامعات في تفعيل الوقف أكاديميّاً وعملياً ، وأكَّد عدم وجود مواضيع عن الأوقاف في الأبحاث والرّسائل العلميَّة ، وتطرَّق إلى التَّقصير في طرح الوقف كنموذج للمجتمع الأهلي ، ثمَّ طرح أنموذجًا لجامعات إسلاميَّة في لبنان ، مع بيان كيفيَّة تعاطيها مع الوقف، وقدَّم رؤيته لدور الجامعات في تفعيل الوقف من خلال إشراك الطلاَّب في مبادرات وقفيَّة ونشاطات تتلاءم مع مقدراتهم ، فيمكنهم تفعيل دور الوقف من خلال : وقف الكتب ، ووقف الأدوات التي يستخدمونها إذا استغنوا عنها بعد تخرّجهم ، ووقف " الوقت " لتدريس زملائهم ، وهذا ما يعتبر رؤية جديدة ومعاصرة في المجال الوقفي .

**03 – 02 – أثر الوقف في النُّهوض بالجامعة والمجتمع :**

ويُمكن إيجاز هذا الأثر بالنَّظر إلى عوائد الوقف على الجامعة والمتمثِّلة في [1] :

**01 – مصدر تمويل ثابت ومستقرّ** : ويعود هذا إلى حفظ الأُصُول المنتجة وعدم التَّصرُّف فيها والإنفاق من ريعها.

**02 – تحقيق الاكتفاء الذّاتي للمؤسَّسة التَّعليميَّة** : ويتمثَّل في استغناء المؤسَّسات التَّعليميَّة عن الدَّعم المالي من الدَّولة . ويؤدّي هذا الاكتفاء إلى تحقيق نوع من حرّيَّة التَّعليم واستقلاليَّة العلماء فيما يقومون بتدريسه دون وِصاية من الدَّولة إلاَّ من الشُّروط التي وضعها الواقف ، وهو الأمر الذي دفع بعلماء المسلمين إلى تعظيم الوقف ، وحرصِهم على بقائه واستمراره ، وحمايته ، والوقوف في وجه من يُحاول التَّعدّي عليه ، وإجماعهم على تحريم إلغائه .

[1] – انظر تفصيل هذه العناصر عند : ضميريَّة ، عثمان جمعة : **استثمار أموال الأوقاف على التَّعليم وأساليب إدارتها** ، مرجع سابق .

**03 – تطوير نظام التّعليم** : من خلال تلك الاشتراطات التي يضعها الواقفون حتّى يُمكن القول إنَّ وثيقة الوقف أو كتاب الوقف كان أشبه ما يكون بـ( النِّظام الدَّاخلي ) للمؤسَّسة . وذلك بما تتضمَّنه تلك الاشتراطات من تنظيمات ماليَّة وإداريَّة ( شُروط القبول ، الكتب المعتمدة في التّدريس ، التّمويل اللازم وكيفيَّة تسييره ... ) .

**04 – توفير المباني التّعليميَّة** : ودائماً ما نجد أنَّ توفير المبنى التّعليمي سابقٌ للوقف الذي يُوقف عليه ، إذ جرت العادة أن يقوم الواقف بإنشاء المؤسَّسة التّعليميَّة وإعدادها للعمل التّعليمي ، ومن ثمَّ وقف الأوقاف المدرَّة على هذه المؤسَّسة بما يضمن استمرار نشاطِها ( كما جرت العادة على تسميتها باسماء واقفيها ، وهذا أفضل تكريم لهم ولعطائهم ، وتشجيع لغيرهم ... ) .

05 – وحدة المجتمع الإسلامي وتكاتفه على بعد الدّيار واختلاف الأمصار، فكانوا كالجسد الواحد ، ومن أمثلة ذلك الأوقاف التي كانت بالجزائر وريعها الذي كان يوقف لخدمة الحرمين الشّريفين ، أو القُدس الشَّريف ... أو غيرهما.

وفي هذا السِّياق أيضاً قدَّم الدّكتور محمَّد محمَّد سويلم ، بحثاً حول " دور الجامعات في نشر ودعم الأبحاث العلميَّة من خلال الوقف " بيَّن فيه أهمّية وقف المكتبات والكتب العلميَّة ، ووقف أدوات البحث العلمي ( المختبرات ) ، ووقف الموسوعات العلميَّة ، ووقف الكراسي العلميَّة ...

ومن تجارب الوقف الفرديَّة في الجامعة التَّجربة الرَّائدة لرجُل الأعمال الأردُني سمير شمَّا ( توفِّي 2002 م ) بالتَّعاوُن مع جامعة اليرموك الأردُنيَّة في مجال المسكوكات الإسلاميَّة . فقد بدأ الوقف المؤسّس في 1985 م بتأسيس "كرسي سمير شمَّا للمسكوكات " الذي انطلق أوَّلاً بتدريس مادَّة " المسكوكات الإسلاميَّة " في قِسم التَّاريخ ثمَّ أصبَح بعد ذلك نواة لبرنامج ماجستير في المسكوكات الإسلاميَّة ، بالإضافة إلى إصداره للمجلَّة العلميَّة " اليرموك للمسكوكات " في 1989 م وتأسيسه لـ " متحف المسكوكات الإسلاميَّة " في 1996 م [1] .

**04 – منافع الوقف على البحث العلمي** :

للوقف منافع تجلّ عن الحصر ، ويأتي في مقدِّمتها دعم الجامعات الحكوميَّة بالتَّوجه نحو التَّخصُّصات الحيويَّة النَّادرة التي يتطلَّبها سوق العمل ، وذلك بإزالة العوائق الماليَّة التي تعترض سبيل تطوير الجامعة . وقد جاء في كتاب « دور الوقف الإسلامي في تنمية القدرات التّكنولوجيَّة » [2] ، للمهندس عبد اللطيف محمد الصّريخ ، بعض النّماذج لما يُمكن أن تقوم به . الهيئات والمؤسّسات الخيريَّة في دعم القدرات التكنولوجيَّة ؛ كما هو الحال بالنّسبة لـ : « ( الصُّندوق الوقفي للتَّنمية العلميَّة ) » الذي أنشأته الأمانة العامَّة للأوقاف بتاريخ 1995/3/28 م ، والذي يدعم

---

[1] – انظر بحث : الأرناؤوط ، محمَّد : **وقف النّقود ودوره في النُّهوض بالتَّعليم ما بين الماضي والحاضر** ، قسم التَّاريخ ، جامعة آل البيت ، الأردن .

[2] – وهذا الكتاب صادر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت ، 2003 م ، ولعلَّه يُمثّل – أيضاً – نموذجاً لما تقوم به الأوقاف من خدمةٍ للبحث العلمي .

التّعليم التّكنولوجي ، و« ( صندوق الوقف بالبنك الإسلامي للتّنمية ) » وجُهوده في دعم القدرات التّكنولوجيَّة للدُّول الإسلاميَّة والذي أنشئ في ماي عام 1997 م .

وتتجلَّى فوائد الوقف في تكثير مؤسَّسات المجتمع المدني ، وإبقاء الجامعة مستقلّة عن سُلطة الدّولة وذلك بتمويلها الخاصّ من الشَّعب ... وهو ما يفتح المجال لزيادة الإبداع في الإنتاج الحضاري ويقود إلى النّهضة حتّى في حالات الفساد السِّياسي ، أينَ كان للوقف دورٌ في إطالة عمر الدّولة الإسلاميَّة ، وأدَّى إلى زيادة الحرِّيَّة الفكريَّة بوضع مناهج التّعليم المناسبة واختيار مجالس التّعليم بحسب حاجات النّاس وإمكاناتهم ...

**– أثر المجتمع في النُّهوض بالوقف والجامعة :**

لتحقيق أثر الوقف في الجامعة عملت بعض الجامعات على تحديد قنوات الإسهام في ( الوقف العلمي ) بما يخدُم البحث العلمي ، ونذكر منها :

**01 – المساهمة العينيَّة** : إذ بالإمكان المساهمة بأيّ نوع من الأصول العينيَّة مثل : ( بيت – قطعة أرض – محلّ تجاري – سيَّارة – ممتلكات ... إلخ ) ، ويقوم الوقف العلمي باستثمارها وتنميتها والصَّرف من عوائدها على أنشطة البحث العلمي .

**02 – الاستقطاع الشَّهري** [1] : حيث يقوم ( الواقف ) بتحديد مبلغ معيَّن يساهم به شهرياً للوقف ، وتتمّ فيه المشاركة من خلال تفويض البنك الخاص لاستقطاع مبلغ ثابت شهريًّا وتحويله لأحد حسابات الوقف العلمي .

**03 – وقف العلم والخبرة والوقت** : إذ يمكن لـ ( الواقف ) أن يقف نفسه ووقته – أو جزءاً منه – للمشاركة في دعم أنشطة الوقف وتحقيق أهدافه الطَّموحة . وكذا وقف الجهد في التَّعريف بالوقف والحثّ على دعمه ...

**05 – آفاق ( الجامعة الوقفيَّة ) :**

تسعى ( الجامعات الوقفيَّة ) – على اختلاف شُروط وقفها واستراتيجيّاتها – إلى تطوير مستوياتها البحثيَة ومخرجاتها ، لضمان أعلى مستويات الجودة . وتسعى لأن تكون بديلاً للجامعات الحكوميَّة ، لما تتوفَّر عليه من حرِّيَّة في التّمويل والإنفاق بما يتواءم وشروط وقفها ، وعصرنة آدائها بالاهتمام بالجوانب التَّطبيقيَّة ، وتطوير خدماتها للمجتمع في اهتمامها بالمجالات التّكنولوجيَّة المتطوِّرة والنَّادرة ، ممّا يدفعها لعقد اتفاقيات شراكة مع كُبرى الجامعات ، ومؤسَّسات البحث العالميَّة . وهو ما يتطلَّب دعم تبادل الأساتذة والطلاَّب مع هذه الجامعات ، وذلك بغرض رفع مستوى الأداء العلمي والفنِّي والأكاديمي ، ولا يتحقَّق ذلك إلاَّ بتطوير مقرَّرات تعكس الرّغبة الحقيقيَّة في النُّهوض الحضاري . وتطوير كفاءة أعضاء هيئة التَّدريس ؛ وتحسين مستوياتهم ، بحيث يكونوا متميِّزين في تخصُّصاتهم ، وإتاحة الدِّراسة للطلاَّب في جوّ من الحرِّيَّة والإبداع ...

**06 – عوائق ( الجامعة الوقفيَّة ) :**

[1] – وهو برنامج للوقف العلمي طُرح في جامعة الملك عبد العزيز وهو موجه لمنسوبي الجامعة ( أساتذة ، طلاّب ، موظفين ) .

من أولى عوائق ( **الجامعة الوقفيَّة** ) عائق التّشريع لما يتعلَّق بنُصُوص الوقف ، ونوازله ، ولعلَّ هذا ما دفع ( المغرب) – مثلاً – إلى وضع ( مدوَّنة وقفيَّة ) قيل عند إنشائها أنّها أوَّل مدوَّنة في العالم الإسلامي تجمع أحكام الأوقاف في قالب عصري . ومن العوائق أيضاً تضييع الأوقاف بالإغراق في التّوجيهات ، وسُوء الإدارة ، أو استغلال القائمين على هذه الأوقاف لأموال الواقفين والتَّصرُّف فيها لأغراض شخصيَّة « فبعض المتشرّعة ضيَّعوا الأوقاف بتوجيهاتهم ، بل وأحياناً باستنباطاتهم ؛ وإنَّه ليتسنَّى لجميعنا أن نرى في بعض الأحيان الاستضعاف والفقر الشَّديد والمدقع يُعشّشان في منطقةٍ ما على الرّغم من وفور أوقافها وكثرتها . وقد سجّل لنا التَّاريخ مثل هذا النَّوع من سوء الإدارة أو فَقُل : من سوء الاستغلال » [1] . وعلى سبيل المثال ، « كانت أوقاف طهران – قديماً – تحت تصرُّف الملاَّ " علي الكني " ، ثمَّ انتقلت بعد وفاته – وبأمرٍ من ناصر الدِّين شاه – إلى صِهره الذي كان إماماً للجمعة ، والذي كان كَسَلَفِهِ يستخدم عوائد هذه الأوقاف في مصارفه الشَّخصيَّة ، ممَّا جعل الطلاَّب في حالة شكوى دائمة منه » [2] .

ومن بين عوائق ( الجامعة الوقفيَّة ) عدم احترام شرط الواقف ، ولهذا وضع الفقهاء قاعدة عامَّة تُبيّن أهمِّيَّة هذا الشَّرط ، وهي أنَّ ( شرط الواقف كنصّ الشَّارع ) فلا يجوز على ضوئها تغيير شرط الواقف . ونجد التّشديد على من خالفه . وأمام مثل هذه العوائق والمخالفات ظهرت دعاوى لإلغاء الوقف ، بدعوى تعارضه مع المصالح الاجتماعيَّة ومع العدالة والرّشد الاجتماعيَّين [3] .

وإذا كانت حرِّيَّة التّمويل هي ما يصنع التميُّز في الجامعات الوقفيَّة في تحقيق استقلاليّتها عن الدَّولة ، فإنّها تغدو أحياناً من العوائق لتقدُّم الجامعة ، لما يكون عليه من تذبذُبٍ في هذا التّمويل ، الذي يعتمد بصفة رئيسة على عائدات الأوقاف المؤسِّسة للجامعة الموقوفة عليها ، وتختلف باختلاف طبيعة الأمر الموقوف عليه وشُروطه .

## 07 – التَّجربة الإنسانيَّة في الوقف على البحث العلمي :

إنَّ بروز الوقف بوصفه أمراً إنسانياً أشدّ وأوضح بكثيرٍ من بروزه بوصفه أمراً له ارتباط ما بشريعة خاصَّة ، أو ابتكره الشَّرع واستحدثه بعد أن لم يكن ، ولذلك نجد أنَّ المناطات والطَّرائق التي ينبغي أن تكون حاكمةً عليه إنما هي مناطات السِّيرة العلائقيَّة وطرائق العرف لا غير . وفيما يأتي عرض لبعض التّجارُب الوقفيَّة العالميَّة .

### 07 – 01 – الجامعات العربيَّة والإسلاميَّة :

### 07 – 01 – 01 – تجربة الجامعات التُّركيَّة :

---

[1] – انظر : **مقال : الوقف الإسلامي والحياة المعاصرة – إشكاليَّات مقاصديَّة جادّة** ، موقع " نُصُوص " ( www.nosos.net ) ( 17 أغسطس 2014 م ) ، إعداد : أ. محمد نوري ، ترجمة : الشَّيخ علي محسن .

[2] – انظر : راواندي ، مرتضى : **تاريخ اجتماعي إيران** ، 2 – 763/4 ضمن المرجع السَّابق .

[3] – الكبيسي ، محمَّد : **مشروعيَّة الوقف الأهلي ومدى المصلحة فيه** ، ندوة مؤسَّسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي : 19 – 49 .

عرفت تُركيا تطوُّراً كبيراً في توسيع مجالات الوقف ، وانعكس ذلك على مستوى جامعاتها ، إذ تكاد تتوفَّر على جامعة واحدة في كلّ مدينة ، وصلت فيه الجامعات الوقفيَّة إلى ( 82 جامعة ) [1] ، وتسعى بها نحو تخصُّصات حديثة ، تشمل مجالات بحثيَّة متطوِّرة جدًّا ، وكان ذلك نتيجة وعي الدَّولة بأهميَّة التّعليم الجامعي الذي ينصّ دستورها على ( وُجوب توفيره لكلّ مواطن ) وأهمِّيَّة الوقف ، الذي يقوم على تشجيع رجال الأعمال لدعم البحث العلمي بإنشاء ( جامعات وقفيَّة ) ، تتحقَّق فيها شُروط الجودة العالية ، وتغطِّي ما قد تعجز عنه الجامعات الحكوميَّة « وذلك بالتَّوجُّه نحو التَّخصُّصات الحيويَّة النَّادرة التي يتطلَّبها سوق العمل ، والتي تفتقر إليها الجامعات الحكوميَّة ؛ بسبب كُلفتها العالية ، مثل : النَّانوتكنولوجي ( Nanotechnology ) ، والبيوتكنولوجي ( Biotechnology ) ، والحاسبات الفائقة ( Super–computers ) ، وعلوم الفضاء ( Space Science ) ، والطَّاقة النَّوويَّة ( Nuclear Energy ) ... وغيرها » [2] ...

ولم يكُن هذا بالأمر الجديد في ( تُركيا ) بل كان لها السَّبق – أيضاً – فيما عُرف بـ ( وقف الدَّراهم ) ، وكان هذا النَّوع من الوقف – الذي شكَّل ثورة في فقه الوقف – قد ظهر لأوَّل مرَّة في ( تُركيا ) في مدينة ( أدرنة ) سنة ( 827هـ / 1423 م ) ، « وتضمَّن وقف عدَّة دكاكين وعشرة آلاف أقجة للإنفاق على ثلاث قُرَّاء للقرآن الكريم في جامعٍ أنشأه الواقف » [3] . فكان الوقف بذلك – ومنذ بدايته في تُركيا – محبوساً على ( الجوامع ) المختلفة خدمةً للعلم وطلبته ، بتوفير ما يحتاجُونه من الطَّعام والشَّراب والمأوى ... وكلّ ما يُمكن أن يحتاجه طالب العلم ، لتتنقل من الوقف على ( الجوامع ) إلى الوقف على ( الجامعات ) ، إذ يوجد بمدينة إسطنبول وحدها ( 42 ) جامعة منها ( 09 جامعات حكوميَّة ) ، و( 33 جامعة وقفية ) ، وكلّ جامعة لها ميزة تنافسيَّة ، فهناك تنوّع في التّخصّصات أمام الطّالب ، وقدرة الجامعات على تأمين احتياجات السّوق المحلّيَّة من الخرّيجين في كلّ المجالات تقريباً ... لتصبح الجامعات الوقفيَّة جزءا مهمًّا وركيزة أساسية من منظومة التَّعليم العالي في تركيا ، ونموذجًا جديدًا للتَّعليم الحديث ، بفضل ( وقف الدَّراهم ) ، التي كان وقفها وقف النُّقود عمليًّا أكثر « حيث إنَّه يُنشّط التّجارة بتمويله للتجَّار والحرفيِّين في المجتمع المحلِّي ويُؤمّن دخلاً ثابتاً للمنشآت التي تقدمّ الخدمات الاجتماعيَّة المجَّانيَّة للسكَّان ومنها التَّعليم » [4] .

---

[1] – أحمد علي سُليمان : **خبرة الجامعات الوقفيَّة بتركيا وإمكانيَّة الإفادة منها في مصر** ، ( دكتوراه ) ، إشراف : أ. د . زينب حسن حسن سيد ، د. آمال محمد حسن عتيبة ، جامعة عين شمس ( كلّيَّة التَّربية ، تخصُّص أصول تربية ) ، مصر ، 1434 هـ / 2013 م ، نقلاً عن : موقع الألوكة : ( www.alukah.net ) ( 1434/10/13 هـ – 2013/8/20 م ) .

[2] – أحمد علي سُليمان : **خبرة الجامعات الوقفيَّة بتركيا وإمكانيَّة الإفادة منها في مصر** ، المرجع السّابق .

[3] – انظر مقال : الأرناؤوط ، محمَّد : **وقف النّقود ودوره في النُّهوض بالتَّعليم ما بين الماضي والحاضر** ، جامعة آل البيت ، ( قسم التَّاريخ ) ، الأردن ، ص : 02 .

[4] – المرجع السَّابق ، ص : 03 .

ولعلَّه الأمر الذي دفع بالحكومة التُّركيَّة إلى إنشاء ( **الجامعات الوقفيَّة** ) ، بدءاً من سنة 1984 م ، بموجب المادَّة رقم 130 من الدّستور ، الذي جاء في ديباجته ما يطمح إليه الاتراك من ( الحفاظ على الوجود الدَّائم والازدهار والرَّفاه المادّي والرُّوحي لجمهورية تركيا ، وتحقيق معايير الحضارة المعاصرة بوصفها عضواً مشرّفاً متمتّعا بالحقوق المتساوية مع أسرة دول العالم ) ، وهذ المسعى الوقفي أدخَل تركيا في نطاق التَّرتيب العالمي لأفضل 500 جامعة على مستوى العالم ، وهو ما يدلّ على ارتفاع مستوى جودتها وفاعليَّتها . وممّا ساهم في النّهوض الحضاري لتُركيا ، المواءمة بين مخرجات الوقف ومخرجات الجامعة بتطبيق مبدأ " الحلول المتزامنة المتعدِّدة الخلاَّقة " [1] فعند إنشاء جامعة جديدة ، يتمّ وضع سياسة وخطط لحلّ عدَّة مشكلات ، وتحقيق عدَّة أهداف محلّيَّة وقوميَّة وثقافيَّة وعلميَّة ؛ فإنشاء جامعة جديدة يعني التَّخطيط العلمي لأن تكون الجامعة معتمدة على نفسها ، بحيث توفّر متطلَّباتها المادّيَّة بنفسها ، وتفتح المجالات قبل إنشائها لتعيين خريجيها في عمل منتج بعد تخرّجهم . وهذا يعني على سبيل المثال أنَّ قرار إنشاء جامعة في موقع ما ، يسبقه إنشاء مصنع للطُّوب ، وآخر لصناعة الأخشاب ... إلخ ؛ وغالباً ما يتمّ اختيار موقع الجامعة في المناطق التي يخطّط لتنميتها والنّهوض بها أو حتَّى في المناطق النَّائية لجذب العمران إلى جوارها ... وهذا يعني أنَّه بعد إتمام بناء الجامعة يكون قد تمَّ إنشاء أكثر من عشرة مصانع ، وتمَّ تشغيل أكثر من 6 آلاف عامل وموظَّف ، والتَّخطيط لإيجاد مجال حيوي لعمل الخرّيجين . والعمل على علاج مشكلات التَّخلّف التَّعليمي والاقتصادي والبطالة والفقر؛ من خلال استثمار الوقف وإدارته بطريقة رشيدة تواكب متطلَّبات العصر.

ويتَّسم المناخ التَّعليمي والتَّربوي داخل معظم الجامعات الوقفيّة التّركيَّة بأنَّه مناخ محفّز للبحث والتَّعليم والتَّعلّم ، في ظلّ وجود أعضاء هيئة التدريس المؤهَّلين بدرجة عالية ، فضلاً عن وجود المعامل والمختبرات التي تمّ تجهيزها تجهيزاً كاملاً بأموال الوقف بأحدث الوسائل ، وبأفضل الإمكانات على مستوى العالم . بالإضافة إلى مراكز للتَّوثيق الأكـاديمي ، وقواعـد البيانات والمجلاَّت ، ومكتبات تعدّ من أفضل الأماكن المجهَّزة لخدمة الباحثين والقرَّاء في تركيا ، كلّ ذلك في حرم جامعي آمن ، وفي بيئة خضراء وليست مزدحمة .

ومن أمثلة الجامعات الوقفيَّة جامعة « محمد الفاتح » ، وهي أوَّل جامعة تركيَّة في العصر الحديث يتم التَّدريس فيها باللغـة العربيَّـة كمـا يقول " شعبان عبد الرحمن " ، وتقع الجامعة ضمن مجموعة من أوقاف السيّدة « نور بانو سلطان »، أمّ السّلطان محمَّد الفاتح ، ويتمّ تمويل الجامعة من تلك الأوقاف .

وفي جميع المجالات تقريباً في تركيا تجد وقفاً خاصاً ، بل إنَّ أيَّ شيء يخطر في بالك تجد في المجتمع التّركي وقفاً خاصاً به . والهدف من إنشاء هذه الأوقاف هو في الأساس خدمة عباد الله ومخلوقات الله ، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى .

---

[1] – أحمد علي سُليمان : المرجع السّابق .

**07 – 01 – 02 – تجربة الجامعات المغربيَّة ( جامعة القرويِّين بفاس ) :**

( جامعة القرويّين بمدينة فاس المغربية أوَّل جامعة عرفها العالم ، أنشأتها فاطمة الفهرية ( أمّ البنين ) في عهد دولة الأدارسة في رمضان عام 245هـ ، 30 يونيو 859 م ، بإذن من العاهل الإدريسي يحيى الأوَّل .

وقد سبقت جامعة القرويّين جامعَ الزَّيتونة بتونس والجامع الأزهر بمصر، بل سبقت جامعات أوروبا بنحو 191 عاماً ، حيث تأسَّست أوَّل جامعة في أوروبا وهي جامعة ساليرن سنة 1050 م في إيطاليا ، ثمَّ أصبحت معروفة بمدرسة نابولي ، ثمَّ تأسَّست جامعة بولونيا للحقوق ، ثم جامعة باريس ، وقد اعترف بها لويس السَّابع سنة 1180 ، ثمَّ تأسَّست جامعة بادوا سنة 1222 م ، ثمَّ جامعة أكسفورد سنة 1249 م ، ثمَّ جامعة كمبردج سنة 1284 ، وجامعة سالامانكا في إسبانيا سنة 1243 م ، وكذا الجامع الأزهر، فقد بناه جوهر الصقلي سنة 360 هـ ، ولم يتَّخذ معناه الجامعي إلاَّ سنة 547 هـ ، فـ« القرويِّين » أقدم من الأزهر بـ 125عاماً ، وأقدم منه جامعة بـ302 عام )[1].

وقد لعبت أوقاف القرويِّين في أوقات الضّيق الاقتصاديَّة دوراً تكافليًّا بارزاً داخل المجتمع ، فشملت مشاريع الإحسان والبرّ في كلّ النَّواحي الإنسانيَّة ... ومن بين الأوقاف التي ساهمت فيها « جامعة القرويِّين » بطريقة أو بأخرى : وقف لتزويج الشَّباب ، وأوقاف العرائس ( الفقيرات ) ، ووقف الدُّيون ( القرض الحسن ) ، والبيمارستانات ، ووقف للدَّواب المرضى ، ووقف الحمَّامات ، بل تعدَّى ذلك إلى بعض الكماليَّات ، ومنها : وقف الموسيقى ( الأندلسيَّة ) ، ووقف الأواني ( للخدم الذين كسروا آنية من الفخَّار ليأخذوا بدلها سالمة ) ، ووقف الطُّيور... إلخ [2].

وفي المجال العلمي كانت جامعة القرويِّين تعمل على تقديم دروسها للجميع صغاراً وكباراً ، رجالاً ونساءً ، وذلك وفق أُصُول المذهب المالكي ، وكان تعيين هيئة التدريس يتمّ بأوامر سلطانيَّة ، وتقوم إدارة الوقف ( إدارة الحبوس ) بتمويل كلّ مستلزمات التّعليم ، وكذا رواتب الموظَّفين ، ولم يقتصر التدريس فيها على العلوم الشَّرعيَّة ، بل اتَّسع ليشمل باقي علوم الحياة والعلوم العقليَّة والطبيَّة ، وانتشرت في أرجاء القرويِّين كراسي العلم وخُصِّصت لها أوقاف ، واعتبر كرسي العلم في جامعة القرويِّين ولاية حكوميَّة عليا كالوزارة والقضاء والفتوى .

ولم يقتصر أثر هذه الجامعة على الجانب التّعليمي بل تعدَّاه إلى مختلف جوانب الحياة المغربيَّة ، السَّياسيَّة ، والإصلاحيَّة ، وذلك بالثَّورة على الظُّلم وردّ المستعمر ، وهو ما دفع الجنرال الاستعماري الفرنسي " ليوتي " إلى نعتها بالبيت المظلم ، وكان يتساءل حسب المصادر التَّاريخيَّة : « متى سيغلق هذا البيت المظلم ؟ » [3] .

وبذلك فقد عملت جامعة القرويِّين على الحفاظ على هويَّة المجتمع المغربي وغرس روح الوطنيَّة فيه ، وبعد استقلال المغرب مباشرة تمَّ إدخال بعض الإصلاحات على نظام هذه الجامعة بهدف تأهيلها لتؤدّي دورها العلمي ، ففي سنة

---

[1] – **جامعة « القرويِّين » في طور جديد** ، مجلَّة الوعي الإسلامي ( العدد : 532 ، ص : 84 – 85 ) .

[2] – المرجع السَّابق .

[3] – المرجع السَّابق .

1963 م تعزَّزت الجامعة بثلاث كلّيات تابعة لها وهي : كلّيَّة أصول الدّين بتطوان ، وكلّيَّة اللغة العربيَّة بمراكش ، وكليَّة الشَّريعة بفاس ، وفي سنة 2004 م تمَّ إلحاق نظام التَّعليم العتيق بالتَّعليم الرَّسمي العام ...

وقد مثّلت « جامعة القرويّين » مصرفاً من مصارف الخير والإنفاق لعموم أهل المغرب وخاصَّتهم ، ومن ثمّ توسَّعت وتطوَّرت حتَّى صارت مؤسَّسة مستقلَّة عن خزينة الدَّولة ، بل تنافس ميزانية الدَّولة . حتَّى إنَّ الدَّولة اقترضت من خزينتها في كثير من الأحيان عند الأزمات الدَّاخليَّة ، وعند ظروف الحرب التي فرضت على البلاد ، وعند بناء المرافق والجسور الحيويَّة ، وفاضت أوقاف القرويّين على سائر مساجد فاس ، بل وصلت أوقافها الزَّائدة إلى المسجد الأقصى بالقدس ، والحرمين الشَّريفين بمكَّة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة [1] .

ونختم الحديث عن أوقاف المغاربة بوقف طريف وهو مؤسَّسة وقفية تُسمى " دار الدُّقة [2] بمدينة مَرَّاكش ، وهي ملجأ تذهب إليه النّساء اللاتي يقع بينهن وبين أزواجهن نفور وبغضاء ، فلهنّ أن يُقمن آكلات شاربات إلى أن يزول ما بينهن وبين أزواجهن من نفور ! [3] . وهو ما تعجز عن تحقيقه كلّيَّات علم الاجتماع في جامعاتنا اليوم !

ولا يسع الإنسان في مثل هذه المواقف إلاّ أن يقول ما قال ابن بطّوطة يوماً : " جزى الله خيرًا من تسامت همَّته في الخير إلى مثل هذا " [4] .

**07 – 01 – 03 – تجربة الجامعات المصريَّة :**

عملَ الدّستور المصري الذي تمَّت الموافقة عليه في ديسمبر 2012 م على استعادة الدَّور الهام للوقف في الحياة العامَّة وفي تنمية المجتمعات ومعالجة مشكلاتها من خلال ( المادَّتين 21 ، 25 ) وإنشاء الهيئة العليا لشؤون لوقف في ( المادَّة 212 ) . ومن أشهر السَّلاطين الذين أَحْيَوْا سُنَّة الوقف العلمي ، السّلطان " صلاح الدّين الأيّوبي – رحمه الله – ؛ فمن أهمِّ وقوفاته في مصر أنَّه "بنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه "، وجعل على ذلك وقفًا جيّدًا ، وجعل دار سعيد السّعداء خادم المصريّين خانقًا [5] ، ووقف عليها وقفًا طائلاً ، وجعل دار عبَّاس بن السّلار مدرسة للحنفيَّة وعليها وقف جيدٌ أيضًا ، والمدرسة التي بمصر المعروفة بـ " زين النجَّار " وقفًا على الشَّافعيَّة وقفًا جيدًا أيضًا ، وله بمصر أيضًا مدرسة للمالكيَّة " [6] .

---

[1] –**جامعة « القرويّين » في طور جديد** ، مجلَّة الوعي الإسلامي ( العدد : 521 ، ص : 84 – 85 ) .

[2] – الدقَّة : التوابل المخلوطة بالملح ، والمقصود هنا : الدَّار التي تَدُقُّ على يد الزَّوج الظَّالم المسيء في معاملته لزوجه ، حتَّى توقفه عند حدِّه .

[3] – شوقي أبو خليل : **الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة** ، ص : 336 ، 337 .

[4] – ابن بطوطة : **رحلة ابن بطوطة** ، ص : 100 .

[5] – **الخانق** : هو الخانقاه بقعةٌ يسكنها أهل الصَّلاة والخير والصُّوفيَّة . انظر : الزّبيدي : **تاج العروس** ، ( مادَّة خنق ) ، 25 / 270.

[6] – اليافعي : **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزَّمان** ، 3 / 351 .

ومن أمثلة الوقف – في عصرنا هذا – وأثره في البحث العلمي في مصر ما نجده من أوقاف خدمت البحث العلمي المتعلّق بالسَّرطان وذلك بمساهمة الواقفين في أبحاث مستشفى ( 57357 ) . وهو يُمثِّل ذروة التّفاعُل بين الوقف والبحث العلمي في مصر ...

وليس الوقف على مجال الصحّي والأبحاث الصِّحِّيَّة بالأمر الجديد فللوقف دور بارز في المجال الصحّيّ منذ القرن الأوَّل الهجري ، فأوَّل مَنِ اتَّخذ البيمارستانات للمرضى هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ؛ حيث بنى بيمارستانًا بدمشق وسبَّلَه للمرضى[1] . وقد أبدى الوليد اهتمامًا خاصًّا بمرضى الجذام ، ومَنَعَهُمْ من سؤال الناس، وأَوْقَفَ عليهم بلدًا يَدِرُّ عليهم أرزاقًا ، كما أمر لكل مُقْعَدٍ خادمًا ، ولكلِّ ضرير قائدًا [2] . ولقد بلغ الاهتمام بالبيمارستانات الموقوفة مَبْلَغًا عظيمًا من الرُّقِيّ والاعتناء والتَّقَدُّم ؛ حتى وجدنا أن بعض الناس كانوا يتمارضون رغبة منهم في الدّخول إلى البيمارستان ؛ لِمَا يجدونه من عناية ورعاية ومأكولات شهيَّة ، وكان بعض الأطباء يَغُضُّون الطرف أحيانًا عن هذا التَّحايل ؛ فقد ذكر المؤرّخ خليل بن شاهين الظَّاهري [3] . أنَّه زار أحد المستشفيات في دمشق عام ( 831هـ / 1427 م ) فلم يُشاهِد مثله في عصره ، وصادف أنَّ شخصًا كان متمارِضًا في هذا المستشفى فكتب له الطَّبيب بعد ثلاثة أيَّام من دخوله : بأنَّ الضَّيف لا يُقيم فوق ثلاثة أيَّام ! [4] .

ومن أهمّ البيمارستانات التي أُوقفت في بغداد البيمارستان العضدي ، فقد أنشأه عضد الدَّولة البويهي في بغداد سنة ( 366 هـ / 976 م ) ، وكان ذلك في الجانب الغربي من مدينة بغداد ، وكان البيمارستان يضمُّ 24 طبيبًا ؛ ممَّا يدلُّ على اتِّساعه ، وتعدُّد تَخَصُّصَاته ، ووقف عضد الدَّولة لهذا البيمارستان وقوفات كثيرة ؛ فكان العلاج مَجَّانًا لجميع المواطنين ، وكان المريض يلقى العناية الفائقة في المستشفى من الثّياب الجديدة النَّظيفة ، ومن الأغذية المتَنَوِّعة ، والأدوية اللازمة ، وبعد شفاء المريض ، كان يُعْطَى نفقة سفريَّاته ليستطيع العودة إلى بلده[5] .

ومن الأوقاف الشَّخصيَّة المعتبرة محاولات الباحث في الاقتصاد الإسلامي والمهتمّ بإعادة الاعتبار لدور الوقف في المجتمع أ. د . محمّد شوقي الفنجري ، وهو العِصامي الذي أوقف ثروته خلال 1981 م – 2004 م على شكل وقفيَّات نقديَّة بقيمة تَصِل إلى أربعة ملايين جُنيه مصري ، منها خمس وقفيَّات مُودَعة في بنك فيصل الإسلامي (

---

[1] – انظر: الزهراني : **نظام الوقف** ، ص : 248 .

[2] – انظر: ابن الأثير: **الكامل** 4 / 292 ، وابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص : 65 .

[3] – خليل بن شاهين الظَّاهري ( 813 – 873 هـ / 1410 – 1468 م ) ، يعرف بابن شاهين : كان من المولعين بالبحث ، وله تصانيف ونظم ، اشتهر بمصر ، من تصانيفه : زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك . انظر : الزّركلي : **الأعلام** 2 / 318 .

[4] – انظر: عكرمة سعيد صبري : **التمريض في التاريخ الإسلامي** ، ص : 29 ، 30 .

[5] – انظر: ابن أبي أصيبعة : **عيون الأنباء في طبقات الأطبَّاء** ، 1 / 67 ، ومحمَّد حسين علي : **تاريخ العرب والمسلمين** ، ص: 196 ، وقدري حافظ طوقان : **العلوم عند العرب والمسلمين** ، ص : 32 ، 34 .

بعائد يتراوح بين 14 – 20 % ) والبقيَّة باسم شهادات استثمار ( بعائد مضمون يتراوح بين 10.50 % و 17.50 % ) ، على أن يُخصَّص العائد منها لتقديم مِنَح دِراسيَّة للطَّلبة المسلمين الوافدين للدِّراسة في مصر ومِنَح للطَّلبة المِصريّين المحتاجين [1] .

**07 – 01 – 04 – تجربة جامعات الجزائر :**

بالرّغم من التّأثيرات السّلبيَّة التي تركها التّنظيم العقاري على أصناف الملكيَّة قبل الاستقلال بصفة عامَّة ، أو على الاوقاف بصفة خاصَّة إلاَّ أنَّ الأملاك الوقفيَّة بقيت متواجدة ، وكانت تتوزَّع على أوقاف حبست على المدارس والزَّوايا والمساجد والكتاتيب بالإضافة إلى الأوقاف الأهليَّة "[2] . وكان أوَّل قانون صدر بعيد الاستقلال سنة 1962 م هو: " مرسوم رقم 64 – 283 مؤرَّخ في 10 جمادى الأولى 1384 هـ الموافق لـ 17 سبتمبر 1964 م ويتضمَّن نظام الأملاك الحبسيَّة العامَّة . والقانون الذي يعدّ خدمة للتَّعليم في مجال الوقف ما جاء في سنة 1991 م وجاء في : المادَّة 06 منه : الوقف العام ما حبس على جهات خيريَّة من وقت إنشائه ، ويُخصّص ريعه للمساهمة في سبل الخيرات وهو قسمان ، قسم يحدّد فيه مصرف معيَّن لريعه فلا يصحّ صرفه على غيره من وجوه الخير إلاّ إذا استنفذ . وقسم لا يعرف فيه وجه الخير الذي أراده الواقف فيسعى وقفاً عامّاً غير محدَّد الجهة **ويصرف ريعه في نشر العلم وتشجيع البحث فيه وفي سبل الخيرات** .

فالقسم الثَّاني من هذه المادَّة 06 يُقرِّر أنّ ما كان وقفاً غير محدَّد وجه الخير المراد به ، فإنَّه **يوجّه ريعه إلى نشر العلم والبحث وكلّ ما يتعلَّق بذلك** وفي هذا تشجيع من الدّولة للوقف في مجال العلم والتّعليم ... في أوائل الوقف صُدوراً بالجزائر. التي كانت المساجد فيها هي مراكز العلم والبحث ، وهي تعدّ بحسب القانون الجزائري أملاكاً وقفيَّة فقد جاء في المادَّة 08 من قانون الأوقاف الصّادر سنة 1991 م قانون رقم 91 – 10 ما يلي : " المادَّة 08 : الأوقاف العامة المصونة هي :

01 – الأماكن التي تقام فيها الشَّعائر الدِّينيَّة .

02 – العقارات أو المنقولات التَّابعة لهذه الأماكن سواء كانت متَّصلة بها أم كانت بعيدة عنها " .

أمّا في تاريخ الجزائر فقد انتعش الوقف وتزايَد في الفترة ( من أواخر القرن 15 م إلى بداية القرن 19 م ) " فحسب سنة 1750 م تضاعفت عُقُود الأوقاف اثني عشر مرَّة مقارنةً بسنة 1600 م " [3] . وشملت هذه الأوقاف جميع الأملاك الماليَّة أو العقاريَّة ، ومن هذه الإمدادات الوقفيَّة نذكُر الأراضي الزِّراعيَّة والفنادِق والأفران والبُيُوت والحدائق والبساتين وغيرها من الإمدادت التي كانت تُغذِّي مصاريف الوقف وتمنحه الاستمرار في العطاء .

---

[1] – انظر : الأرناؤوط ، محمَّد : **وقف النّقود ودوره في النُّهوض بالتَّعليم ما بين الماضي والحاضر** ، مرجع سايق .

[2] – **الأوقاف الجزائريَّة ، نظرة بين الماضي والحاضر** ، ص : 83 .

[3] – انظر : مسدور فارس ، كمال منصوري : **التَّجربة الجزائريَّة في إدارة الأوقاف : التَّاريخ والحاضر والمستقبل** ، نقلاً عن : غرابة ، زكية منزل : **دور الوقف في نشر العلم خلال التَّواجد العثماني في الجزائر** .

وقد عرفت جهود الوقف تضييقاً كبيراً من قبل الاستعمار الفرنسي لأنَّه – في نظرها – يتعارض وسياساتها الاستعماريَّة حيث يقول أحد الكتّاب الفرنسيّين " إنَّ الأوقاف تتعارض والسّياسة الاستعماريَّة وتتنافى مع المبادئ الاقتصاديَّة التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر " ولهذا بالذّات عملت الإدارة الفرنسيَّة جاهدةً على إصدار سلسلة المراسيم والقرارات تنصُّ على نزع صفة المناعة والحصانة عن الأملاك الوقفيَّة " [1] .

أمّا في تجسُّد ( الوقف العلمي ) في الواقع فقد بدأ بإنشاء المدارس التّعليميَّة ، واستمرَّ بوقف الكتب والمكتبات والمخطوطات للجامعات الجزائريَّة المختلفة . ومن أشهر المدارس الوقفيَّة مدرسة الخنقة ومدرسة مازونة وتُنسَب مدرسة الخنقة إلى مُؤسِّسها " أحمد بالنَّاصر " لذلك تُسمَّى بالنَّاصريَّة . وقد اشتهرت بعلوم النَّحو والفقه والحديث وكانت مقصد طلبة الزّيبان ووادي سُوف والأوراس وحتَّى قسنطينة وعنَّابة ( ومن خرّيجي مدرسة الخنقة أحمد التّليلي وخليفة بن الحُسين الغماري أمَّا مدرسة مازونة فقد كانت على درجة من الأهمِّيَّة في النَّواحي الغربيَّة من البلاد وكان لها نظام راسِخ وتقاليد متينة استمدَّتها من صِلتها بالتَّعليم في تلمسان والأندلُس والمغرب الأقصى . وهي أيضاً من أقدَم المدارِس التي أُسِّسَت في العهد العثماني وقد اشتهرت بالخُصُوص في الفقه والحديث وعلم الكلام واستمرَّت المدرسة تُشعّ بالمعرفة حتَّى بعد انتقال العاصمة الإقليميَّة من مازونة إلى معسكر ثمَّ إلى وهران ) [2] .

وأصبح المواطنون يتنافسون على إرسال أبنائهم إلى التَّعليم في المدارس الوقفية التي بنيت في أغلب مدُن القُطر الجزائري وفاق عددها 130 مدرسة في سنة 1946 م ، وأصبح المتخرّجون من السَّنة الخامسة يتوجَّهون إلى المعاهد التُّونسيَّة والمغربيَّة لإتمام تعليمهم الثَّانوي فما فوق في علوم اللغة العربيَّة .

وبعد وقف المدارس التي تكفَّلت بتدريس أبناء الشَّعب الجزائري قواعد الدِّين ولغته والعلوم الأخرى في مستويات التّعليم الأولى ، حاولت جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريّين إنشاء معهد للتّعليم الثَّانوي ، وكان يُعتبر امتداداً لجامعة الزّيتونة وكان هذا المِعلَم حلماً للشَّيخ ابن باديس وقد حقَّقه له رفاقه بعد وفاته وعلى رأسهم الشَّيخان محمّد البشير الإبراهيمي والعربي التبسّي وكان مقرّ هذا المعهد قد اشتري بتبرُّعات المحسنين وقفاً لله تعالى على العلم وأهله.

وكان العزم منعقداً على تعميم تجربة المعهد في كلّ عواصم القطر الجزائري ( شرقاً وغرباً ) [3] .

ولأنّ الكتب والمكتبات هي عماد البحث العلمي فقد كان للجزائر منه الحظّ الوافر ، إذ تُعتبر الجزائر في هذا المجال في طليعة البُلدان التي تزخر بالكُتُب والمخطوطات ، فقد كانت مُدُنُها مُزدهرةً بمُختلف الكُتُب تأليفاً ونسخاً وجَمعاً ، يشهد لذلك الفرنسيُّون عند احتلالهم الجزائر ، حيثُ إنَّهم كانوا مُندهشين من كثرة الكُتُب التي وجدوها في

---

[1] – سعيدوني ، ناصر الدّين : **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر** ، العهد العثماني ، ص : 165 .

[2] – انظر : أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثَّقافي** ، ج 01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 01 ، 1998 م ، ص : 284 – 285 .

[3] – انظر : **معهد عبد الحميد بن باديس ما له وما عليه** ، مقال بقلم محمّد البشير الإبراهيمي ، جريدة البصائر ، م 01 ، ص : 344 ، العدد 44 سنة 1948 م .

مختلف مكتبات المُدُن ونذكُر على سبيل المثال " البارون ديسلان " و " أدريان بيربروجر " و " شارل فيرو " . ومن أشهر المكتبات التي كانت في العادة مُلحقةً بالمساجِد والمدارس والزَّوايا نذكُر على سبيل المثال لا الحصر : مكتبة المدرسة الكتَّانيَّة بقسنطينة ومكتبة المدرسة المحمَّديَّة في معسكر ومكتبة الجامع الكبير بالجزائر العاصمة ومكتبة زاوية الشِّيخ التَّازي بوهران ومكتبة زاوية القيطنة وهي التي تثقَّف الأمير عبد القادر من كُتُبها .

وكان وقف الكُتُب يتمّ بنفس الطَّريقة التي تتمّ بها الأوقاف الأخرى فالواقف عادةً ينُصُّ على أنَّ الكتاب موقف في سبيل الله على طلبة الجامع أو الزَّاوية أو المدرسة التي يوجد فيها [1] ، كما ينُصُّ على منع إخراج الكُتُب من المؤسَّسة الموجودة فيها وكان الواقف أيضاً بعد عبارات الوقف الشَّرعيَّة يضع ختمه الذي يحمل تاريخ الوقف وخطَّه الشَّخصيّ [2] . وكانت الكتب بهذه الخزائن موقوفةً على الطَّلبة والعلماء تختلف من حيث كميَّتها بحسب " أهمِّيَّة الوقف الذي تتغذَّى منه ، وتبَعاً لأهمِّيَّة الجامع وأمانة الوكيل وضَخامة عَدَد السُّكَّان في المدينة المعنيَّة " [3] .

ومن المشاريع الحديثة ما نشرته الأستاذة زكية زهرة – المسؤولة على الجانب الجزائري في مشروع دولي عن الوقف [4] – في سنة 2007 م حول مؤسَّسة أوقاف سُبُل الخيرات في الجزائر خلال العهد العثماني ، وذلك في نطاق كتاب مشترك بعنوان " الدَّولة الجزائريَّة الحديثة ومؤسَّساتها " .

ويوجد بقسنطينة مجموعة من المكتبات التي أوقفها أصحابها على طلبة العلم . وهي كلُّها موجودة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة بقسنطينة وقد جمعت هناك باعتبار أنَّ جامعة الأمير هي أكبر قطب علمي للعلوم الشَّرعيَّة يجتمع فيه طلاَّب العلم فتكون الاستفادة أكبر ، ويبلغ عددها 14 مكتبة مجموع الكتب الموجودة بها 6555 عنواناً منها 621 مخطوطاً وتُسمَّى هذه المكتبات في الجامعة بمكتبات الشُّيوخ وتعتبر من أزخر أقسام المكتبة الجامعيَّة لكونها تضمّ زبدة ما جمعه مشايخ وعلماء أفنوا أعمارهم في خدمة العلم والمعرفة ويعتبر الشَّيخ محمّد خير الدّين نائب رئيس جمعيَّة المسلمين الجزائريّين هو أوَّل من وضع اللبنة الأولى لهذه المكتبة الوقفيَّة سنة 1989 م .

وهذا شجَّع العديد من العلماء والمشايخ من مختلف ربوع هذا الوطن المفدَّى أن يحبسوا مكتباتهم لهذه الجامعة . ومن هذه المكتبات مكتبة الشَّيخ محمّد الشّريف بدوي ، وعدد كتبها 1144 عنواناً .

ونختم هنا بنموذج لوقف المكتبات على الجامعات لغرض البحث العلمي ، حيث جاء في محضر استلام مكتبة الشَّيخ إبراهيم جاو بجامعة قسنطينة ما نصُّه : ( في يوم الأحد 05 من شهر شوّال 1429 هـ الموافق لـ 05 أكتوبر 2008 م وبجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة بمناسبة حفل افتتاح السَّنة الجامعيَّة 2008 م – 2009 م تمَّ تسليم

---

[1] – أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثَّقافي** ، المرجع السَّابق ، ص : 298 .

[2] – المرجع السَّابق ، ص : 298 .

[3] – المرجع السَّابق ، ص : 296 .

[4] – المشروع الدَّولي تشارك فيه بلدان كثيرة مثل ماليزيا ، الإمارات العربيَّة المتَّحدة ، فلسطين ، اليابان ، تونس ، فرنسا والجزائر، ويعود الإشراف على هذا المشروع الدَّولي للأستاذة الباحثة " راندي ديكلهان " وهو تابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا .

واستلام المكتبة الخاصَّة بالأستاذ الشَّيخ : إبراهيم جاو . المقدّمة هبةً إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميَّة وقفاً على طلبة العلم والمعرفة وذلك حسب القائمة المقدّمة ) .

**07 – 02 – تجربة الوقف في الجامعات الغربيَّة :**

يمكن القول إنّ أزيَد من ( 90 % ) من الجامعات الغربيَّة تُدعَم كلّيّاً أو جزئيّاً بأموال الوقف ، ويصل حجم الوقف في مؤسَّسات التَّعليم العالي الأمريكيَّة إلى ( 118.6 مليار دولار ) ، وفي جامعة كيوتو فقط في اليابان يصل إلى ( 2.1 مليار دولار ) ، بينما يبلغ وقف الجامعات الكنديَّة ( 5 مليارات دولار ) ، ويصل الوقف في 10 جامعات بريطانيَّة ( 30 مليار دولار ) . ويُغطِّي العائد من الأوقاف في مجال التَّعليم بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ، ثلث نفقات تشغيل الجامعة ، وهو ما يعني أكثر من ( 1.1 مليار دولار ) [1] .

وقد رسّخت الجامعات الوقفيَّة الأمريكيَّة ، علاقة وطيدة بين ثقافة التَّبرُّع من ناحية ، والميادين الأكاديميَّة وبرامج البحث العلمي من ناحية ثانية ، بحيث لا يمكن الآن تصوّر البنية التَّحتيَّة العلميَّة في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة بدون الوقف . ولهذا تجتهد كلّ الجامعات الأمريكيَّة ، بما فيها الحكوميَّة ، في عمليَّات مبرمجة ومدروسة لتطوير برامج أكاديميَّة جديدة ، بغرض تمويلها من التَّبرّعات بشكل عام ، من هنا كانت استراتيجيَّة المؤسَّسات الجامعيَّة في تنمية الأصول تعتمد بالدَّرجة الأولى على الدَّعوة لإنشاء وقفيَّات جديدة من خلال التَّبرُّعات [2] .

يعتمد العمل الخيري في الغرب بشكل أساسي على الاستفادة من التَّغيُّرات الحاصلة منذ بداية السَّبعينات في التَّطوير الإداري والاستثماري ودخول الفكر الاستراتيجي كمعطى أساسي للأعمال الخيريَّة والوقفيَّة .

الملفت فيها هو المستويات القياسيَّة في حقل التَّبرُّع والعمل التَّطوّعي بشكل عام ، حيث بلغ عدد المؤسَّسات الخيريَّة بمختلف أنواعها سنة 2011 م ، ( 1.238.000 ) ، وتبرّع الأمريكيُّون في نفس السَّنة بحوالي ( 316 بليون دولار ) ، أي ما يعادل ( 02 % ) من النَّاتج المحلّي الإجمالي .

ويؤكّد الدّكتور " إبراهيم بن محمَّد الحجّي " – المشرف على أكاديميَّة الوقف – أنَّ الجامعات الأكثر تميُّزاً في العالم هي الجامعات الوقفيَّة الخاصَّة ، إذ لم تَعُد هذه الجامعات عبئاً على الدُّوَل بل أصبحت مستقلَّة بميزانيَّاتها الوقفيَّة ، وعوائد استثماراتها الوقفيَّة ، التي جعلت مصاريفها – إن لم يكن كلها– على نفس الجامعة سواء في الأبحاث أو الباحثين ، المحاضرين ، الأجهزة ، الأنشطة ، المنافسات والمناهج وغير ذلك من منافع الجامعة [3] .

أمَّا عن آليَّة تخصيص الوقف للتَّعليم أو لجامعة معيَّنة فيتم عن طريق :

---

[1] – **التَّجربة الوقفيَّة ودورها في دعم المشاريع البحثيَّة والتَّعليميَّة** : حوار مع الأكاديمي الإماراتي طارق عبد الله في حوار لموقع : " نماء " : حاوره : ياسر المختوم . بتاريخ : 24 – 05 – 2014 م . موقع ( نماء ) للبحوث والدّراسات : ( www.nama-center.com ) .

[2] – المرجع السَّابق .

[3] – انظر : الحجّي ، إبراهيم بن محمَّد : **الوقف على التّعليم في الغرب** ، ص : 02 .

01 – تحديد الجهات المانحة بشكل عام ؛

02 – الغرض الذي يتمّ عليه الإنفاق .

والغرض يمكن أن يكون إنشاء مقعد بالقسم ، أو دعم منحة الأستاذيَّة ، أو شراء كتب للمكتبة ، أو تمويل المحاضرات أو المنح ، أو يكون من أجل الاستخدامات العامَّة على حسب الجامعة .

ويتمّ توثيق الوقف ضمن اتفاقيَّات خاصَّة حيث تقوم كلّ من الجهات المانحة والجامعة بتنفيذها . كما تعمل الجامعة على التَّأكّد من استقلاليَّة التَّمويل ، وفعاليَّة توزيعه مستقبلاً ، ممّا يضمن لها أكبر حرِّيَّة ممكنة في الإنفاق .

وتخضع الجامعة لالتزامات قانونيَّة وأخلاقية نحو الجهات المانحة من أجل استمراريَّة إدارة الوقف وفقاً لشروط الاتّفاقيَّة ( شروط الواقف ) . وقد شكَّل الوقف العلمي دعماً لبرامج الجامعات بما في ذلك مِنَح الطلاّب ، وتمويل الدّراسات العليا ، والطلاَّب المهنيّين ، والمقاعد الممنوحة ، وأبحاث الكليَّات ، والمراكز الأكاديميَّة ، وبرامج تأهيل الطلاَّب ، ومقتنيات المكتبة . وتعتبر تمويلات الوقف حاسمة لنجاح طويل الأمد بالبحث الأكاديمي ، ومبادرات تأهيل الطلاَّب بالجامعة . وفيما يلي ترتيب للجامعات العالميَّة وفقاً للمبالغ الوقفيَّة المخصَّصة لها :

| الترتيب | المؤسسة | المبلغ بالفئة المليونية |
|---|---|---|
| 01 | جامعة هارفارد | 30،435 |
| 02 | جامعة ييل | 19،345 |
| 03 | جامعة تكساس | 18,623 |
| 04 | جامعة ستانفورد | 17,036 |
| 05 | جامعة برنستون | 16,954 |
| 06 | معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا | 10,150 |
| 07 | جامعة ميشيغان | 7,691 |
| 08 | جامعة كولومبيا | 7,654 |
| 09 | جامعة نظام تكساسA&M | 7,639 |
| 10 | جامعة نورث وسترن | 7,119 |

**07 – 02 – تجربة جامعة هارفارد الأمريكيَّة :**

عملت جامعة هارفارد على تحقيق عدَّة مؤشّرات كمّيَّة ونوعيَّة تعكس من خلالها ما وصلت إليه من تطوُّر ، وذلك بتبنِّيها لنظام الوقف الذي عملت على تطويره بوضع الأنظمة التي تحميه وتجعله مستقلاً ، وارتقت به إلى مستوى العمل المؤسّساتي ، البعيد عن العفويَّة والارتجاليَّة . وتُبيّن تجربة جامعة هارفارد أنَّ التَّعليم الوقفي نموذج للتَّعليم

المتقدِّم ، وأنَّ الوقف على التَّعليم يُمكن أن يرفع من مستوى وجودة العمليَّة التَّعليميَّة التي لاتزال في عالمنا العربي والإسلامي ، محصورة بين تعليم حكومي متأزِّم ، وتعليم خاص يبتغي – في الغالب – الرّبح السَّريع .

وقد تأسَّس وقف هذه الجامعة عام 1636 م ، وسمِّيت كلّيَّة هارفارد يوم : 13 مارس 1639 م ، لتصبح جامعة هارفارد سنة 1780 م ، وسمِّيت باسم " جون هارفارد " ، القسّ المهاجر من إنجلترا ، الذي أوقف كلَّ ثروته ومكتبته التي تضمّ 400 مجلَّد لكلّيَّة هارفارد ، وفي سنة 1870 م تحوَّلت إلى جامعة خاصَّة تعتمد على الأوقاف ، وبلغت أصول أوقافها 34.9 مليار دولار، مكوَّنة من 11 ألف وقف . ثم بالإضافة إلى التبرّعات الأمريكيَّة ، استطاعت الجامعات الأمريكيَّة أن تموّل العديد من الكراسي العلميَّة من واقفين أجانب ، لإنشاء العديد من الكراسي ذات العلاقة بالإسلام . « وليس أدلَّ على نجاح الوقف على التَّعليم المتجسِّد في جامعة هارفارد من أنَّ ثمانية من رؤساء أمريكا هم من خرّيجي الجامعة وأكثر من 16 % من الحاصلين على جائزة نوبل هم من خرّيجي جامعة هارفارد والعاملين بها » [1] .

**خاتمة :**

سعى هذا البحث إلى الإجابة على الإشكاليَّة المتمثِّلة في معرفة أثر الوقف في البحث العلـمي والنّهوض الحضاري ، وذلك ببيان ماهية الوقف ، وأركانه ، مع عرض لنماذج الوقف على بعض الجامعات العربيَّة والإسلاميَّة والغربيَّة ، وبيان أثرها في المجتمع ... على أن غاية الجامعات الوقفيَّة أن تكون مجالاً للحرّيَّة والإبداع والنُّهوض الحضاري ، بحيث يقرأ الإنسان ما يُحبّ ، في الوقت الذي يُحبّ ، على الأستاذ الذي يُحبّ ... !

ويكفي لبيان أثر الوقف على الجامعات إسهامه في حلّ مشكلة البطالة ، وخاصَّة للحاصلين على الماجستير والدّكتوراه ، وذلك من خلال استيـعاب معـظم أعضاء هيئة التَّدريس ، عن طريق الإعلان الحقيقي والمنافسة الحقيقيَّة ، والتفرّغ للعمل، وبالتّالي الاستغناء عن الهجرة والتغرُّب ...

أمّا الأثر المادّي للوقف على الجامعات فيظهر فيما يُدرّه الوقف من أموال لحلّ معظم إشكالات البحث العلمي القائمة ، فضلاً عمّا فيه من مراعاة لمصلحة الأجيال القادمة ، فإنشاء وقف هو بمثابة إنشاء مؤسَّسة اقتصاديَّة دائمة لمصلحة الأجيال القادمة ...

مع ما أشرنا إليه في ثنايا البحث من أنَّ ( الجامعات الوقفيَّة ) – على اختلاف شُروط وقفها واستراتيجيّاتها – تسعى إلى تطوير مستوياتها البحثيَة ومخرجاتها ، لضمان أعلى مستويات الجودة . وتسعى لأن تكون بديلاً للجامعات الحكوميَّة ، لما تتوفَّر عليه من حرّيَّة في التّمويل والإنفاق بما يتواءم وشروط وقفها ، وعصرنة آدائها بالاهتمام بالجوانب التَّطبيقيَّة ، وتطوير خدماتها للمجتمع في اهتمامها بالمجالات التّكنولوجيَّة المتطوِّرة والنَّادرة ، ممّا يدفعها لعقد اتفاقيات شراكة مع كُبرى الجامعات ، ومؤسَّسات البحث العالميَّة . وهو ما يتطلَّب دعم تبادل الأساتذة والطلاَّب مع هذه

[1] – انظر : المصدر السَّابق ، ص : 03 .

الجامعات ، وذلك بغرض رفع مستوى الأداء العلمي والفنّي والأكاديمي ، ولا يتحقَّق ذلك إلاَّ بتطوير مقرَّرات تعكس الرّغبة الحقيقيَّة في النُّهوض الحضاري . وتطوير كفاءة أعضاء هيئة التَّدريس ؛ وتحسين مستوياتهم ، بحيث يكونوا متميّزين في تخصُّصاتهم ، وإتاحة الدِّراسة للطلاَّب في جوّ من الحرّيَّة والإبداع ...

وليحقّق هذا البحث بعض نتائجه نسوق في ختامه بعض التَّوصيات والمقترحات ...

**التَّوصيات والمقترحات :**

- إقامة الجامعات بالأوقاف في مناطق جديدة ( نائية ) بغرض إعمارها .
- إقامة الشَّراكة بين الجامعات الوقفيَّة لتبادل الخبرات وتجاوز العقبات ، والاستفادة من التّجارُب الوقفيَّة .
- إقامة اللقاءات العلميَّة والدَّورات التَّدريبيَّة للتَّعريف بالوقف وأهدافه التّنمويَّة .
- الدَّعوة لتطوير أوعية جديدة للوقف العلمي وتنويع مجالات البحث والتّطوير التي توجّه لها عوائد الوقف .
- الدَّعوة لرفع المخصَّصات والمعونات والمنح الماليَّة اللازمة للبحث العلمي ، ورصد المبالغ والمعونات الكافية له .
- تعميم فكرة تخصيص صناديق وقفيَّة لتمويل مختلف المشاريع الخيريَّة ، ومنها المشاريع العلميَّة .
- إدماج نظام الوقف وتعليمه في مراحل التّعليم المختلفة ، والتّعريف به إعلاميّاً .
- مطالبة الحكومات بدعم الأعمال الخيريَّة باقتطاعها من الضَّرائب المفروضة فالأنظمة في كثير من البلاد المتقدِّمة تحسب التبرُّعات للجهات الخيريَّة من ضمن التّكاليف الضَّريبيَّة وتسقط قيمتها من حساب الضَّرائب المفروضة على الأفراد والمؤسَّسات فتُشجِّعُها على المبادرة بالتبرُّع .
- تجسيد الأفكار الوقفيّة الإبداعيّة .مثل ( **فكرة البنك الخدمي** ) **التي رأيناها عند البعض** :

وتقوم الفكرة على إيداع كلّ صاحب مهنة مفيدة للمجتمع عدد ساعات يستقطعها وقفاً للأكاديميَّة وله الحقّ أن يستعيض ما أوقفه من ساعات بساعات أخرى من مهن أخرى إذا دعت حاجته إلى ذلك . ومثاله : أن يخصّص دكتور – مثلاً – ثلاث ساعات بعد عصر الخميس من كلّ أسبوع ، وفي هذه الثَّلاث ساعات يكون قد قام بالكشف على عدد من المرضى ، يقيّم – بعد ذلك – ثمن هذه الكشوفات ، فيكون له رصيد في البنك الخدمي بمبلغ تلك الكشوفات ( عبارة عن خدمات ) ، فإذا احتاج سبّاكاً – مثلاً – لمنزله يتَّصل بالأكاديميَّة فترسل له السبَّاك ، ثمَّ يقيّم عمل السبَّاك ( بأجرة المثل ) ، فيكون للسبَّاك رصيد في البنك الخدمي بهذا المبلغ ، ويُخصم من رصيد الدّكتور.

وهو ما يُجسّد قول الشَّاعر :

النَّاس للنّاس من بدوٍ وحاضرةٍ = بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدمُ

هذا : ولـــولا أن يُظـــنَّ بنـــا غُلُوٌّ = لزِدنَا فـــي المقـــالِ مـــن استزادا .

وصلّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمّد وآله وصحبه .

**المصادر والمراجع :**

**01 – المطبوعات :**

01 – حماد ، نزيه : **معجم المصطلحات الماليَّة والاقتصاديَّة في لغة الفقهاء** ، الطَّبعة الأولى ، 1429 هـ – 2008 م ، دار القلم ، دمشق ، سورية .

02 – الزّحيلي ، وهبة : **الفقه الإسلامي وأدلَّته** ، ( الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها ) ، الطّبعة الرّابعة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريَّة .

03 – الزَّرقا ، مصطفى أحمد : **أحكام الأوقاف** ، الطّبعة الثّانية ، دار عمَّار ، عمَّان ، الأردن ، 1419 هـ – 1998 م .

04 – الطَّرابُلسي ، برهان الدّين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن علي : **كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف** ، مطبعة هنديّة ، مصر، 1320 هـ – 1902 م .

05 – الفيُّومي ، أحمد بن محمّد بن علي : **المصباح المنير** ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، 1987 .

06 – القونوي ، قاسم بن عبد الله بن أمير علي : **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء** ، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي ، الطَّبعة الأولى ، دار الوفاء ، 1406 هـ .

07 – ابن عبد البرّ، أبو عمرو يوسف بن عبد اللهَ : **كتاب الاستذكار** ( الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمَّنه الموطّأ من معاني الرَّأي والآثار وشرح ذلك كلِّه بالإيجاز والاختصار ) ، وثَّق أصوله : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الوعي ، حلب / القاهرة .

08 – المناوي ، زين الدِّين محمّد عبد الرَّؤوف : **التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف** ، الطّبعة الأولى ، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت ، القاهرة ، مصر ، 1410هـ– 1990م .

09 – مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة : **المعجم الوسيط** ، دار الدَّعوة .

**02 – المقالات :**

10 – الأرناؤوط ، محمَّد : **وقف النّقود ودوره في النُّهوض بالتَّعليم ما بين الماضي والحاضر** ، جامعة آل البيت ، ( قسم التَّاريخ ) ، الأردن .

11 – الأسرج ، حسين عبد المطلب : **دور مؤسَّسة الوقف فى مواجهة البطالة** .

12 – جاليش ، خالد : **التَّجربة التّركيَّة في الوقف** ، جامعة سلجوق ، كلِّيَّة الإلهيَّات .

13 – الحسن ، يوسف أحمد : مقال بعنوان : **قائمة ببليوغرافيَّة حول الوقف ( كتب ورسائل جامعيَّة )** ، ( مجلّة الواحة ) ، ( مجلّة فصليّة تُعنى بشؤون التُّراث والثّقافة والأدب في الخليج العربي ) ، العدد : 28 ، في 11 / 03 / 2011 م ، موقع : ( www.alwahamag.com ) .

14 – الحليبي ، غادة عبد اللطيف : **دراسة لتجارب حيَّة لمشاريع مهتمَّة بالوقف العلمي** .

15 – الرِّفاعي ، حسن محمد : **الوقف على المؤسّسات التّعليميَّة –كليَّة التّكنولوجيا نموذجاً –** لبنان .

16 – سُليمان ، أحمد علي : **خبرة الجامعات الوقفيَّة بتركيا وإمكانيَّة الإفادة منها في مصر** ، ( دكتوراه ) ، إشراف: أ. د . زينب حسن حسن سيد ، د. آمال محمد حسن عتيبة ، جامعة عين شمس ( كلِّيَّة التَّربية ، تخصُّص أصول تربية ) ، مصر ، 1434 هـ / 2013 م ، نقلاً عن : موقع الألوكة : ( www.alukah.net ) ( 1434/10/13 هـ – 2013/8/20 م ) .

17 – ضميريَّة ، عثمان جمعة : **استثمار أموال الأوقاف على التَّعليم وأساليب إدارتها** ، ورقة عمل مقدَّمة لمؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النَّهضة التَّعليميَّة المنعقد بجامعة الشَّارقة في 06 و 07 جمادى الآخر 1432 هـ الموافق لـ : 09 و 10 مايو 2011 م .

18 – الكبيسي ، محمَّد : **مشروعيَّة الوقف الأهلي ومدى المصلحة فيه** ، ندوة مؤسَّسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي .

19 – مؤتمر الأوقاف الرَّابع الذي أقامته الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة ، حيث تمَّ تناول " دور الجامعات في النّهوض بالوقف الإسلامي" ضمن موضوعات المحور الثَّالث الذي جاء بعنوان : " استراتيجيَّة النّهوض بالوقف الإسلامي استثمارياً " .

**03 – الجرائد والمجلاَّت :**

20 – عبَّاس ، عوض أمين : **تنمية موارد الجامعات من منظور الوقف الإسلامي** ، جريدة الشَّرق الأوسط ، الأحد 06 جمادى الثَّاني 1422 هـ 26 أغسطس 2001 م ، العدد : 8307 .

21 – مجلّة أوقاف الصَّادرة عن الأمانة العامَّة للأوقاف ، بالكويت ، العدد 02 والعدد 07 ، 1423هـ / 2002 م.

22 – مجلَّة الوعي الإسلامي ( العدد : 532 ) .

**04 – المواقع الإلكترونيَّة :**

23 – موقع ( العربيَّة نت ) : ( www.alarabiya.net )

24 – موقع ( الألوكة ) : ( www.alukah.net )

25 – موقع ( مجلَّة الواحة ) : ( www.alwahamag.com ) .

26 – موقع ( المركز الدّولي للأبحاث والدّراسات " مداد " ) : ( www.medadcenter.com )

27 – موقع ( نماء ) للبحوث والدّراسات : ( www.nama-center.com )

# أثر القواعد اللغوية في استنباط الأحكام الشرعية عند الأصوليين

**أ. سليمان حرفيف –المركز الجامعي بآفلو.**

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية المعنونة ب:" أثر القواعد اللغوية في استنباط الأحكام الشرعية عند الأصوليين" إلى تسليط الضوء على المباحث اللغوية عند الأصوليين والمنهاج اللغوي الذي انتهجه الأصوليون مبرزا فيه مدى التأثير والتأثر بين علمي النحو وأصول الفقه والتمييز بين القواعد اللغوية، والقواعد الفقهية، والقواعد الأصولية، ونظرة الأصوليين إلى هذه القواعد اللغوية وتطبيقاتها. مع ذكر بعض القواعد اللغوية كنموذج تطبيقي على سبيل الذكر لا الحصر.

According to this research paper which is titled by : « The Effect of the Linguistic Rules in Understanding the Religious Provisions of Fundanmentalists » we try to highlight on the linguistic chapters of Fundamentalists, the extent of the influence, and the Affect between Grammar and Philology origins and also, to distinguish between Linguistic rules, philology's rules, fundamental rules, and Fundamentaists's view to this linguistic rules and their practices, with mentioning some linguistic rules as one example of many.

لقد كان اهتمام علماء الأصول باللغة عموما وبالمباحث اللفظية خصوصا نابعا من أن النصوص الاسلامية هي نصوص عربية في المقام الأول، ومن ثم لابد لفهما واستنباط ما فيها من معاني واحكام وان يكون المستنبط عالما بلسان العرب، عارفا بدقائقها ومرامي العبارات فيها، وما يقصده النص من معاني حقيقية وأخرى مجازية لذلك كله اختلفت وظيفة اللغة عندهم.[1]

غير ان الاصوليون لم ينكروا تلك الوظيفة التواصلية للغة، وما لها من دور رئيسي في التواصل بين البشر للتعبير عن حاجاتهم وأغراضهم، فقد أدركوا في أذهانهم حقيقة، مفادها أن الانسان الواحد لما خلق بحيث لا يمكنه أن يستقل وحده بإصلاح جميع ما يحتاج اليه فلا بد من جمع عظيم لإعانة يعضهم البعض، حتى يتم لكل منهم ما يحتاج إليه ،فاحتاج كل واحد منهم أن يعرف صاحبه مافي نفسه من حاجاته[2]

[1] أحمد عبد الباسط حامد :**من قضايا النحو عند علماء الأصول .تقديم :حسين محمد نصار .مجلة الوعي الإسلامي** ،الاصدار 81 .ط1 ،2014.ص 214.

[2] المرجع نفسه . ص215

فوظيفة الأصولي مع الألفاظ تختلف اختلافا واضحا مع النحو لان الأصولي ينظر الى ألفاظ اللغة من منظور ما تدل عليه تركيباتها المختلفة من معاني كلية يستنبط منها الحكم الفقهي أما النحوي فنظره متوجه بشكل رئيسي الى الالفاظ من حيث إعرابها ومحلها الاعرابي.

يقول الدكتور مصطفى جمال الدين: "ويمكن أن نقوِم جمهور الأصوليين والنحاة في هذاالمجال اللغوي على أساس اختلافهم في اهداف الدراسة، فنجد أن حصيلة بحث الأصوليين هو ما نستطيع أن تسميه (نحو الدلالة) وحصيلة بحث النحويين هو ما تسميه (نحو الاعراب)".[1]

فالجانب اللغوي في الأبحاث الأصولية قوامه العناية بالألفاظ، والتراكيب بحثا عن الدلالة، وضبط هذه الدلالة بما يتفق وقصد الشارع، حتى يستطيع الأصولي تحديد طريق منضبط يمكن استجاب الحكم الصحيح عليه في المسائل المعروضة[2].

ويقول الدكتور على عبد الغفار:"كما تكشَف لي أيضا أن الأصوليون في تناولهم للغة عرضوا للكثير من فروع البلاغة، ويظهر ذلك في تناولهم للعام والخاص، والتعريف والتنكير والاستغراق من ناحية المفرد والجمع إلا انهم قد توصلوا الى ادق من ذلك، فوضعوا للمجاز علامات بهما وهو تناول لم يطرقه علماء البلاغة أنفسهم".[3]

ولتوضيح وتحديد العلاقة الرابطة بين النحو وأصوله والفقه وأصوله يقول ابن النجار: مبنىااستمداد أصول الفقهمن اللغة العربية حيث يقول "اومن أحكام تركيبها فعلم النحو أو من احكام إفرادها فعلم التصريف"[4].

ومن أهم المسائل النحوية على سبيل الذكر لا الحصر الكلم والكلام وتقسيماتهما، والاسم وما يتعلق به والفعل وما يتعلق به والحرف وما يتعلق به وتناولهم الحروف من حيث خصائص النحوية وجموع السلامة، والتكسير، والاستثناء[5].

اعتمد أصحاب هذا المذهب أي المتكلفين في تأصيل القواعد واستخراج القوانين الأصولية على مدلولات الألفاظ والأساليب في اللغة العربية فتأملوها بصورة تجريدية حسبما تدل عليه في أصول اللغة،وعند العرب[6]، وهذه هي الحقيقة التي قررها القرافي بقوله في مقدمته "أن الشريعة المحمدية اشتملت على الأصول وفروع، وأصولها قسمان أحدهما

---

[1]مصطفى جمال الدين :**البحث النحوي عند الأصوليين** .دار الهجرة ،قم ايران .ط2 ،1405 هـ.ص218.

[2]عبد الغفار أحمد ،**التصور اللغوي عند علماء الأصول** ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، مصر ،1996.ص 116.

[3]عبد الغفار أحمد ،**التصور اللغوي عند علماء الأصول**.ص 175

[4]بن النجار (محمد بن أحمد بن عبد العزيزبن علي الفتوحي ) : **شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير**.تح ،محمد الزحيلي :مكتبة العبيكان .الرياض السعودية.د ط ،1993.ص 48.

[5] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، **المنخول من تعليقات الأصول**، تح: محمد حسن هيتو، د ط، د ت، ص 79.

[6]عبد الوهاب :ابراهيم أبو سليمان :**الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية** .دار الشروق ،جدة السعودية . ط1 ،1983.ص 447

المسمى بأصول الفقه وهو في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة،وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح ونحو الأمر للوجوب والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعوم ونحو ذلك وما خرج على هذا النمط إلا كون القياس حجة، وخبر الواحد وصفات المجتهدين،والقسم الثاني قواعده كلية فقهية جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد مشتملة على أسرار الشرع،وحكمه لكل قاعدة من الفروع في الشريعة، مالا يحصى...وهذه القواعد مهمة في الفقه عظيمة في النفع،ويقدر الاحاطة بها يعظم قدر الفقه..."[1].

## المباحث اللغوية التي انفرد بها الأصوليون:

انفرد الأصوليون بمباحث لغوية كثيرة أغفلها اللغويون،مثل مباحث الأوامر والنواهي، والعموم والخصوص،والاطلاق والتقييد..."[2].

يقول الإمام الجويني في البرهان:"والألفاظ فلا بد من الاعتناء بها،فان الشريعة عربية ولن يستكمل المرء خلال الاستقلال بالنظر في الشرع مالم يكن ريانا من النحو واللغة، ولكن لما كان هذا النوع فنا مجموعا ينتحى ويقصد،ولم يكثر منه الأصوليون مع مسيس الحاجة إليه، وأحالوا مضان الحاجة على ذلك الفن، واعتنوا في فنهم بما أغفله أئمة العربية، واشتد اعتنائهم بذكر ما اجتمع فيه إغفال أئمة اللسان، وظهور مقصد الشرع، وهذا كالكلام على الأوامر والنواهي والعموم، والخصوص،وقضايا الاستثناء"[3]ومايتصل بهذه الأبواب،ولا يذكرون ما ينصه أهل اللسان إلا قدر الحاجة الماسة التي لا عدول عنها.

يقول الإمام السبكي:"ان الاصوليين دققوا في فهم أشياء من كلام العرب لم يصلوا إليها النحاة ولا اللغويون، فإن كلام العرب متسع جدا والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة دون المعاني الدقيقة التي تحتاج الى نظر الأصولي واستقرار زائد على استقراء اللغوي"[4].

## القواعد اللغوية في المصنفات الأصولية:نماذجمنالقواعد اللغوية في بطون المصنفات الاصولية

[1]القرافي ،شهاب الدين أحمد بن إدريس :**الفروق**. دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان .ط 1 ،1998.ج1ص6.

[2] ماجد ابن عبدالله لبن ناصر الجوير :**استدلال الاصوليين باللغة العربية دراسة تاصيلية تطبيقية** .تقديم: سعد بن ناصر الشتري .ط1 ،1432 هـ.ص28.

[3]الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله ابن يوسف): **البرهان في أصول الفقه**، تح عبد العظيم الديب، طبع على نفقة صاحب السمو خليفة بن أحمد آل ثاني أمير دولة قطر .ط1 ،139هـ.ج1 ص 177-178

[4]السبكي (علي بن عبد الكافي) :**الابهاج في شرح المنهاج .شرح على منهاج الوصول الى علم الأصول** .تح، د. أحمد جمال الزمزمي .دار البحوث، دبي الامارات العربية .ط1 ،2004.ج1.ص8

1) اذا دار اللفظ بين التأسيس والتأكيد تعين حمله على التأسيس،ومن ثم فقدا اتفقوا على أن التأكيد على خلاف الأصل،لأن الأصل في وضع الكلام إنما هو إفهام السامع ما ليس عنده.

2) الإنشاءات يترتب معناها على ترتيب ألفاظها.

3) الفعل المضارع المثبت فيه خمسة أقوال،والمشهور–وهو ظاهر كلام سيبويه –أنه مشترك بين الحال والإستقبال ورجح ابن مالك الحال عند التجرد، والثاني: انه حقيقة في الحال مجاز في الإستقبال، والثالث عكسه، والرابع أنه في الحال حقيقة ولا يستعمل في الإستقبال أصلا لا حقيقة ولا مجازا والخامس عكسه.

4) المضارع المنفي بـ(لا) يتخلص إلى الإستقبال عنه سيبويه وقال الأخفش: انه باق على صلاحيته للأمرين، واختاره ابن مالك في التسهيل، فإن دخلت علية (لام) الابتداء،أو حصل النفي بـ(ليس) أو(ما) أو(إن) مضارعا كان اوغيره،ففي تعيينهللحالمذهبان الأكثرون على التعيين ثم صحح بالكلام على (ما) الحجازية خلافه[1].

5) إطلاق المشتق كاسم الفاعل واسم المفعول باعتبار الحال حقيقا بلا نزاع،وإطلاقه باعتبار المستقبل مجاز قطعا،وان كان باعتبار الماضي ففيه مذاهب،وأصحها عند الإمام فخر الدين وإتباعه: انه مجاز، سواء أمكن مقارنة له أولا، والثاني: أنه حقيقة مطلقا، والثالث: التفصيل بين الممكن وغيره،وتوقفاالآمدي وابن الحاجبفلم يصححا في المسألة شيئا،ومحل الخلاف فيما اذا لم يطرأ على المحل وصف وجودي يناقض المعنى الأول أو يضاده، وإلا فإنه يكون مجازا اتفاقا.

6) اذا امتنع الجمع بين مدلولي المشترك لم يجز استعماله فيهما معا،كاستعمال لفظ (افعل) في الأمر بالشيء والتهديد عليه اذا–جعلناه مشتركا بينهما– لأن الأمر يقتضي التحصيل، والتهديد يقتضي الترك.

7) المشترك لا عموم له إلا اذا وقع بعد نفي،ومثاله (والله لأكلم مولاك) فإنه يحنث بكلام المولى الأعلى والأسفل.

8) استعمال اللفظ في حقيقة ومجازه وفي مجازية حكمه حكم استعمال المشترك في حقيقته.

9) المجاز لا يدخل في الحروف،فلا يعبر بحرف عن حرف ولا باسم عن اسم، ولا بالعكس،إذ الحرف ليس مقصودا في نفسه، وإنما هو تابع لغيره،ولهذا يعرفونه بأنه الذي يدل على معنى في غيره.

10) إذا لم ينتظم الكلام إلا بارتكاب المجاز– زيادة أو نقصان– فمجاز النقصان أولى لأن الحذف في كلام العرب أكثر من الزيادة.

11) اذا تعارض المجاز والإضمار استويا فيكون اللفظ مجملا كما في المحصول والمنتخب فلا يترجح أحدهما على الاخر إلا بدليل،لاستوائهما في الاحتياج إلى القرينة وفي احتمال خفائها وذلك لأن كل منهما يحتاج إلى قرينة تمنع المخاطب عن فهم الظاهر، وتردد في المعالم، فجزم أولا بأن المجاز أولى لكثرتها، ثم عاد فاعتبرها سواء.

---

1–عبد الله محمد البشير :**اللغة العربية في نظر الأصوليين دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري** .دبي الامارات .ط 1 ،2008.ص68.

12) الواو العاطفة تشترك في الحكم بين العطوف والمعطوف عليه.

13) واو العطف بمثابة الف التثنية مع الاثنين وبمثابة واو الجمع مع الثلاثة فصاعدا،حتى يكون قول القائل قام الزيدان كقوله قام زيد وزيد.

14) الفاء تقتضي تشريك ما بعدها لما قبلها في حكمه والجمهور على أنها تدل على الترتيب بلا مهلة، ويعبر عنه بالتعقيب،وقال الفراء يجوز أن يكون ما بعدها سابقا.

15) اذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز،جاز ان يكون كلاهما مرادا عند الشافعي،وقال ابوحنيفة لا يجوز ارادة الحقيقة والمجاز في حالة واحدة.

16) يصرف اللفظ إلى المجاز بظهور قرينه وكذلك عند تعذر الحقائق الثلاث صونا للفظ عن الإهمال، ويعبر عن ذلك بانه إعمال اللفظ أولى من إلغائه.

17) إذا ورد أمر أن متعاقبان بفعلين متماثلين،والثاني غير معطوف،فإن منع من القول بتكرار المأمور به مانع عادي حمل الثاني على التأكيد،والا فقيل:يكون الثاني توكيدا أيضا، عملا ببراءة الذمة،ولكثرة التأكيد في مثله،وقيل لا،بل يعمل بهما لفائدة التأسيس، وقيل بالوقف للتعارض، فان كان الثاني معطوفا كان العمل بهما أرجح من التأكيد، فإن حصل التأكيد رجحان بشيء من الأمرين العاديين،تعارض هو والعطف، فإن ترجح أحدهما قدمناه،والإ توقفنا، واختيار الامام الرازي والآمدى العمل بهما في هذا القسم أيضا، إلا أن الرازي فرض ذلك في رجحان التعريف،وقال الآمدى:ان اجتمع الأمران في معارضة الحرف فالظاهر الوقف.

18) الجمهور على أن العرب وضعت للعموم صيغا تخصه، فإن استعمل للخصوص كان مجازا، وعكس جماعة:وقال القاضي اللفظ مشترك بينهما،واختار الآمدي التوقف، وقيل بالتوقف في الاخبار، والوعد، والوعيد دون الامر والنهى.

19) صيغة كل عند الاطلاق من الفاظ العموم الدالة على التفصيل،اي ثبوت الحكم لكل واحد، وقد يراد بها الهيئة الاجتماعية بقرينة .

20) (من) عامة في أولي العلم و(ما) عامة في غيرهم، وأوهم نص سيبوية أن (ما) لأولي العلم وغيرهم، وشرط إفادتهما العموم: ان تكونا شرطيتين أو استفهاميتين،فأما النكرة الموصوفة والموصولة فإنهما لا يعمان،وكذلك اذا كانت (ما) نكرة غير موصوفة.

21) الجمع اذا كان مضافا او محلى بـ (ال) التي ليست للعهد يعم عند الجمهور،إذا لم تقم قرينه تدل على عدم العموم .

22) اذا احتمل كون (ال) للعهد أو لغيره كالجنس أو العموم فإنا نحملها على العهد، لأن تقدمه قرينه ترشده إليه.

23) النكرة في سياق النفي تعم سواء باشرها النفي أو باشرها عاملها، وسواء كان النافي (ما) أو(لم) أو(لن) أو(ليس) أو غيرها.

24) المأمور به اذا كان اسم جنس مجموعا مجرورا ب(من) فمقتضاه الايجاب،من كل نوع لم يقم الدليل على اخراجه.

25) النفي المضاف الى جنس الفعل يجب العمل بمقتضاه ولا يعد من المجملات عند الشافعية،وذهب الحنفية الى امتناع العمل به ودعوى الإجمال.

26) المتكلم يدخل في عموم متعلق خطابه عند الأكثرين سواء كان خبرا أو أمرا أو نهيا.

27) حقيقة الاستثناء اخراج بعض الجملة عن الجملة بحرف (إلا) أو ما يقوم مقامه،وعند أبي حنيفة أن الاستثناء لفظ يدخل على الكلام العام فيمنعه من اقتضاء العموم والاستغراق.

28) الاستثناء من العدد جائز،ولا فرق بين أن يكون من معين أم لا.

29) لا يجوز تقديم المستثنى في أول الكلام،ولو تقدمه حرف نفي فالمنع أيضا باق.

30) تخصيص الحكم بصفة من أوصاف الشيء يدل على نفي الحكم عما عدا محل تلك الصفة عند أصحاب الشافعي ومنع أصحاب أبي حنيفة من ذلك.

31) الأمر بالشيء هل هو نفي عن ضده؟ فعند الشافعي ليس نهيا عن ضده ،وكذا العكس ،وذهب الحنفية الى خلاف ذلك[1].

وقد تكلم الأصوليون مثلا عن الأدلة المتصلة من أدلة التخصيص العموم كالاستثناء معناه،صيغه،اقسامه،وصحة الاستثناء من غير الجنس واختلافهم في ذلك،وامتناع الاستثناء المستغرق، والجمل المتعاقبة بحرف العطف (الواو)، والاستثناء من الاثبات نفي ومن النفي اثبات ونحو ذلك من المباحث النحوية التي لا غنى للأصولي عنها.[2]

## نموذج تطبيقي

### القواعد اللغوية المستدل لها باللغة العربية

إن الأصوليين قاموا بتفصيل الحديث عن كثير من القضايا النحوية،وأظهروا ما بني عليها من أحكام فقهية وأصولية، وكان أسلوب الاستثناء النحوي من أجلى تلك الظواهر النحوية التي نثروها في تأليفهم، والبحث في هذا الأسلوب لدى الأصوليين يظهر وجها جديدا من أوجه الترابط القائم بين الشريعة وبين اللغة العربية[3]، فالنحو قانون يوصل به الى كلام العرب، وكلام العرب قانون يتوصل به الى فهم الأحكام الشرعية.

---

[1] عبد الله محمد البشير. **اللغة العربية في نظر الأصوليين**.ص 76

[2] الأسنوي (جمال الدين ): **الكوكب الدريو فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية** تح : محمد حسن عواد ،دار عمار للنشر ،عمان الأدرن .ط 1 ،1985.ص 45

[3] عبدالقادر عبد الرحمن أسعد السعدي :**الاستثناء النحو عند الأصوليين ، مجلة جامعة قطر للآداب** . ع 28 ،2006 ص 231

**أثر النحو في أصول الفقه**

أثر النحو في أصول الفقه تأثيرا كبيرا بالغا على النحو الذي أثرت فيه أصول الفقه في أصول النحو،وذلك لأن علم أصول الفقه إنما هو علم أدلة الفقه، وأدلة الفقه إنما هي الكتاب والسنة، وهذان المصدران عربيان، فإذا لم يكن الناظر فيهما عالما باللغة وأحوالها، محيط بأسرارها وقوانينها، تعذر عليه النظر السليم فيهما، ومن ثم تعذر إستنباط الأحكام الشرعية منهما ولذلك صار النحو شرطا في رتبة الإجتهاد، وصارت معرفة اللغة والنحو والصرف فرض كفاية، فمعرفة الأدلة متوقف على معرفة اللغة والنحو والتصريف، وما يتوقف على الواجب المطلق، وهو مقدور للمكلف، فهو واجب، فإذا معرفة اللغة والنحو والتصريف واجبة[1].

وسبب المكانة التي أعطيت للغة والنحو في الثقافة العربية كانت مصنفات الأصوليين تؤكد أن علم العربية هو أحد المصادر الثلاثة التي يستمد منها أصول الفقه.

يقول الأمدي: "وأما ما منه استمداد –أي علم أصول الفقه–فعلم الكلام والعربية والأحكام الشرعية... وأما علم العربية فلتتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز والعموم، والخصوص، والاطلاق، والتقييد، والحذف،والإضمار، والمنطوق، والمفهوم،والاقتضاء، والاشارة، والتنبه، والإيماء وغيره مما لا يعرف من غير علم العربية[2].

– القاعدة في اللغة أصل الأس،والقواعد الأساس،وقواعد البيت أساسه وفي التنزيل ((وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)) البقرة 128– وفيه أيضا ((فأتى الله بنيانهم من القواعد)) النحل 26.

والقاعدة الواحد من البيت،والواحدة من قواعد النساء قاعدة.

والناضر في أقوال العلماء يجدهم يتفقون على أن معنى القاعدة في اللغة الأساس فقاعدة الشيء أساسه، واصله الذي ينبني عليه،والقواعد الفقهية هي الأصول والأسس التي ينبنى عليها فروع الفقه ومسائله الجزئية، وتأتي بمعنى الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئياته مثل قولهم(كل أذون ولود وكل صموخ بيوض).[3]

---

[1]الأسنوي (جمال الدين ): **الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية** تح : محمد حسن عواد ،دار عمار للنشر ،عمان الأدرن .ط 1 ،1985.ص42

[2]الآمدي(**سيف الدين ابو الحسن علي بن علي بن محمد**) :**الإحكام في أصول الأحكام** ، تعليق :عبدالرزاق عفيفي .دار الصميعي :السعودية .ط1 ،2003.ج1,ص9

[3]محمود مصطفى عبود هرموش :**القاعدة الكلية إعمال الكلام أولى من إهماله وأثرها في علم الأصول**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت لبنان .ط 1987،1.ص19

أما في الاصطلاح فقد يختلف معناها في اصطلاح الأصوليين والنحاة عنه في اصطلاح الفقهاء فالقاعدة عند الأصوليين والنحاة هي حكم كلي ينطبق على جميع جزئياته لتعرف أحكامها منه، فمن أمثلة قواعد الأصوليين (الأمر اذا تجرد عن القرائن أفاد الوجوب) ومن أمثلة قواعد النحاة (الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب)أما القاعدة في اصطلاح الفقهاء فقد عرفها الحموي:"هي حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته لتعرف أحكامها منه".[1]

**القواعد اللغوية عند الأصوليين:**

والقواعد الأصولية اللغوية مصدرها أدلة لغوية، بمعنى أنها موجودة في لغة العرب يعرف مدلولها باستقراء كلامهم، وهذه القواعد هي أكثر القواعد الأصولية، ولبحث هذه القواعد ظهرت عبقرية الأصوليين اللغوية بما فاقوا به اللغويين في عدد من المواضع، حتى أصبح اللغويون يرجعون في بحث هذه القواعد –مع أنها لغوية– إلى الأصوليين مقرين لهم السبق والفضل في هذا الميدان.[2]

وهناك قواعد لغوية عقلية مدركها اللغة والعقل من أمثلتها دلالة أسماء الشرط والاستفهام والنكرة في سياق النفي على العموم عند بعض الأصوليين،ومثل هذه القواعد تفسر لنا ما نراه من وجود استدلالات عقلية مع الاستدلالات اللغوية في مباحث الألفاظ.[3]

وهناك قواعد لغوية شرعية أي أن مدركها لغوي شرعي، بحيث لا تثبت إلا باجتماع المدركين معا، ومن أمثلها قاعدة دلالة صيغة الأمر على الوجوب،فإنها لا تؤخذ من اللغة فقط أو من الشرع فقط وإنما تؤخذ منها معا.

والمهم في هذا أن مدار الأستدلال كان معظمه لغوي سواء مدرك لغوي أو مدرك لغوي عقلي أو مدرك لغوي شرعي.

**نموذج تطبيقي:**

من القواعد اللغوية المستدل لها باللغة في المباحث التخصيص (الاستثناء).

دأبت العرب على تلوين كلامهم وتنويعه،والأستثناءلون من ألوان ذلك التعبير فأسلوب الإستثناء النحوي من أجلى تلك الظواهر النحوية التي نثرها الأصوليون في تأليفهم،والبحث في هذا الأسلوب لدى الأصوليين يظهر وجها جديدا

[1] نقلا عن المرجع نفسه ص 20

[2] ماجد ابن عبدالله لبن ناصر الجوير :**استدلال الاصوليين باللغة العربية دراسة تاصيلية تطبيقية** .تقديم : سعد بن ناصر الشتري .ط1 ،1432 هـ.ص 38

[3] المرجع نفسه.ص 39

من أوجه الترابط القائم بين الشريعة ونحو اللغة العربية لان النحو قانون يتوصل به إلى كلام العرب،وكلام العرب قانون يتوصل به إلى فهم الأحكام الشرعية.[1]

ولعرض أهم القضايا التي تربط بناء الأحكام الأصولية الفقهية على مسائل الأستثناءعلى سبيل الذكر لا الحصر ومن أهمها الأستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي.

**الاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي:**

هذه المسألة يعني بها ما يفهم من الأستثناء، فإذا قال قائل: قام القوم إلا زيدا،فإن القوم في هذا المثال محكوم عليهم بالقيام، وزيد هل يحكم عليه بعدم القيام،من اجل أن الأستثناء من الإثبات نفي أولا؟

وإذا قال قائل: علي عشرة إلا درهما،فهل يكون هذا القول منه إقرار تسعه،من اجل أن الأستثناء من الإثبات نفي؟.

أو إذا قال: ليس له على شيء إلا درهما،فهل يكون مقدرا بدرهم من أجل أن الأستثناء من النفي إثبات أم لا؟[2]

- اختلف الأصوليون في ذلك على قولين:

**القول الأول:**

أن الأستثناء من النفي إثبات وبالعكس، وهذا قول جمهور الأصوليين،وهو ما عليه بعض الحنفية.[3]

يقول ابن النجار في شرح الكوكب المنير:"وخالف الحنفية في كون المستثنى من الإثبات نفي،ومن النفي إثبات،وحجة الجمهور في أن الأستثناء من النفي إثبات،ومن الإثبات نفي يقول "واستدل لقول الجمهور باللغة،وأن قول القائل (لا إله إلا الله )توحيد،وتبادر فهم كل من سمع قول القائل: لا عالم إلا زيدا،وليس لك علي إلا درهم، إلا علمه وأقراره"[4].

ويقول الدكتور: ماجد بن عبد الله بن ناصر[5]

واستدل الجمهور بثلاث أدلة لغوية وهي:

---

[1] عبد القادر عبد الرحمان، أسعد السعدي، **الإستثناء النحوي عند الأصوليين**، مجلة جامعة قطر للآداب، العدد(28)، 2006،ص 231.

[2]ماجد ابن عبدالله بن ناصر. **استدلال الاصوليين باللغة العربية** .ص 596

[3]محب بن عبد الله الشكور، **فواتح الرحموت**،ضبطه وصححة عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص334

[4] نفس المرجع، ص335

[5]ماجد ابن عبدالله بن ناصر. **استدلال الاصوليين باللغة العربية** ص337

القول الأول: إجماع أهل العلم على أن كلمة (لا إله إلا الله) تعني توحيد الله عزوجل وأن المتلفظ بها ممن كان كافرا يدخل الإسلام،وما ذاك إلا أن الإستثناء من النفي إثبات.

ونوقش هذا الدليل بوجهين:

**الوجه الأول:** أن دلالة كلمة التوحيد على إثبات الالوهية لله سبحانه وتعالى ليست مأخوذة من دلالة اللفظ وإنما دل على ذلك عرف الشارع أن المتكلم بهذه الكلمة يعد موحدا، وأجيب عن هذا بأن الكفار الذين خوطبوا بهذه الكلمة وأدركوا معناه ومغزاها،ولم يحصل بينهم خلاف في فهم دلالتها وهذا يدل على فهمهم لإثبات الألوهية من دلالة اللفظ.

**الوجه الثاني:**إن قرائن الأحوال دلت على أن الناطق بكلمة التوحيد يريد إثبات الألوهية لله عزوجل بعد نفيه عن سواه،ولذلك حكم بإسلام القائل لتلك الكلمة من اجل دلالة تلك القرائن لا من أجل دلالة اللفظ ذاته.

ونوقش هذا بأن الأصل عدم القرائن وان السماع لا يجد إلا اللفظ اللغوي.

**الدليل اللغوي الثاني:**

النقل عن أهل اللغة،وهم العمدة في مدلولات الألفاظ وقد ذكروا أن الأستثناء من النفي إثبات وبالعكس.

ونوقش هذا بأن قول أهل العربية هذا هو على سبيل المجاز وإلا فليس الأستثناء من النفي إثباتا حقيقة ولا العكسكذلك ،ورد بأن كلام أهل العربية في هذا محمول على الحقيقة ولا يتحمل التأويل.

**الدليل اللغوي الثالث:**

أن المتبادر إلى التهم عند سمع قول القائل لا عالم في المدنية إلا زيد، إثبات كونه عالما، ونفي العلم عن غيره،وتبادر هذا المعنى إلى افهامنا يدل على الوضع[1].

واستدل اصحاب القول الثاني (الأحناف) بدليلين لغويين:

**الدليل اللغوي الأول:**

أنه لوكان الأستثناء من النفي اثبات لكان قوله((لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول))[1].صحيح مسلم، رقم الحديث 224، الباب الثاني: باب وجوب الطهارة للصلاة.

[1]عبدالقادر عبد الرحمن أسعد السعدي. **الاستثناء النحوي عند الاصوليين**.ص455

دالاعلى عدم صحة الصلاة عند خلوها عن الطهور وعلى صحتها عند اقترانها به، وليس الأمر كذلك،فإن الصلاة قد تكون غير صحيحة مع اقترانها بالطهور،لفقد شرط من شروطها الأخرى.

**الدليل اللغوي الثاني:**

أن أهل اللغة ذكروا أن الأستثناء عبارة عما وراء المستثنى أو تكلم بالباقي بعد الثنيا، ومعنى هذا أن الأستثناء خال عن إفادة حكم معارض لحكم المستثنى منه،فهو مسكوت عنه عندهم[2].

إن الناظر في كلام الأصوليين واستدلالهم لإثبات القاعدة الأصولية اللغوية يتبين أنهم يسيرون وفق ضوابط رغم تفاوتهم في العمل بها لأجل اختلافهم في بعضها الأمر الذي يؤدي إلى الاختلاف في إثبات البعض منها.

ومن بين هذه المباحث التي تعد ضابطا نذكر منها ما يلي[3]:

1- ثبوت اللغة بالنقل.
2- ان يكون المنقول عن عرب حقيقة في معناه.
3- ان يكون المنقول عن العرب قطعي الثبوت.
4- مراعاة العرف اللغوي.
5- مراعاة الإعتبار الشرعي.

اللغة والدين متلازمان يكمل أحدهما الأخر، فالدين هو المصدر الذي الخصب الذي يمد اللغة بأسباب النمو والرقي وعوامل الازدهار والانتشار، وللأهمية البالغة للغة اشترطوا في المفسر عدة علوم من العلوم اللغوية هي اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع.

من هذا كله جاء الاهتمام بالعلاقة بين اللغة والقرآن الكريم من خلال الوقوف على بعض القضايا اللغوية مثل القواعد اللغوية وأثرها في الأحكام الشرعية عند الأصوليين.

فدراسة المعنى عند الأصوليين دراسة سابقة لعصرها، إنهم وضعوا منهجا علميا دقيقا لدراسة المعنى سبقوا به غيرهم.

---

[1]النيسابوري(أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري)،**صحيح مسلم** دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2006، ص122.

[2]محب بن عبد الله الشكور، **فواتح الرحموت**،ضبطهوصححة عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 338.

[3]ماجد ابن عبدالله بن ناصر. **استدلال الاصوليين باللغة العربية** ص60

**خاتمة:**

–ستخلص من هذا أنه من الواجب إعادة دراسة البحث اللغوي في التراث الشرعي وذلك لما امتاز به من تطبيقات لغوية لا توجد في كتب النحو أو كتب اللغة.

– مدىالترابط أن التداخل أو التفاعل بين العلمين علم أصول الفقه وعلم اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وبلاغة بما فيها من معاني وبيان وبديع.

– عدم استقلالية هذه البحوث اللغوية عند الأصوليين استقلالا تاما من الناحية الدراسية وذلك بجمع هذه المسائل جمعا لغويا منفردا.

– البحث في هذه المواضيعيتيح المعرفة في منهاجهم اللغوي.

– جل المباحث في علم الأصول الغالب عليها الجانب اللغوي أوبقول آخر هي ثلث الدراسات الأصولية لغوي.

## المصادر و المراجع:


1- الآمدي (سيف الدين ابو الحسن علي بن علي بن محمد) :**الإحكام في أصول الأحكام** ، تعليق :عبدالرزاق عفيفي .دار الصميعي :السعودية .ط1 ،2003.

2- الأسنوي (جمال الدين ): **الكوكب الدريفيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية** تح : محمد حسن عواد ،دار عمار للنشر ،عمان الأدرن .ط 1 ،1985.

3- الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله ابن يوسف) : **البرهان في أصول الفقه** ،تح عبد العظيم الديب .طبع على نفقة صاحب السمو خليفة بن أحمد آل ثاني أمير دولة قطر .ط1 ،139هـ

4-النيسابوري(أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري)،**صحيح مسلم** دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2006

5- بن النجار (محمد بن أحمد بن عبد العزيزبن علي الفتوحي ) : **شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير**.تح ،محمد الزحيلي :مكتبة العبيكان .الرياض السعودية.د ط ،1993.

6- السبكي (علي بن عبد الكافي) :**الابهاج في شرح المنهاج .شرح على منهاج الوصول الى علم الأصول** .تح ،د. أحمد جمال الزمزمي .دار البحوث ،دبي الامارات العربية .ط1 ،2004.

7- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد : **المستصفى من علم الأصول** . تح :محمد بن سليمان الأشقر ،مؤسسة الرسالة ،بيروت لبنان .ط1997،1

8- القرافي ،شهاب الدين أحمد بن إدريس :**الفروق** . دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان .ط 1 ،1998.

9- عبد الوهاب :ابراهيم أبو سليمان :**الفكر الأصولي دراسة تحليلية نقدية** .دار الشروق ،جدة السعودية . ط1 ،1983

10- عبد الله محمد البشير :**اللغة العربية في نظر الأصوليين** دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري .دبي الامارات .ط 1 ،2008.

11- عبد الغفار أحمد ،**التصور اللغوي عند علماء الأصول** ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، مصر ،1996

12- محب الله بن عبد الشكور البهاري:**فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت**،ضبط وصححه عبد الله محمود محمد عمر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1، 2002م.

13- مصطفى جمال الدين :**البحث النحوي عند الأصوليين** .دار الهجرة ،قم ايران .ط2 ،1405 هـ.

14- ماجد ابن عبدالله لبن ناصر الجوير :**استدلالالاصوليين باللغة العربيةدراسة تأصيلية تطبيقية** .تقديم : سعد بن ناصر الشتري .ط1 ،1432 هـ.

15- محمود مصطفى عبود هرموش :**القاعدة الكلية إعمال الكلام أولى من إهماله وأثرها في علم الأصول**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت لبنان .ط 1،1987

16- أحمد عبد الباسط حامد :**من قضايا النحو عند علماء الأصول** .تقديم :حسين محمد نصار .مجلة الوعي الإسلامي ،الاصدار 81 .ط1 ،2014.

17- مصطفى محمد الفكي : **أثر النحو في استنباط المسائل الأصولية** جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية .ع10 ،2005.

18- عبدالقادر عبد الرحمن أسعد السعدي :**الاستثناء النحوي عند الأصوليين** ، مجلة جامعة قطر للآداب .ع 28 ،2006.

# الدرس اللّساني المعاصر بين مفهوم الأسلوبية ونظرية أفعال الكلام

**د. عمرحدوارة**

**جامعة ابن خلدون.**

**تيارت**

**ملخص البحث:**

يعالج هذا البحث بين دفتية أحد الاتجاهات اللسانية التي تمتد جذوروها للدرس اللساني القديم و المتمثلة في النظرية التداولية، هذه النظريه التي تعبر عن مقصديه الكلام. بطرق ملتويه باعتبار أنّ الكلام العادي يرجع إلى إجراءات الصياغه الغير مباشره للأفعال الكلاميه التي يخرج فيها مستعملو اللغة العادية بملفوظاتهم عن المعنى الصريح إلى المعنى الإضافي الخفي الذي هو بحاجة إلى تأويل للوصول إلى مقصدية المتكلمين.

**الكلمات المفتاحية:**

الأسلوبية، اللسانيات، المنهج، النظام، الانزياح.

**Résumé :**

La présenteétude examine l'un des courants linguistiques, dont les premiers traits apparaissentdansl'anciencourslinguistique. C'est la pragmatique qui a pour objectif de chercher les finalités de parole d'unefaçonindirecte, vu que la parole normale se réfère aux procédures de reformulation indirecte des actes de paroles, dont les utilisateurs de la langue écartent par leursprononcés du sens direct explicite au senssecondaireimplicite, qui nécessiteuneinterprétation pour cerner le vouloir dire des interlocuteurs.

**les mots clés:**

Stylistique. Linguistique. Méthode.Système.L'écart .

**مدخل البحث:**

تنوّعت مصادر الدرس اللّساني المعاصر، إذ كان لكل مفهوم من مفاهيمه حقل معرفي يستمدّ منه مادته العلمية، فالأفعال الكلامية مثلا: مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي هو الفلسفة التحليلية.

وسنحاول في هذا العمل الكشف عن جملة من الإنجازات العلمية والفكرية الحديثة تُنسب إلى الغرب، وهي ممتدّة الجذور إلى أعماق التراث العربي، ولكن كلاهما يسعى للكشف عن آليات التواصل الإنساني باستعمال اللّغة قد تكون فاكهة البحث هنا هي الانطلاقة التي تبدأ من طرح الإشكال والمتمثلة في التساؤلات التالية: ما مدى ملاءمة

تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على اللّغة العادية (الطبيعية)؟؛ وما مدى قدرة اللّغة العادية (الطبيعية) على عملية التواصل؟؛ وهل يمكن لقابلية التعميم أن تشمل نظرية الأفعال الكلامية في مستويات أخرى أعلى من اللّغة.

**أولا:الإطار المنهجي :**

**I. نظرية أفعال الكلام:**

أوّل ما ظهرت أثر نظرية الاستعمال،كان في مدرسة كمبردج وخاصة في أعمال "**أوستين**"(Austin)،ويضاف لها أعمال فيلسوف اللّغة"**جونسيرل**"(John Searle) صاحب نظرية أفعال الكلام،وبجهودهما تحوّلت الفلسفة اللّغوية إلى مجال يبحث في مشكلات اللّغة[1]، ولا يقوم"**أوستين**" بالتقسيم التقليدي للقضايا والجمل إلى خبرية وإنشائية، وبالتالي الاحتكام إلى معيار الصدق والكذب، وإنّما ينطلق من موقف جديد، وهو أنّ الوحدة الأساسية للّغة هي الأفعال الكلامية، وإذا اعتبرنا الأقوال أفعالا فإنّها تسعى لتحقيق شيئ ما، وبالتالي فإنّ المسألة لا تتعلّق بالصدق والكذب فقط، وإنّما بالسياق والمناسبة التي تمّ فيها بالفعل أيضا[2].

**1) مفهوم الفعل:**

إنّ مصطلح الأفعال الكلامية ترجمة للمقابل الإنجليزي(Speech)التي كثُر استعمالها من قبل الباحثين العرب، وحين نتحدث عن الفعل نقصد به الحدوث والوقوع، ومن ثمّ الإنجاز للأفعال التي تحمل معنى الإنشاء والابتكار، وعليه فالإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام وهذا المعنى للإنشاء هو الذي يقدّمه "**أوستين**"، فنحن ننجز الأشياء بالكلام، أي نخرجها من حيّز العدم إلى الوجود[3]. ومن الضروري أن لا يغيب عن البال أنّ فعل الكلام الشامل للمنجز الكلامي والمنجز الكتابي[4]، وعلى مستوى الدراسات النّصيّة فإنّ الفعل اللّغوي يمثّل التأكيد على أشياء، أو إعطاء أوامر، أو إثارة أسئلة، أو القيام بوعود أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تركّز على تأويل النّصوص باعتبارها أفعالا للّغة كالوعود، والتهديدات، والاستفهام والطلبات، لأنّ تعبير المتكلّم عن قصده هو إنجاز فعل وترمي الأفعال إلى صناعة مواقف بالكلمات مع الميل إلى التأثير في المخاطب، بحمله على فعل أو ترك، أو تقرير حكم أو إبرام عقد، أو إفصاح عن حالة نفسية.

وتبدو النتائج الأولية التي توصّل إليها "**أوستين**" في الخمسينات، خضعت لدراسة نقدية مكثّفة، شارك فيها فلاسفة كل من: "**ستراوس**"، "**كوهين**"، "**سيرل**"، و"**فاندرفكن**". ويرى "**أوستين**" أنّ الأقوال قد تكون أحيانا أفعالا، أو مؤدية إلى أفعال، وأهميتها ترجع إلى إثبات أنّ تلك الأقوال ليست خالية من المعنى، وإلى تحديد السمات

[1]- ينظر، الزواوي بغورة، الفلسفة واللّغة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص104.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص:106.

[3] – ينظر، العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللّساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م، ص:73.

[4] – ينظر، نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص:193.

المميّزة لها، وأهم تلك السمات هو: ارتباطها بالمتكلّم وبالموقف الذي تُقال فيه، ومن ثمّ نحكم بأنّها ملائمة أو غير ملائمة[1].

لقد راح "**أوستين**" يوسّع المفهوم ليشمل جميع الجمل، حتى تلك التي تقبل الصدق والكذب. فأنتج بذلك فلسفة عامة للّغة[2]. ومضى يثبت أنّ هناك نوعا من العبارات الإخبارية لا يصف شيئا في الواقع الخارجي ولا يحتمل الصدق أو الكذب لكنها إنشائية، فمثلا إذا قيل لك: سمّ مولودك، قلت: سميته يحي، أو في جملة أخرى: أوصي بنصف مالي للجمعيات الخيرية، أو في عبارة زوّجتك ابنتي. فهذا النوع من الجمل إذا نطقت به فإنّك لا تلقي قولا، بل تنجز فعلا[3]. فهنا أطلق "**أوستين**"على هذه الأفعال مصطلح: الأفعال الإنجازية (performative)* وجعل ميزتها أنّها تُستخدم لإنجاز فعل (كالتسمية، الوصية، التزويج، الاعتذار، الترحيب، أو النّصح ...وغيرها) فهي لا توصف بصدق أو كذب، بل تكون موفّقة أو خائبة، إذا راعى المتكلّم شروط أدائها، وكان أهلا لفعلها، فقول: فُتحت الجلسة لا تكون له فاعلية إلاّ إذا صدر من شخص مؤهّل، ويؤدي خرق الشروط إلى فشل الفعل الإنجازي. وبتعبير "**ديكرو**"(Decro) فإنّ الأفعال الإنجازية مؤسسة على مواضعات من النوع القضائي، حيث تترتب على المتكلّم، وللمستمع حقوق وواجبات، هما مطالبان بالالتزام بها[4]. "لأنّ ما وضع تحت الإنشائيات هو جُمل تقال لا لوصف، إنّما التلفّظ بها هو جزء من القيام بفعل[5]. لذا لاحظ "**أوستين**" أنّ هذه الأفعال في اللّغة الإنجليزية يستخدم معها غالبا ضمير المتكلّم مسندا إليه، والفعل في صيغة المضارع المبني للمعلوم، حيث إذا قلت: أعدك بكذا، كان فعلا أدائيا. لكنك إذا قلت: وعدتك بكذا، لم يكن أدائيا، لأنّها تدل على الخبرية[6]. ومن هنا نجد "**أوستين**"يقسّم الأفعال الإنجازية إلى نوعين:تتمثل**الأولى** :في إنشائيات صريحة مثل قولنا: آمرك أن تعرض عن الجاهلين؛ وتنحصر **الثانية**في:إنشائيات ضمنية أولية مثل قولنا: أعرض عن الجاهلين[7]. هنا وجد "**أوستين**" أنّ الفعل الكلامي مركّب من ثلاثة أفعال تؤدي في وقت التلفّظ بالفعل وهي:( فعل القول، فعل متضمّن في القول، فعل ناتج عن القول)، وهي ليست أفعالا ثلاثة يستطيع المتكلّم أن يؤديها واحدا تلو الآخر، بل هي جوانب لفعل واحد[8]. وأمّا النوع الثاني (أي

[1].– محمد حسن عبد العزيز، علم اللّغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م، ص:324.

[2] – ينظر، طلب هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م، ص:04.

[3]– ينظر، محمود نحلة، مرجع سابق، ص:62.

[4]– ينظر، نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللّغة والأدب ع 17/جانفي 2006م، ص:81.

[5]- Austin .J . L. How to do things with words Oxford University Press 1975. P 5.

[6]– ينظر، محمود نحلة، مرجع سابق، ص:66.

[7]– ينظر، محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، مجلة فصول ع/65 خريف 2004م، ص:137.

[8]– ينظر، محمود نحلة، مرجع سابق، ص:67.

الفعل المتضمّن في القول) هو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنّه عمل يُنجز بقول ما، وهذا القسم هو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية برمّتها[1].

وأمّا ما يتعلق بجهود **سيرل**(Searle): فقد جاءت لتكمل ما بدأه أستاذه زميله"**أوستين**"،والذي يرى بمشاركة "**فاندرفكن**"(Vanderfkin) أنّ الفعل الإنجازي هو وحدة الاتصال الإنساني باللّغة، فالفعل الإنجازي هو الوحدة الأولية لمعنى الجملة، وهو الوحدة الأولية للاتّصال[2]. وقد أعاد "**سيرل**" النظر في تصنيف "**أوستين**"للأفعالالإنجازية، فبيّن ما يشوبها من ضعف، وقدّم تصنيفا بديلا. وقد جعله خمسة أصناف هي كالآتي:

1- الإخباريات (التقريريات)(Assertives): والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلّم واقعة ما من خلال قضية.

2- الوعديات (الالتزاميات)(Commissives): وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل

3- التوجيهيات (الأمريات)(Directives): وغرضها الإنجازي محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما.

4- التعبيريات (البوحيات)(Expressives): وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي.

5- الإعلانيات (الإيقاعيات)(Declaratives ): والغرض منها إحداث تغيير.

## II. الأفعال الكلامية عند العرب :

لقد تبنّى الباحثون العرب مصطلح التداولية، وأوّل من اقترح مصطلح التداولية العالم المغربي "**طه عبد الرحمن**"في كتابه: في أصول الحوار[3]، وقد تبنّاه الدكتور بعده"**أحمد المتوكل**"وبهذا لقيت استحسان المختّصين، وتجدر الإشارة إلى أن "**عبد الرحمن حاج صالح**" استعمل مصطلح بيل لها كـ(الاستعمال) مقابل لمصطلح(Pragmatique)[4]. وأمّا المصادر العربية التراثية التي تناولت التداولية فنذكر منها: (دلائل الإعجاز، البيان والتبيين، الخصائص، تفسير الرازي، الكشاف، مفتاح العلوم للسكاكي، الإيضاح للقزويني)، وبصفة خاصة كتب الأصول ومنها (أصول السرخسي، والرسالة للشافعي).فقد نقبوا وحفروا في أرشها بداية من دراستهم لنظرية (**الخبر والإنشاء**) عند العرب تتبيّن الأدوات المنهجية لدراستهم لظاهرة (الأفعال الكلامية) التي تندرج ضمن مباحث علم المعاني، وقد كانت ظاهرة الخبر والإنشاء حقلا مشتركا بين علوم الفلسفة والبلاغة، والنحو، والأصول. وتتجلى تطبيقاتها في كتبهم وشروحهم مركّزين على

[1]- ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط1، 2008م، ص:56.

[2]- محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، ص:65.

[3]- ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000م، ص:28.

[4]- ينظر، الطاهر لوصيفي، التداولية اللّسانية، مجلة اللّغة والأدب، ع17، جانفي 2006م، ص:08.

أبعادها التداولية[1]، خاصة عرفية الاستعمال وقصدية المتكلّم. وأدرجوا هذه المباحث تحت مفهوم الأغراض البلاغية للأساليب التي تقابل الأفعال الكلامية.

**1) الصيغة اللغوية للفعل الكلامي :**

لقد ناقش الفقهاء والأصوليون الصيغ التي تتمّ بها عقود البيع مثلا، إذ الفعل البيعي لا يصحّ إلّا بألفاظ خاصة تواضع عليها أهل اللّسان العربي، لتؤدي هذا الفعل الكلامي، وهي الألفاظ التي وصفها "**ابن رشد**" بأنّ صيغتها ماضية، مثل: أن يقول البائع قد بعتك هذا الشيء[2]، فالفعل الشهاهد على سبيل المثال: قد يتحوّل إلى إنشاء صريح، فيصبح مقابلا لظواهر كلامية كالخير والرواية، فيكتسب صفة الإنشائية ويعامل معاملة الإنشاء عند "**القرافي**"، فإذا قال الشاهد: أشهد عندك أيها القاضي بكذا. كان إنشاء، ولو قال: شهدت (بصيغة الماضي) لم يكن إنشاء[3]. وكل هذا بسبب الصيغة اللّغوية التي تعبّر عن فعل الشهادة، وهي ميزة عامة في نظائره، لأنّ"**القرافي**" يقرّر أن فعل البيع (بعتك) وفعل الطلاق ( أنت طالق) تؤثّر صيغها في إيقاعها الإنجازي، ومن ثمّ فهو لا يقول بتوحيد صيغ الأفعال الكلامية كما يذهب إليه "**أوستين**"والمعاصريين[4]. ويقرّ "**القرافي**" أن العكس يقع في الفعل البيعي فيقول: "وعكسه في البيع، لو قال أبيعك لم يكن إنشاء للبيع، بل إخبار لا ينعقد به بيع، بل وعد بالبيع في المستقبل، ولو قال: بعتك، كان إنشاء للبيع، فالإنشاء في الشهادة بالمضارع، وفي العقود بالماضي، وفي الطلاق بالماضي، واسم الفاعل نحو: أنتِ طالق، أنت حر، ولا يقع الإنشاء في البيع والشهادة باسم الفاعل، ولو قال أنا شاهد عندك بكذا، وأنا بائعك بكذا لم يكن إنشاء[5]".

✓ **خلاصة الآراء ومناقشتها:**

تُعتبر نظريات أفعال الكلام من النظريات التي حاولت بحث العلاقة بين اللّغة والاتّصال، إلاّ أنّها واجهت نقدا واسعا، ولقد انتقد "**بول ريكور**"، و"**ميشيل فوكو**"، و"**بورديو**" جوانب من هذه النظرية، ولكنهم أكّدوا جميعا على طابعها الإيجابي. ويرى غيرهم أنّ هذه النظرية في الفكر "الأنجلوسكسوني"(Anglo-Saxon) ليست نظرية كاملة، بل هي بحاجة إلى تعديل مع الإبقاء على جوهرها. أمّا الدّارسون العرب ممّن كتبوا في هذا الحقل المعرفي أمثال:"**محمود**

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، علم اللّغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م، ص:324.

[2]- ينظر، ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد 170/2، دار القلم، بيروت، ط1، 1988.

[3]- القرافي، الفروق، تح محمد أحمد سراج وعلي جمعة، دار السلام للطباع والنشر والتوزيع، القاهرة. ص:1190/04.

[4]- ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط1، 2008م، ص:176.

[5]- ينظر المرجع السابق القرافي، الفروق، ص1189/4 22- يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدّمات عامة، الأردن، ط1، 1989، ص:37.

**نحاة"،و"محمد حسن عبد العزيز"، و"هاشم الطبطبائي"، و"محمد العبد"، و"مسعود صحراوي"**...وغيرهم فإنّهم يعتبرون هذه الدراسة فتحا جديدا. وإثراء للفلسفة اللّغوية، وينبغي الاهتمام به واستثماره في الحقل اللِّساني والتربوي.

وممّا يبدو لنا أنّ هذا الاتجاه قد طرح إشكالات لغوية، وعالجتها الفلسفة التحليلية كإشكالية: كيفية عمل الإنشائيات، وإنجازية الصيغ الملتبسة، ومحاولة إلغاء ثنائية الخبر والإنشاء، واستبدال الوحدة اللّغوية الاتّصالية. هي نفس الإشكالات التي طرحها "**الفارابي**"، "**السبكي**"، "**الدسوقي**"، "**القرافي**"،و"**ابن سينا**"، و"**الرضي الإستراباذي**"، و"**الجرجاني**"، و"**السكاكي**"، و"**ابن باجة**"، و"**الآمدي**". بل قد سبقهم لهذا الإمام "**القرافي**": فهو لا يقول بتوحيد صيغ الأفعال الكلامية، كما يذهب إليه"**أوستين**" والمعاصرين.

وممّا هو ملاحظ أنّ المنطلق في الفلسفة التحليلية هو اللّغة العادية، ولكن الحذر مطلوب كما يقول "**الزواويبغورة**" في كتابه"اللّغة العادية"، لأنّها محمّلة بالأحكام المسبقة وبالأخطاء والأوهام، وهي معدّلة بالمبالغة. وقد أصبحت اللّغة عند "**فتجنشتاين**"(Fetgenstein)بأنّها عبارة عن ألعاب، والتي يصطلح عليها الدارسون العرب باستراتيجيات الخطاب، لأنّ عدم الانتباه إلى قواعد الألعاب اللّغوية يؤدي كما قال "**فتجنشتاين**" إلى سوء استخدام اللّغة.

## 2) بحث الأسلوبية:

### 1.2) مفهوم الأسلوبية:

قبل الخوض في دراسة التطوّر الأسلوبي، ينبغي الإشارة إلى العلاقة التي تربط بين مصطلحي الأسلوب والأسلوبية.فإذا نظرنا إلى الترتيب التاريخي لمصطلح الأسلوب والأسلوبية، نجد أن مصطلح الأسلوب (lestyle)قد ظهر منذ القرن الخامس عشر، أمّا مصطلح الأسلوبية (lastytique) فقد ظهرت في بداية القرن العشرين، ودلّ على ذلك المعاجم التاريخية في اللّغة الفرنسية، وكان يقصد به (النظام والقواعد العامة) مثل الأسلوب الموسيقي أو الأسلوب الكلاسيكي(...)وغيرها. لذا تعتبر الأسلوبية ذات ارتباط وثيق بالأسلوب، فهي تُطلق على جملة المبادئ والمعايير الكبرى التي تحتكم إليها في الأسلوب وتحليله، فهي أوسع من الأسلوب، ومن جملة الأساليب تتكوّن الأسلوبية، ومع ذلك يختلف استخدام المصطلحين لاقترابهما وتداخلهما، غير أنّ الأسلوب تحدّد دائرته ووظيفته التي ساهمت في تحويل الأسلوبية إلى علم خاص بدراسة الأساليب.

رغم هذا التعدّد المصطلحي فنجد هناك من صرّح بأنّ مصطلح (علم الأسلوب) مرادف لـ (الأسلوبية) ومنهم من فرّق فقال:( علم الأسلوب يقف عند تحليل النّص بناءا على مستويات التحليل وصولا إلى علم بأساليبه، أمّا الأسلوبية فهي تتجاوز النّص المحلّل إلى نقد تلك الأساليب المتوصّل إليها بناءا على منهج من مناهج النّقد المعروفة[1].فالأسلوبية في المفهوم الغربي حسب قول "**غراهام هوف**"(Graham Huff ): "يعدّ "**شارل**

[1]– يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدّمات عامة، الأردن، ط1، 1989، ص37.

**بالي**"(Charles Palley)بأنّه هو المبدع الحقيقي لمصطلح علم الأسلوبية، ولكنه لم يقصد به دراسة الأسلوب الأدبي، فقد بحث في علاقة اللّغة بالفكر والجوانب العاطفية في لغة الشخص العادي".

كما يشير"**شارل بالي**" في دراسته أن "للأسلوبية على أساس لغوي رصين، ورثه عن أستاذه، فالأسلوبية لازالت تعتمد في الآن على معطيات ألسنية"[1]. في حين **بيير جيرو**(guireau): يعتبر أنّ " أسلوبيات"**شارل بالي**"، تعني دراسة القيمة الأسلوبية للأدوات التي يستفيد منها في التفكير، ليعبّر عن السمات الخاصة لمختلف أدوات التعبير داخل اللّغة، أمّا فيما يخص الحالة الثانية فهو ينظر إلى هذه الأدوات من خلال علاقتها بالفرد نفسه والطريقة التي يعبّر بها عن أفكاره"[2]. تبدو أنّ رؤية "**شارلي بالي**"أنّنا سواء نظرنا إلى اللّغة من زاوية المتعلّم، أو من زاوية المخاطب حين تعبّر عن فكرة معينة، فهي تمرّ بموقف وجداني، كالأمل، أو الترجّي أو الصبر، أو الأمر. فهنا الأسلوبية من منظوره هي تلك القدرة العاطفية والتعبيرية التي تتجمّع وتتشكّل في معطى متآلف، بواسطة الأداء الكامن في بنية اللّغة بذاتها، حيث تتشكّل طاقتها المبعثرة وتتواجد عناصرها، ومن جميع ذلك تصبح العلاقات اللّغوية في النّص كله مجسّدة لمعنى الأسلوب. إذن فأسلوبيتةقد أعطت قيمة للجانب الوجداني وأهملت الحقل الأدبي.

ومن هذا المنطلق فقد ذهب "**ليوسبزر**" (leospizer)(1887-1960) إلى أنّ الأسلوبية تحلّل وظيفة العناصر اللّغوية، كما يكثفها الانزياح وبالتالي يرى أنّ علم اللّغة هو الجسر الموصل إلى تاريخ الأدب، فقد تولّد على يد "**ليوستزر**" منهج أسلوبي يمكن أن نطلق عليه تيار الإنطباعية (impressionism) فكل قواعده العملية منها والنظرية قد أُغرقت في ذاتية التحليل وابتعدت عن علماتية البحث الأسلوبي، بالتالي لقد نالت الأسلوبية المكانة اللائقة بفضل هؤلاء رغم تعدّد وتشتّت الآراء في تحديد مفهومها ولا تكتمل نظرتنا إلى هذا المصطلح إلّا بالإشارة إلى مفهومها عند النّقاد العرب.

أمّا الأسلوبية في المفهوم العربي أو بتغير آخر في التّراث العربي، أصبح من الصعب ضبط مفهوم دقيق لهذا المصطلح، وذلك لكثرة الباحثين والنقاد الذين ساهموا في تطويره،"**فعبد السلام المسدي**"يعرّف الأسلوبية(Stylistique) انطلاقا من محاور ثلاثة: المخاطب أي "صاحب الأدب" والمخاطب متلقي الأدب والخطاب النّص الأدبي، وقد انطلق في تعريفه للأسلوبية من مفهوم الغربيين، فقد كانت تعريفاته محالة إلى مصادر الغربية، وبهذا فقد بدأ تعريفه بداية لسانية[3]. فتعريفه لها يراها بأنّها :"هي علم تحليلي تجريدي يرمي إلى إدراك موضوعي في حقل إنساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك الألسني ذا مفارقات عمودية"[4].ولهذا يعدّ "**عبد لسلام المسدي**"من الرعيل الأوّل من الباحثين الأوائل اللّذين أوجوا لمصطلح الأسلوبية، والملاحظ على طريقته

[1]- سامي محمد عبانبة، التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، ص286.

[2]- رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعية، عنابة، د ط، د ت، ص52.

[3]-ابراهيم خليل، اللِّسانيات ونحو النص، دار الميرة، عمان، الأردن، 2007.

[4]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسوب، دار سعاد الصباح، ط04؛1993 ص:33.

في التعريف بالمصطلح، فإنها مليئة بالزخم المعرفي والعمق الفلسفي، ما يستوجب البحث عن معجم يفسّر كل كلمة في التعريف.

ومن جهة أخرى نجد "منذر العياشي" يرى بأنّها هي:"علم يدرس اللّغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها أيضا علم يدرس الخطاب موزّعا على مبدأ الأجناس، ولذا موضوع هذا العلم متعدّد المستويات، مختلف الاهتمامات، متنوّع الأهداف والاتجاهات[1].وعليه فإنّ مفهوم الأسلوبية لم ينحصر عند هؤلاء النّقاد العرب، بل تجاوزه إلى أدباء ونقاد آخرين عالجوا المفهوم الأسلوبي بآراء مختلفة.

**2.2) نشأة الأسلوبية:**

تعود نشأتها واكتمالها إلى التطوّر الذي طرأ على علم اللّغة منذ بدايات القرن العشرين، إذ البداية الحقيقية لعلم الأسلوب كانت مع "**دي سوسر**"(f.dessousur) الذي أسّس علم اللّغة الحديث وفتح المجال أمام أحد تلامذته ليؤسّس لهذا المنهج "**شارل بالي**"(chorlesbolly) مؤسّس علم الأسلوب الفرنسي من خلال كتابة بحث في الأسلوبية الفرنسية (destylistiquefroncaistrate) سنة(1902). وبما أنّ ألسنية "**دي سوسير**" قد أنجبت أسلوبية "**بالي**" فإنّ هذه الألسنية نفسها قد ولدت الهيكلة التي احتكّت بالنّقد الأدبي فاحصا معا شعرية "**بالسون**"(Palson) وإنشائية **تودوروف** (todorov). وبما أنّ إدراك حدود الدائرة الأسلوبية نبّه إلى أهمية الأسلوب وفتح الطريق أمام تلاميذ "**شارل بالي**" من أمثال:"**جول ماروزو**"(Jules Marozo) **وماريبل كرسو**(m.cressot)لدراسة الأسلوب الأدبي، لأنّ الأسلوبية نشأت من خلال البحث عن الطرائق الخاصة للمتعلّم في بناء الجمل والربط بينهما، والصيغ المستعملة، وإختيار أدوات لغوية معيّنة دون غيرها[2].

وفي سنة (1965) إزداد الألسنيون إطمئنانا إلى شراء البحوث الألسية وإقناعا بمستقبل حصيلتها عندما أصدر **تازفيان تدوروف**(t.todoton) أعمال الشكليين الروس مترجمة إلى الفرنسية[3]. وعليه فإن نشأة الأسلوبية كانت في ظلّ الدراسات اللّغوية واللّسانية، وهي ذات إرتباط وثيق بهما.

**3.2) مبادئ الأسلوبية:**

لقد عرف علماء العربية الانزياح(L'écart) في ظلّ المعنى المفهومي للعدول والتوسّع والاتّساع، ولعلّ حديث "**الجرجاني**" عن فاعلية الاستعارة كان قريبا من مصطلح الانزياح، فيكون الأسلوب بذلك ناطق الأفكار قاطبة، يبعث بها القارئ حتى تصير محلا تنتسب إليه[4]. أمّا الانتقال إلى مفهومه عند العرب المعاصرين فنجد أنّالانزياح عند "**صلاح فضل**": هو الانتقال المفاجئ للمعنى. أمّا الناقدة"**يمني العيد**" فترى: أنّ الانزياح هو الانحراف باتجاه الاختلاف(...)

[1]– منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، 2002، ص27.

[2]– يوسف أبو العدوس، الأسلوبية –الرؤية والتطبيق–، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ، ص37.

[3]– يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص240.

[4] – يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص192.

أسلوب بالنظر إلى العلاقة الكامنة بين اللّغة والمعيار، وإمّا خروج على الاستعمال المألوف وإمّا الخروج على النظام اللّغوي[1].

أمّا **ريفاتير**(m.roffeter)فقد إعتمد على مفهوم الانزياح في تحديد الظاهرة الأسلوبية، فهو يعرّفه بأنّه انزاح عن النمط التعبيري المتواضع عليه أو أنّه تقيّد وتصنيف لهذا المعيار بالاستعانة بقول عُدّ إضافيا. فمن خلال هذه التعريفات يتّضح أنّالانزياح أو الانحراف هو الخروج عن المألوف المعتاد في الكلام العادي بين الأفراد في المجتمع، والاتجاه نحو صيغة كلامية تبعث الإيحاء وتحت علة التأويل، وبالتالي خلق التوتّر والاستغراق في حالة التأثر ومحاولة الشرح، وكما يسمّيه بعض الباحثين بـ:مواطن الخروج على المستوى العام الذي عليه الاستعمال العادي لّلغة[2].

### 1.3.2) مبدأ الإختيار:

يعدّ مبدأ الاختيار من أهم علم الأسلوب، إذ أنّه يقوم على تحليل الأسلوب عند المبدع، وهي العملية التي يقوم بها هذا الأخير، عندما يستخدم لفظة من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه، فاستخدام هذه اللّفظة من بين سائر الألفاظ هو ما يسمى اختيارا، كما يسمى استبدالا، أي أنّه استدل كلمة بغيرها لمنسبتها المقام والموقف[3]. ويتّصل بهذا المبدأ شيء آخر هو ما يسمى بـ: محور التوزيع، أو العلاقات التركيبية ويقصد بها تنظيم وتوزيع الألفاظ المختارة وفق قوانين اللّغة وما تسمح به من تصرّف، وهذه العملية هي التي يسمّيها "**جاكسون**" إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع.ومن هنا يمكننا القول أنّالاختيار مرتبط بالمبدع والتغيير، فهو ترجمة لقدرة المؤلف على انتقاء ما يناسب تغييره في سبيل نسخ التراكيب.

### 2.3.2) مبدأ التركيب:

لقد اعتبر النقّاد العرب الأسلوب تركيبا لغويا ذا قيمة جمالية وفنية، وهذا التركيب يحوّل الخطاب الأدبي إلى عمل فني من خلال وحدته وانسجامه الداخلي، وهذا ليقف مع مفهوم الأسلوب المبني على أساس لسانيات النّص وطريقة لبناء النّص. وقد اعتنى علماء العرب القدامى بفكرة أهمية التركيب، "**فعبد القاهر الجرجاني**" يقول: أنّ:"الكلام لا يستقيم ولا يتحصل منافعه التي هي عبارة عن دلالات تعبّر على المقاصد إلّا بمراعات أحكام النحو في الإعراب والترتيب الخاص[4].

وكما يتمّ التركيب أو ما يُعرف بالتأليف على أساس التشابك بين المتواليات والتقارب بين العناصر المتجاورة، والهدف من التأليف النحوي أن يتمّ التوافق بين المعاني النفسية المراد التعبير عنها، وطريقة الأداء اللّغوي لها عن طريق

[1]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص163.

[2] -إبراهيم محمد،الضرورة الشعرية،دراسة أسلوبية،دار الأندلس،لبنان،بيروت،ط3، 1983،ص09.

[3]-عبد السلام المسدي،الأسلوب والأسلوبية، دار سعاد الصباح،ط04؛1993،ص134.

[4]- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،تحمحمد الإسكندري،م مسعود،دار الكتاب العربي،ط2، 1998،ص61.

القيم النحوية التي تراعى خلال تأليف العبارة، وباختبار المتكلّم أو الكاتب لأدوات تعبيرية من الصيد المعجمي للّغة ثم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرّف عن الاستعمال[1].

### 3.2) اتجاهات الأسلوبية:

تنوّعت المدارس الأسلوبية وتفرّعت مباحثها واتجاهاتها حتّى بات من الصعب حصر فروعها، ومع ذلك تحدّث الدارسون عن اتجاهين كبيرين يندرج تحتهما العديد من المدارس والاتجاهات الأسلوبية هما: الاتجاه الجماعي الوضعي أو أسلوبية التعبير والاتجاه الفردي أو الأسلوبية التأصيلية.

### 1.3.2) الأسلوبية التعبيرية:

لقد ارتبط مفهوم الأسلوبية التعبيرية أو الوصفية بالعالم "**شارل بالي**" (1865-1947) كما اعتمد هذا السويسري" سوسير" في تشكيل أسلوبيته التعبيرية على أرضية معرفية يمكن استجلاء معالمها في النقاط التالية:

- اعتماده على المنجزات الكبيرة التي حقّقتها اللِّسانيات الوضعية، واللِّسانيات السويسرية في دراسة اللّغة[2].
- اعتماده على مبدأ **دي سويسر** في تفريقه بين اللّغة والكلام، وإن اختلفت رؤى كل منهما في ذلك، إذ اعتاد "**دي سوسير**" بدراسة اللّغة المشتركة كممثّل للنظام اللّغوي.
- اعتماده على النظرة اللّسانية الحديثة في توجّهاتها المنهجية نحو إضفاء صفة العلمية على دراسة الظواهر اللّغوية بأشكالها كافة، حيث حاول **شارلي باي** استثمار هذه النظرة وإضفاء تلك الصفة على أسلوبيته[3]. وقد لجأ إلى تبويب أسلوبيته على نوعين: الأسلوبية الخارجية أو المقارنة، والأسلوبية الداخلية، فالأولى دراسة الخصائص العامة للّغة ومقارنتها بخصائص لغة أخرى، أما الثانية فتعني دراسة العلاقة القائمة بين القول والفكر لدى القارئ والسامع.

### 2.3.2) الأسلوبية الإحصائية:

وهي امتداد للأسلوبية التعبيرية، وقد استحسن هذا كثيرون دخول الدراسة الإحصائية إلى علم الأسلوب بوجه عام باعتبار البعد الإحصائي في أي علم يعدّ أحد المعايير الموضوعية، وترجع أهمية الإحصاء إلى كونه منهج يحقّق بعدا موضوعيا بواسطته يمكن تحديد الملامح الأساسية للأساليب، والصفات التي ترد في النّص ورودا عشوائيا[4]. كما أنّ من الدوافع الرئيسية لاستخدام الإحصاء في الدراسات الأسلوبية هو إضفاء موضوعية معينة على الدراسة نفسها، وكذلك محاولة تخطي عوائق تصنّع من استجلاء مدى رفعه أسلوب معيّن، أو حتى تشخيصه.

### 3.3.2)الأسلوبية البنائية:

[1] – أماني سليمان داوود،الأسلوبية والصوفية،ص30.

[2]– شكري محمد عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1985، ص23..

[3]– جورج مونيهن، الأسلوبية، تر بسام بركة، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د ط، 1999، ص125.

[4]– يوسف أبو العدوس، الأسلوبية –الرؤية والتطبيق–، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ ، ص152.

تؤمن الموضوعية بأنّه لا وجود للموضوع في الأدب إلّا من خلال البنى التي تظهر في ثوب لغوية وصورية وعلاماتي، عكس الأسلوبية التي تؤمن بوجود الموضوع في النّص الأدبي، لكنها تسلم بمشروعيته من خلال نسيجه اللّغوي[1]. وهنا استمدّت الأسلوبية من هذا البنيوي إنطلاقا من اهتمام البنيويين بمصطلح البنية(Structure)، ومن هؤلاء البنويين نجد **رومان جاكسون**(R.JAKBSON) وغيرهم من الشكلايين من الروس، وبكل هذه الجهود فقد ساعدوا على تأسيس الأسلوبية البنائية. وقد ركّزت هذه المدرسة على النقاط التالية:

- ✓ تنطلق هذه المدرسة من مبدأ أنّ الأسلوبية تتطلب القارئ النموذجي والسياق الذي يفاجئه.
- ✓ لا يمكن إنكار أي قيمة أسلوبية لبنية النّص مهما كانت بسيطة القيام بعملية الإختيار أثناء التحليل الأسلوبي بجمع ذوات السمات الأسلوبية[2].

**4.3.2) الأسلوبية التأصيلية**:وقد اشتملت الأسلوبية التأصيلية على أهم اتجاهين وهما:

– **الأسلوبية الإجتماعية: ويعد** الباحث الفرنسي **هنري مريبو** (H-MOURIER) منأبرز رواد هذا الاتجاه، حيث سعى في كتابه سيكولوجية الأدب الذي نشره سنة(1959)إلى اكتشاف رؤية الملف الخاصة للكون من خلال أسلوبه، وقد استند في اكتشاف هذه الرؤية على خمسة تيارات كبرى وهي القوة، الإبداع، الرغبة، الحكم، والتلاحم، وهي الأنماط التي تشكّل نظام الذات الداخلية[3].

– **الأسلوبية الأدبية**:ومّما يعدقطب هذه المدرسة العالم النمساوي **ليو سيبتزر** (leospitzet) وتلميذه العالم اللّغوي الألماني **كارل فوسلر**(K.VOSSLER) وقد اسهمت كتبه أهمها: دراسات في الأسلوب عام (1928) والأسلوبية والنّقد الأدبي في بلورة الاتجاه النفساني في البحث الأدبي[4].ومنأهم ما يميّز بحوث هذه المدرسة:

– أنّها تتجاوز البحث في أوجه التركيب اللّغوي ووظائفه في النسيج اللّغوي.

– المنهج النفساني ينبع من الإنتاج وليس من مبادئ مسبقة يسقطها الناقد على النّص.

– الإنتاج الأدبي نسيج متكامل والبحث ينصب الالتحام الداخلي في نفس الكاتب.

– تحكيم الحدس في البحث عن محور العمل الأدبي، وهذا الحدس يستند إلى الموهبة والتجربة[5].وقد استطاع"**ليو سيبتزر**"برؤيته هذه أن يُحدث انقلابا فكريا في تاريخ اللِّسانيات والنّقد..

---

[1]– عبد السلام المسدي، آليات النقد الأدبي، دار الجنوب، تونس، 1994، ص74.

1. سعيد حسين، دراسات لغوية تطبيقية، زهراء الشرق، القاهرة، 1999، ص33.

2. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، ص:66.

3. عبد السلام المسدي،الأسلوب والأسلوبية، ص:248.

**هوامش البحث :**


1. ابراهيم خليل، اللِّسانيات ونحو النص، دار الميرة، عمان، الأردن، 2007.
2. إبراهيم محمد،الضرورة الشعرية،دراسة أسلوبية،دار الأندلس،لبنان،بيروت،ط3، 1983.
3. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث.
4. أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية.
5. جورج مونيهن، الأسلوبية، تر بسام بركة، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د ط، 1999.
6. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج 2، دار القلم، بيروت، ط1، 1988.
7. رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعية، عنابة، د ط، د ت. 8
8. الزواوي بغورة، الفلسفة واللّغة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.
9. سامي محمد عبانبة، التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث.
10. شكري محمد عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1985.
11. الطاهر لوصيفي، التداولية اللّسانية، مجلة اللّغة والأدب، ع17، جانفي 2006م.
12. طلب هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م.
13. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000م.
14. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسوب، دار سعاد الصباح، ط04؛1993 .
15. عبد السلام المسدي، آليات النقد الأدبي، دار الجنوب، تونس، 1994.
16. عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،تحمحمد الإسكندري،م مسعود،دار الكتاب العربي،ط2، 1998.
17. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللّساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011م.
18. القرافي، الفروق، تح محمد أحمد سراج وعلي جمعة، دار السلام للطباع والنشر والتوزيع، القاهرة.
19. محمد حسن عبد العزيز، علم اللّغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م.
20. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط1، 2008م.
21. منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، 2002.
22. نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللّغة والأدب ع 17/جانفي 2006م.
23. نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللِّسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.
24. يوسف أبو العدوس، الأسلوبية –الرؤية والتطبيق–، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ.
25. يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدّمات عامة، الأردن، ط1، 1989.

# ثنائية الافتقار والاستغناء بين العناصر اللغوية في العربية
## مقاربة في تماسك بناء اللغة العربية

**د. سليمان بوراس**
**جامعة محمد بوضياف– المسيلة**

اللغة العربية لغة تزخر بكثير من الظواهر التي تستدعي توقف الدارس ليدرس و يستمتع، وبعض هذه الظواهر يتعلق بمستوى الصوت، و يتعلق بعض آخر بمستوى الكلمة في حين يتعلق جزء آخر بمستوى التركيب، ففي الجانب الصوتي تستوقفنا ظواهر التنغيم والنبر والوقف والإمالة، وغير ذلك مما لا يسع المقام للحديث المفصل فيه، وأما الظواهر الصرفية فمنها ظاهرة القلب وظاهرة الإبدال وظاهرة الإدغام، وكلها مما لقي عناية كبيرة في الدراسات اللغوية قديما وحديثا، أما الظواهر التركيبية فمنها ظاهرة الافتقار وظاهرة الاستغناء وظاهرة النيابة و هذه الظواهر تناولها الأقدمون مفرقة في الأبواب النحوية وفي المسائل الصرفية، ونود في هذه الوقفة العجلى أن نلفت النظر إلى تلك العلاقات والروابط التي تتصف بها العناصر اللغوية،و كيف ان في العربية هذه الثنائية الضدية بين الافتقار والاستغناء كما أن فيها ظاهرة أخرى تدعونا للتوقف وللاستمتاع بلغتنا الفريدة النظم

من الظواهر التي تزخر بها العربية ظاهرة الأولى ظاهرة الافتقار، فكثير من المواضع النحوية نجد أن العناصر اللغوية يحتاج بعضها إلى بعض من أجل أن يتم تركيب الكلام وفق النسق الذي تريده اللغة وترضاه، وهذا الأمر دليل قاطع على صورة التلاحم والتضافر التي توجد بين عناصر اللغة، ومن خلال ذلك يمكن لنا أن نقول: إن هذا الأمر يمكن أن يكون واحدا من المؤشرات الدالة على التماسك النصي أو على الأقل على الاتساق اللغوي للنص، إذا تجاوزنا الحيث عن مستوى اللغة إلى مستوى اللسانيات النصية، والافتقار بين العناصر اللغوية العربية نوعان متأصل وغير متأصل، فالافتقار المتأصل يتجلى في أشكال عدة ويتعلق بالعناصر اللغوية التي لا يمكن أن ترد مفردة معزولة في التركيب اللغوي، لكننا عند ما نريد أن ندرس هذه الألفاظ جاز لنا أن نفردها، ونعزلها عن التركيب فهو إذاً يتعلق بالعناصر اللغوية التي لا يصح إفرادها في الاستعمال، وإن صح ذلك عند إرادة الدراسة والتحليل "كافتقار الجار إلى المجرور وحروف العطف إلى المعطوف"[1]، ومنه الافتقار الجملة الواقعة خبرا إلى رابط، إذ إن الضمير الرابط للجملة بما تعود إليه أمر نحوي لافت للنظر، نجده في الجملة الواقعة خبرا، وفي أنواع أخرى من الجمل ذوات المحل وغير ذوات المحل، وإنما اشترط النحاة هذا الترابط حتى لا يبدو أبدا أن المبتدأ والخبر منفصل بعضهما عن بعض، ولا يتبادر إلى

1 – نادية رمضان النجار، أبحاث نحوية وبلاغية، ص:23، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية مصر 2006.

الذهن أن الجملة الخبر مستقلة عن المبتدأ ولولا هذا الضمير الرابط لكان في الكلام شيء من التفكك[1] وخشية ذلك التفكك، وحتى لا يكون الكلم متقطع الأوصال، أوجبت العربية هذا الضمير ليكون رابطا، "فكان أن لا بد في الجملة الواقعة خبرا من ذكر يرجع إلى المبتدأ" [2] و" الواجب في جملة الخبر أن يكون فيها ضمير عائد على المبتدأ"[3] " اللهم إلا أن تكون الجملتان بينهما امتزاج معنوي وتكون الثانية موضحة للأولى مبينة لها "[4] ففي هذه الحال تستغني الجملة عن الرابط، ومن الافتقار أيضا افتقار الجملة الواقعة حالا إلى رابط،فالحال الجملة تركيب لغوي يأتي بعد معرفة ودوره تبيين هيئة هذه المعرفة حين ملابسة الفعل، والنحاة اشترطوا للجملة الواقعة حالا أن تكون مشتملة على رابط يربطها بصاحبها ليكون المعنى متصلا بين الجملتين، " ولولا الرابط لكانت الجملتان منفصلتين لا صلة بينهما" [5] " فلا تجد بدا من الواو، كما لا تجد بدا من الضمير...من أجل الربط"[6] " ولو انعدم هذا الضمير أساسا أو افتقد شرط المطابقة بينه وبين صاحب الحال لانحلت عرى التركيب وأصبح مفكك الأجزاء غير مفهوم" [7] وفي ذلك قال السيوطي مؤكدا هذه الحقيقة ومؤيدا هذه النظرة :" لا بد للحال الجملة من رابط يربطها بصاحبها، ورابطها إما الواو أو الضمير أو كلاهما "[8] ،و"الجملة حينما يكون رابطها بصاحبها هو الواو، فإن ذلك إنما جاز من قِبَلِ أن الواو أغنت عن ذلك بربطها ما بعدها بما قبلها، فلم تحتج إلى ضمير"[9]، ومنه افتقار الجملة الواقعة صفة إلى رابط، فقد أكد النحاة القدماء منهم والمحدثون أن جملة الصفة لابد لها من الضمير الرابط ولا يربطها غيره، فابن يعيش يقول: "لأن الصفة كالخبر فكما لا بد من عائد إلى المبتدإ إذا وقعت خبرا، كذلك لا بد منه في الجملة إذا وقعت صفة"[10]، وقال السيوطي في الأشباه والنظائر: "جملة الصفة لا يربطها إلا الضمير"[11] فهو يوجب لها الربط ويحدد الرابط بالضمير فقط، وقال ابن عقيل : "لابد للجملة الواقعة صفة من ضمير يربطها بالموصوف"[12] يجعل الكلام والمعنى

1 – محمد عبد اللطيف حماسة ، بناء الجملة العربية ، ص: 106، دار غريب ، القاهرة مصر 2003.

2 – الزمخشري ، المفصل ، ص: 54،تحقيق ،إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1999، انظر أيضا : ابن يعيش، شرح المفصل ، ج 2 ، ص: 241 ، الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،2001.

3 – فخر الدين قباوة ، إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص: 146، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، 1981 .

4 – العلوي ، الطراز ، ج 2 ، ص: 45 ،تحقيق جماعة من العلماء ، دط، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،دت .

5 – عباس حسن ، النحو الوافي ، ج 2 ، ص: 395 ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف مصر ، 1980.

6 – العلوي ، الطراز ، ج2، ص: 45

7 – دكتور شعبان صلاح، الجملة الوصفية في النحو العربي، ص: 227، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر 2004.

8 – السيوطي، الأشباه والنظائر، ج 1، ص: 248، تحقيق فايز ترحيني، الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1996.

9 – ابن يعيش، شرح المفصل، ج 2 ، ص: 24

10 – نفسه ، ج 2، ص: 241

11 – السيوطي، الأشباه والنظائر، ج 1، ص: 248

12 – ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج 2 ، ص: 206، تحقيق حنا الفاخوري الطبعة الخامسة ، دار الجيل ، بيروت لبنان .

متماسكين متصلين ولذا يسمى الرابط، ويكون الضمير ظاهرا ،لأن الجمل إذا وقعت موقع الصلة أو الصفة لا بد لها من ضمير رابط يعود منها إلى صاحبها ،"يوثق العلاقة بينه وبين التركيب الوصفي كله، ولو انعدم هذا الضمير الرابط ما صحت العبارة و لا فهمت" [1]، ومنه افتقار الجملة الواقعة صلة إلى رابط، فجملة الصلة هي الجملة التي يسبقها اسم موصول، يفتقر إلى جملة تأتي بعده لتزيل إبهامه، "ولا بد في كل جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول، ويؤذن بتعلقها بالموصول[2]، وجملة الصلة لا يربطها غالبا إلا الضمير [3] وهذا الضمير يسمى العائد أو الرابط[4] ، هذه صور الافتقار في الجمل.

وللافتقار المتأصل حضور في الأسماء أيضا ومن صوره افتقار الضمير إلى مفسر، فالضمير في الحقيقة ما هو إلا إحالة إلى المسمى الحقيقي الموجود في الكون ولذلك فإننا إذا استعملنا التعبير بالضمير فإن المستمع أو القارئ سيكون مرغما على البحث عن المرجع، لأن هذا الضمير مفتقر إلى المفسِر، "فالضمير باعتبار الخصائص الدلالية اسم ناقص يفتقر إلى اسم تام يفسره، إذ يقرض للضمير الذي يطابقه ما له من الخصائص الدلالية" [5]، ولما كان الضمير دليلا على اللفظ المتروك، فإن الواجب أن يكون بينه وبين المرجع تطابق من حيث النوعُ والعددُ، فلا يجوز أن يكون التنافرُ بين هذين أبدا، وهذا ما يؤكده محمد الأوراغي في الوسائط اللغوية قائلا: " الضمير بوصفه علامةً على الاسم المتروك إظهاره بيانا واختصارا يلزمه أن يكون مطابقا للاسم المعود عليه"[6]، ومن الافتقار المتأصل في الأسماء أيضا افتقار الأسماء الموصولة إلى الصلة فالموصول " هو ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية أو ظرف أو مجرور تامين أو وصف صريح وإلى عائد أو خلفه"[7] و" الموصول الاسمي ما لا يتم المعنى بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده، تصله به ليتم اسما، فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة"[8] وفي سبب تسمية (الذي والتي ومن وما) أسماء صلات يقول ابن

1 – دكتور شعبان صلاح ، الجملة الوصفية في النحو العربي ، ص: 226.

2 – ابن يعيش، شرح المفصل ، ج2، ص: 389، انظر :أيضا فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص: 109 ، انظر: ممدوح عبد الرحمان الرمالي، العربية والوظائف النحوية، ص: 238، دار المعرفة الجامعية مصر1996

3 – السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج 1، ص: 248.

4 – عباس حسن، النحو الوافي ، ج1، ص: 376.

5 – محمد الاوراغي، الوسائط اللغوية، ج1، ص : 233، الطبعة الأولى، دار الأمان الرباط المغرب 2001.

6 – نفسه، ج1، ص : 234

7 – ابن هشام ، شرح شذور الذهب ، ص : 174، تحقيق ،محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة مصر 2004.

8 – ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 2 ، ص: 371، انظر: ابن الناظم ، شرح ألفية ابن مالك ، ص: 31، تحقيق محمد بن سليم اللبابيدي ، دط ، انتشارات ناصر خسرو ، بيروت لبنان دت.، انظر: صالح الكشو ، مظاهر التعريف في العربية ، ص: 138، ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بصفاقص ، تونس 1997.

الأنباري :" لأنها تفتقر إلى صلات توضحها وتبينها لأنها لم تفهم معانيها بأنفسها [1] شبه الاسم للحرف في الافتقار اللازم وذلك نحو بناء الأسماء الموصولة لأنها مفتقرة دائما إلى الصلة"[2]، ومنه افتقار الصفة إلى الموصوف فالصفة لفظ تابع لاسم سابق تطلق حكما نحويا عليه، ولذلك فمن غير المعقول أن تكون الصفة دون وجود الموصوف، أي أنه لا بد من وجود أصل الوصف الذي هو الاسم المعني ثم بعد ذلك يبحث عن الصفة، التي تعد أمرا طارئا على التركيب، وعدم وجود الموصوف في التركيب يعني تحول الصفة إلى عمدة في الكلام، والأصل أنها ليست كذلك، قال سيبويه وهو يتحدث عن النعت المجرور:" فصار النعت مجرورا مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد "(3)، ومنه افتقار البدل إلى المبدل منه، فإذا كنا قد ذكرنا في باب الصفة حاجة التركيب إلى الموصوف أولا لأنه الأصل، كذلك نقول عن البدل، إذ لا بد من وجود المبدل منه أولا ثم وجود البدل، لأن المبدل منه أصل والبدل فرع عن أصل، والبدل محتاج في التركيب النحوي إلى ما يبينه أو يؤكده أو ينوب عنه، و يكون تابعا له في الإعراب[4] ففي قولنا :أعجبني الكتاب موضوعاته، كانت كلمة (موضوعاته ) بدل اشتمال من الكتاب، ووجود هذه الكلمة مرتبط أصلا بوجود كلمة (الكتاب)، فكانت بذلك مفتقرة إليها، ومن صوره افتقار المميز إلى التمييز : ذلك لأن "المميز مبهم لا يحقق الفائدة التعبيرية إلا إذا كان له معمول يعين نوعه" [5]، يقول ابن السراج : " اعلم أن الأعداد كالمقادير تحتاج إلى ما يميزها كحاجتها " [6] أي إن الأعداد وهي المميَزُ مفتقرة محتاجة إلى التمييز الذي يزيل عنها إبهامها كحاجة ألفاظ المقادير من كيل أو وزن أو مساحة إلى التمييز " ولما كان الغرض بالتمييز رفع الإبهام، وكان الإبهام بعد العدد والوزن والكيل والمساحة أكثر منه بعد ما سوى ذلك قوي داعي التمييز مع هذه فوقع بعدها أكثر من وقوعه بعد غيرها" [7]

كما أن للافتقار المتأصل حضورا في الأفعال و من صوره افتقار الفعل القاصر إلى الحرف في التعدية فالأفعال في العربية نوعان لازمة ومتعدية، والفعل اللازم هو ما اكتفى بالمرفوع ولم يحتج إلى المنصوب أما الفعل المتعدي فهو ما لم يكتف بمرفوعه واحتاج إلى المنصوب، غير أن الأفعال المتعدية ليست لها القدرة جميعا للتعدي بنفسها بل تحتاج إلى

1 – الأنباري، أسرار العربية ، ص: 263 ، تحقيق ، بركات يوسف هبود ، الطبعة الاولى ، دار الأرقم بيروت لبنان1999.

2 – أحمد حسن حامد ، التضمين في العربية ، ص: 47، الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم عمان و دار الشروق للنشر و التوزيع بيروت 2001.

3 – سيبويه ، الكتاب ، ج 1 ، ص: 244

4 – فخر الدين قباوة ، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، ص: 152 الطبعة الأولى دار الفكر ، ، بيروت لبنان 2003.

5 – نفسه، ص: 153، انظر أيضا :إبراهيم ابراهيم بركات، النحو العربي، ج 3 ، ص: 268، دار النشر للجامعات، مصر العربية 2007.

6 – ابن السراج، الأصول في النحو، ج 1، ص : 223، تحقيق عبد الحسين الفتلي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1985.

7 – ابن مالك ، شرح الكافية الشافية ، ج 1 ، ص : 344، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى ، دار الكتب بيروت لبنان 2000.

أن تكون مستعينة بالحرف، وقد صنف بعضهم في ذلك ما جمع الأفعال المتعدية بالحرف [1] ومن صور الافتقار في الأفعال افتقار الفعل إلى الفاعل فالاسم أصل في تركيبنا، موجود في الذهن قبل وجود فعله، ولذلك أعطته العربية صفة التقدم بل أعطته قدرة وجوده دون وجود الفعل، لكن الفعل أبدا لا يوجد دون وجود الاسم مذكورا أو مقدرا، ولما كان الاسم هو الأصل، ويستغني عن الفعل، والفعل فرع عليه، ومفتقر إليه كان الاسم مقدما عليه[2] فقولك : صلى محمد؛ فوجود محمد كان قبل أن يوجد الفعل في الواقع، ولما جاء متأخرا عنه لفظا فليس ذلك إلا لنظم الكلام وحسن سبكه، غير أن هذا السبق لا يعطي للفعل والاسم الاستغناء أبدا عن بعضهما في الجملة الفعلية، قال البطليوسي: وكذلك الفعل والفاعل لا يستغني أحدهما عن صاحبه [3]، ومن صوره افتقار الأفعال إلى تاء التأنيث للدلالة على أن الفاعل مؤنث فالفاعل " متى كان ضمير مؤنث حقيقيا أو غير حقيقي لزم التاء في فعله كنحو هند ضربت " [4]، لتؤذن أن المسند إليه الفعلُ مؤنثٌ[5]، غير أنه إذا تقدم الفاعل جاز أن يكون الفعل غير مقترن بهذا الضمير نحو قوله تعالى: ﴿ من بعد ما جاءهم البينات ﴾[6] فعلى الرغم من أن لفظ البينات مؤنث إلا أن الفعل لم يكن مقترنا بعلامة التأنيث، "ويذكر النحاة أن تاء التأنيث تلزم في موضعين: أحدهما أن يسند الفعل إلى ضمير مؤنث متصل سواء أكان المؤنث حقيقيا أم مجازيا مثل: هند قامت والشمس طلعت والآخر أن يكون الفاعل ظاهرا حقيقي التأنيث غير مفصول من الفاعل مثل: قامت هند أما المجازي التأنيث فلا تلزمه التاء مثل: طلعت الشمس وطلع الشمس "[7]

وللافتقار المتأصل أيضا حضور في الحروف و الظروف ومنه افتقار الظروف المضافة إلى جمل فالمضافات منها ما يضاف إلى المفرد ومنها ما يضاف إلى الجملة، وفي العربية ألفاظ لازمة للإضافة ولا تضاف إلا إلى جملة وهي: (حيث وإذ و إذا و يوم و لما )، فأما حيث فتضاف إلى الجملة الاسمية وإلى الفعلية وشذ إضافتها إلى المفرد كقوله :

أما ترى حيث سهيل طالعا  نجما يضيء كالشهاب لامعا [8]

وأما (إذ) فتضاف أيضا إلى الجملة الاسمية وإلى الجملة الفعلية و يجوز حذف الجملة المضاف إليها ويؤتى بالتنوين عوضا عنها، " وأما (إذا) فلا تضاف إلا إلى جملة فعلية ولا يجوز إضافتها إلى جملة اسمية" [1]، وتفتقر إذا إلى

---

1 – ألف في ذلك الشيخ موسى الأحمدي نويوات كتابا سماه معجم الأفعال المتعدية بحرف

2 – الأنباري ، أسرار العربية ، ص : 42، انظر أيضا : ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج 1 ، ص : 202، انظر أيضا : ابن جني ، اللمع في العربية ، ص : 79

3 – ابن السيد البطليوسي ، إصلاح الخلل الواقع في الجمل ، ص 117، تحقيق حمزة عبدالله النشرتي ، الطبعة الأولى ، دار المريخ الرياض السعودية 1979.

4 – السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 143

5 – أبو علي الفارسي ، التكملة ، ص : 86، تحقيق حسن شاذلي فرهود ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984.

6 – سورة آل عمران الآية 105

7 – محمد على أبو العباس ، الإعراب الميسر ، دار الطلائع ، ص : 66، القاهرة ، مصر العربية 1997.

8 – ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج 2 ، ص : 65

معنى الشرط الذي لا بد له من جواب، كما إن الزمن الذي يرافقها هو الزمان المستقبل، قال عنها الهروي :" وتكون ظرفا للزمان المستقبل في معنى الجزاء، ولا بد لها من جواب"[2]، ومنه افتقار حرف الجر إلى ما يتعلق به يكون فيه معنى الحدث فالجار والمجرور "لا بد من تعلقهما بالفعل أو ما يشبهه أو ما يشير إلى معناه، مثال الأول والثاني :أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم(3)، ومثال الثالث: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، لأنه مؤول بمعبود"[4] والجار والمجرور من أكثر الوظائف النحوية ارتباطا بالفعل وتعلقا به، مثله في ذلك مثل الظرف، وقد خصهما الدرس النحوي بمصطلح يدل لفظه على قوة هذا الارتباط وتماسكه وهو التعلق، ومنه افتقار حروف العطف إلى المعطوف وإلى الجهة الجامعة لأن حروف العطف من ذوات مرتبة التوسط، أي إنها لا بد واقعة بين لفظين من جنس واحد، فقد يكون حيز حرف العطف مشكلا من اسمين، عطف أحدهما على الآخر كما قد يكون الحيز مشكلا من فعلين عطف أحدهما على الآخر، وحرف العطف لا يوجد أبدا إلا إذا تواجد له المعطوف والمعطوف عليه فوجودهما ضروري له، غير أن وجوده ليس ضروريا للأول وهو ضروري للثاني، ومن زاوية قريبة فإن العطف أسلوب بلاغي يحتاج إلى أن يكون بين المتعاطفين وجه ترابط واجتماع إذ لولا ذلك لكان الكلام مجرد رصف للألفاظ، وحينها يفقد معناه الذي من أجله جاء، ومن أجل ذلك لا بد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة [5]، ومن صور الافتقار في الحروف أيضا افتقار الجوازم لفعلين إلى حدثين، فجوازم الفعل المضارع نوعان منها ما يجزم فعلا واحدا نحو: لم ولما، ومنها "ما يجزم فعلين بينهما ترابط حدثي والجوازم لفعلين متطلبها حدثان مترابطان مسبب أحدهما عن الآخر قطعا حقيقة أو افتراضا"[6] فلابد من وجود حدثين، ولو مفترضين أي غير حادثين فعلا، ومن هذه الأدوات (إن) وأمثالها، ومن الصور أيضا افتقار ال التعريف إلى الاسم النكرة فلفظ (ال) لكي يكون للتعريف لا بد أن يكون اللفظ الوارد بعده اسما نكرة محتاجا إلى التعريف [7] وهذا حتى نميز بينها وبين (ال)الموصولة التي تلحق الأفعال .

أما الافتقار غير المتأصل فنجده في موضعين: الأول افتقار المبتدأ إلى الخبر، فالمبتدأ لابد له من خبر[8]، والمبتدأ لا يحتاج إلى الخبر من حيث هما لفظان منعزلان بل لأنهما وردا في سياق معين يوجب بينهما تضاما معينا فقولنا مثلا، السماء صافية مبتدأ وخبر، المبتدأ فيها هو لفظ السماء والخبر هو لفظ صافية، وهذان اللفظان قبل أن يردا في هذا

---

1 – انظر : المرجع السابق نفسه ، ص : 67

2 – الهروي، الأزهية في علم الحروف ، ص : 202، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1993.

3 – سورة الفاتحة الآية 07

4 – السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج 1، ص : 286

5 – السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 359

6 – فخر الدين قباوة ، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، ص : 158 .

7 – انظر مثلا : صالح الكشو ، مظاهر التعريف في العربية ، ص : 71 وما بعدها .

8 – ابن السيد البطليوسي ، إصلاح الخلل الواقع في الجمل ، ص : 117

التركيب لم يكن لفظ السماء مفتقرا إلى لفظ صافية ولكن ورودهما فيه جعل المبتدأ في حاجة إلى ما يكمل له المعنى الذي يريده المتكلم، ومن هنا كان الافتقار غير أصيل، لذلك قلنا إن الافتقار المتأصل هو الذي يكون بسبب اللفظ ذاته أصلا أما غير المتأصل فهو الذي يكون بسبب السياق الذي وقع فيه اللفظ، ولو خرج منه لما كان محتاجا، ولا مفتقرا إليه، والموضع الثاني افتقار المضاف إلى المضاف إليه فمن المعلوم أن "مفهوم المضاف مرتبط بمفهوم المضاف إليه ارتباطا وثيقا، لأن كل واحد منهما يكون ركنا أصليا من ركني الإضافة، وعلاقتهما هي علاقة تضاهي علاقة الألف واللام ومصحوبها في التعريف"[1] فلا نستطيع أن نتصور أحدهما دون أن نفكر في الآخر .

هذه الظاهرة ليست الوحيد في العربية فقد رأينا العناصر اللغوية يحتاج بعضها إلى بعض احتياجا متأصلا أو احتياجا غير متأصل بل نجد في العربية ظاهرة نقيضة لهذه التي تحدثنا عنها وهي ظاهرة الاستغناء،و ذلك حين يستغني العنضر اللغوي عن غيره أو عن حاجة ما في التركيب، ومنه استغناء البدل المطابق وعطف البيان عن الرابط، فإذا كنا في حديثنا عن ارتباط الجمل المتعلقة بما قبلها قد اشترطنا لها الرابط فإن بعض التراكيب تستغني عن الضمير الرابط، إلا ذلك الذي يدلنا على تعلق الثاني بالأول كالعلامة الإعرابية، فمثلا البدل المطابق وعطف البيان لا يحتاج إلى رابط لفظي غير العلامة الإعرابية[2] ، ومن الاستغناء استغناء الصفة عن الرابط بالموصوف، وكان عبد القاهر الجرجاني قد تناول هذه النقطة فقال : اعلم أنه كما كان في الأسماء ما يتصل معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه ، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به[3] ومن ذلك نقول: إن الصفة تستغني عن الربط بالموصوف، ومنه استغناء إذا الفجائية عن الجواب فإذا كانت (إذا)الظرفية تفتقر إلى الجواب لأنها تفيد الشرط فإنها إذا كانت حرفية فجائية تستغني عن الجواب، إذ لا حاجة لها فيه فهي حين تكون للمفاجأة تختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء [4].

وليس هذا فقط بل إن بعض العناصر اللغوية ترفض أن يقترب منها عناصر لغوية أخرى، أو أن تكون فيها صفة معينة، وذلك حين يكون التنافر والتنافي أو ما نسميه التضام السلبي، فقد يتنافي الحرف وأن يوجد فيه علامة من علامات الاسم أو الفعل فإذا كانت علامة الاسم كما جمعها ابن مالك هي : الجر والتنوين والنداء وال التعريف والإسناد، فعلامة الفعل :هي قبوله تاء فعلت، وتاء أتت وياء افعلي، ونون التوكيد، فإن الحرف يمتنع له أن يتضام مع واحد من هذه المذكورات، فلا يكون مجرورا لأنه لا يدخل الحرف على الحرف، ولا يكون منونا لأن ذلك صفة الأسماء من أجل التمكين وغيره، ولا ينادى ولا تلحقه (ال) التعريفية ولا يسند إلى غيره كما أنه لا تلحقه علامات الأفعال

1 – صالح الكشو ، مظاهر التعريف في العربية ، ص : 169

2 – محمد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، ص : 190

3 – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص: 242، تحقيق : ياسين الأيوبي ،المكتبة العصرية بيروت لبنان، 2003.

4 – ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج1 ، ص : 153، الطبعة الأولى تحقيق :حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت لبنان 1991.

التي ذكرها ابن مالك، كالاتصال بتاء الفاعل المتحركة ، ولا تاء التأنيث، ولا ياء المخاطبة، ولا نون التوكيد، إذ هذه علامات للأفعال، ومن الصور أن لا يجمع العوض والمعوض، فلا يجتمع العوض والمعوض عنه ففي قولهم: اللهم فيه عوض من حرف النداء [1] وفي قولهم: يا أبت يا أمت التاء فيهما عوض عن ياء الإضافة [2] فلا يجوز إذا أن نقول: يا اللهم، و يكون العوض إما عن جملة نحو يومئذ وإما عن مفرد نحو كل وبعض[3]، ومن صوره أن لا يقع الإعراب في أحرف المعاني، فالحروف أحرف كلها مبنية، ولا يعتورها الإعراب أبدا، وهذا أصل فيها بل إن النحاة نظروا في بناء الأسماء فقالوا إن ذلك متأت من شبهها للحرف، فكيف يكون الحرف معربا .

إن هذه الصور العجيبة خاصة في ظاهرة الافتقار تدعونا إلى أن نعلم أن هذه اللغة عجيبة في صوتها عجيبة في صرفها عجيبة في تريبها، وكل ذلك لم يحرم هذه اللغة من أن تكون مطواعة تتشكل مع كل حال اجتماعية أو نفسية للمتكلم المستعمل، فما يبدو من صرامتها تتنازل عنه مرات فتجير استعمالات تدعونا أيضا إلى تلمس مرونتها ومن ذلك ظاهرة الفصل بين المتضامين، ومنه الفصل بين المضاف والمضاف إليه فعلى الرغم من أننا نجد أن أغلب نحاتنا القدامى كسيبويه والمبرد لا يجيزون هذا الفصل بين المضاف والمضاف إليه، لأن المضاف إليه منزل من المضاف منزلة الجزء منه، لأنه يقع موقع تنوينه [4] إلا أننا نجده واقعا في الشعر العربي، بل نجد أيضا أن بعض النحاة المتأخرين على سيبويه يجعلون كلام صاحب قرآن النحو غير جامع إذ يقول ابن هشام : زعم كثير من النحويين أنه لا يفصل بين المتضايفين إلا في الشعر، والحق أن مسائل الفصل سبع منها ثلاث جائزة في السعة [5]:

إحداها : أن يكون المضاف مصدرا والمضاف إليه فاعله و الفاصل إما مفعوله كقراءة ابن عامر " قتلُ أولادِهم شركائهم ...وإما ظرفه كقول بعضهم : تركُ يوما نفسِك وهواها

الثانية: أن يكون المضاف وصفا والمضاف إليه إما مفعوله الأول والفاصل مفعوله الثاني كقراءة بعضهم " فلا تحسبن اللهَ مخلفَ وعدَهُ رُسُلِهِ

الثالث : أن يكون الفاصل قسما كقولك : هذا غلام والله زيدٍ

والأربع الأخرى تختص بالشعر،

1 – السيوطي، الأشباه والنظائر، ج 1، ص: 160، انظر: ابن جني، اللمع في العربية، ص:175، انظر أيضا: إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي،ج 4، ص39

2 – السيوطي ، الأشباه والنظائر، ج 1، ص : 160

3 – أشواق محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية، ص: 187، الطبعة الأولى ، دار دجلة، عمان الأردن 2006.

4 – إبراهيم إبراهيم بركات ، النحو العربي ، ج 4، ص 397

5 – ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ج 2 ، ص : 226 وما بعدها، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة السادسة دار إحياء التراث ، بيروت لبنان، 1980.

ولعل أفضل ما يمكن أن نقوله في هذا الباب رأي الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف: ولعل الذي نخلص إليه أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه، أو إهدار قرينة التضام بينهما، مما يسمح به لغة الشعر، وقد اختلف النحاة حول ذلك لأن بعضهم أراد أن يفرض لغة الشعر على غيرها، وبعضهم الآخر حاول أن يفعل العكس[1] ومنه قول أبي دحيه النميري:

كما خطَّ الكتابَ بكفِ يوماً  يهوديّ يقاربُ أو يزيلُ [2]

و قد يكون الفصل بين الحرف و الفعل كالفصل بين لن ومنصوبها ، " فحينما تضام لن الفعل المضارع لا يفصل بينهما إلا في الشعر[3] ومنه قول دعبل: (كامل)

لن ما رأيتُ أبا يزيد مقاتلا  أدعَ القتالَ و أشهدَ الهيجاءَ [4]

ومنه الفصل بين لم و مجزومها حين تضام لم مجزومها ولا تفصل عنه إلا في الشعر [5] وقد تفصل من مجزومها للضرورة بالظرف كقوله (وافر ):

فذاك ولم – إذا نحن امترينا  تكن في الناس يدركك المراء[6]

ومنه الفصل بين أداة الشرط و مجزومها، ولا يجيز النحاة الفصل بين أداة الشرط وفعل الشرط ما عدا في الشعر[7] ، ومنه الفصل بين الأعداد و التمييز ، ومنه قول جرير : ( كامل )

في خمس عشرة – من جمادى– ليلةً  لا استطيع على الفراش رقادا

ومنه الفصل بين الجار والمجرور ، فالفصل بين الجار والمجرور أقبح من الفصل بين المضاف والمضاف إليه ومنه[8] : (طويل)

مخلقة لا يستطاع ارتقاؤها  وليس إلى – منها النزول – سبيل

ومنه الفصل بين المتعاطفين نحو " ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾[9] " وأجل مسمى عطف على لفظ كلمةٌ أي لولا أجل مسمى لأعمارهم أو لحسابهم يوم القيامة لما تأخر عذابهم أصلا[10]،

---

1 – محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية في النحو ، ص: 342، مكتبة دار العلوم ، مصر العربية 1979.

2 – انظر: ابن جني ، اللمع في العربية ، ص : 257

3 – محمد حماسة عبد اللطيف ، الضرورة الشعرية في النحو ، ص: 347

4 – ابن عصفور ، ضرائر الشعر ، ص : 201، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس 1980.

5 – محمد حماسة عبد اللطيف ، الضرورة الشعرية في النحو ، ص : 345.

6 – ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ج 1 ، ص : 455.

7 – محمد حماسة عبد اللطيف ، الضرورة الشعرية في النحو ، ص : 345.

8 – ابن عصفور ، ضرائر الشعر ، ص : 201

9 – سورة : طه الآية 129

10– السيد أحمد عبد الغفار ، من علوم القرآن دلالات النص ، ص: 45 دار المعرفة الجامعية ، مصر العربية 1997.

ومنه الفصل بين كم ومجرورها إذا اختير جر الاسم الواقع بعد كم الخبرية فلا يجوز أن يفصل بينها وبين مجرورها في النثر وقد يجوز في الشعر أن تجر وبينها وبين الاسم حاجز[1]

هذه بعض الظواهر اللافتة في العربية والتي تدعو الدارسين إلى التوغل والتعمق في دراستها كما تدعو المستعمل إلى الاعتزاز بها، والحقيقة أن مثل هذه الظواهر كثير ولكننا أردنا أن نطرق هذه من باب التمثيل لا من باب الحصر ومن خلال ذلك نفتح للدارين مجال الزيادة والإفادة

[1] – محمد حماسة عبد اللطيف ، الضرورة الشعرية في النحو ، ص : 347

## مراجع للبحث


1. إبراهيم ابراهيم بركات، النحو العربي، دار النشر للجامعات، مصر العربية 2007.
2. ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1985.
3. ابن السيد البطليوسي، إصلاح الخلل الواقع في الجمل، تحقيق حمزة عبدالله النشرتي، ط1، دار المريخ الرياض السعودية 1979.
4. ابن جني، اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، ط2، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية بيروت لبنان 1985.
5. ابن عصفور ، ضرائر الشعر، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس 1980.
6. ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، تحقيق حنا الفاخوري الطبعة الخامسة ، دار الجيل ، بيروت لبنان .
7. ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب بيروت لبنان 2000.
8. ابن هشام ، شرح شذور الذهب، تحقيق ،محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة مصر 2004.
9. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الطبعة الأولى تحقيق :حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت لبنان1991.
10. ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة السادسة دار إحياء التراث ، بيروت لبنان، 1980.
11. ابن يعيش، شرح المفصل، الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،2001.
12. أبو علي الفارسي ، التكملة ، تحقيق حسن شاذلي فرهود ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984.
13. أحمد حسن حامد ، التضمين في العربية، الطبعة الأولى ،الدار العربية للعلوم عمان و دار الشروق للنشر والتوزيع بيروت 2001.
14. أشواق محمد النجار، دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية ، ط1، دار دجلة ، عمان الأردن 2006.
15. الأنباري، أسرار العربية ،تحقيق ، بركات يوسف هبود ، الطبعة الاولى ، دار الأرقم بيروت لبنان1999.
16. الزمخشري ، المفصل 54، تحقيق ،إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت
17. السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ،الطبعة الأولى دار الكتب ، بيروت لبنان 2000.
18. سيبويه ، الكتاب ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان 1990.
19. السيد أحمد عبد الغفار، من علوم القرآن دلالات النص، دار المعرفة الجامعية ، مصر العربية 1997.
20. السيوطي ، الأشباه والنظائر، تحقيق فايز ترحيني ، الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1996.
21. ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق محمد بن سليم اللبابيدي،انتشارات ناصر خسرو، بيروت، دت.
22. شعبان صلاح، الجملة الوصفية في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر 2004.
23. صالح الكشو، مظاهر التعريف في العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقص، تونس 1997.
24. عباس حسن ، النحو الوافي ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف مصر ، 1980.
25. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق : ياسين الأيوبي ،المكتبة العصرية بيروت لبنان، 2003.
26. العلوي ، الطراز، تحقيق جماعة من العلماء ، دط، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،دت .
27. فخر الدين قباوة ، إعراب الجمل وأشباه الجمل، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان، 1981 .
28. فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، الطبعة الأولى دار الفكر، بيروت لبنان 2003.
29. محمد الاوراغي ، الوسائط اللغوية، الطبعة الأولى، دار الأمان الرباط المغرب 2001.

30. محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية في النحو، مكتبة دار العلوم ، مصر العربية 1979.
31. محمد عبد اللطيف حماسة ، بناء الجملة العربية، دار غريب ، القاهرة مصر 2003.
32. محمد على أبو العباس، الإعراب الميسر، دار الطلائع ، القاهرة ، مصر العربية 1997.
33. ممدوح عبد الرحمان الرمالي، العربية والوظائف النحوية، دار المعرفة الجامعية مصر1996
34. نادية رمضان النجار، أبحاث نحوية وبلاغية، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية مصر 2006.
35. الهروي، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1993.

# فاعلية القراءات القرآنية الشاذّة في التصحيح اللغوي من منظور أحمد مختار عمر.

**د. نورالدين دريم جامعة الشلف**

**ملخص:** تعدّ القراءات القرآنية معينا لا ينضب، لكلّ باحث لغوي مهما كان تخصصه، فهي وإن كانت مصدرا يعين الفقيه على بيان الأحكام الشرعية، فإنّ لها دورا فاعلا في التصحيح اللغوي، الذي غدا قضية تشغل بال الدارسين اليوم؛ لما أصاب أهل العربية من وهن على مستوى الاستعمال، بسبب ضعف الملكة اللغوية والنحوية لديهم، فاستحدثوا أساليب لم تعهدها العربية –وإن كانت صحيحة–، نحاول من خلال هذه الدراسة أن نقف على أثر القراءات في توجيه هذه الاستعمالات اللغوية.

**الكلمات المفتاحية:** التصحيح اللغوي، الأساليب اللغوية، الملكة اللغوية، الملكة النحوية

**Abstract :**
The Qur'anic readings are an important source for every linguist, regardless of his specialty. They help the Faqih to explain the legal rulings and have an active role in the linguistic correction, which is an issue of concern to the scholars today. The linguistic and grammatical queen, and they have developed methods that have not been fulfilled by the Arabic language. If this is true, we try to follow the readings in guiding these linguistic uses.

**Keywords** : Linguistic correction, linguistic methods, linguistic competence, grammatical competence

**مقدّمة:**

تعدّدت القبائل العربية – قديما – وتنوّعت لغاتها (لهجاتها ) ، فكان لكل قبيلة لغتها التي أَلفت النطق بها، وجرت على ألسنة أبنائها ألفاظُها ، وبنزول القرآن وتوسع دائرة الإسلام في تلك القبائل ، لم يفرض على العرب جميعهم أن يقرؤوا كلمات القرآن على وجه واحد ، ولو كان ذلك حاصل لشُقّ عليهم ؛ وليسهل على من تسلّطت عليه لغته من العرب قراءة القرآن، أقرأَ الرسول صلى الله عليه وسلّم أصحابه القرآن على غير وجه ، طلبا للتيسير على

الناس من غير أن يؤدي ذلك إلى تناقض في الأحكام أو المعاني التي أراد الله بيانها للنّاس " فلو أنّ كل فريق من هؤلاء- يقصد القبائل العربية – أُمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا، لاشتدّ ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يُمكنه إلا بعد رياضة للنّفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متّسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين"[1]، وبعد اكتمال نزول القرآن، جمعت هذه الوجوه المختلفة التي قرئ بها القرآن – في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم – ، واصطلح عليها في ميدان الدراسات القرآنية بـ " القراءات القرآنية "، إلاّ أنّ الملاحظ على الدراسات التي اهتمت بالقراءات، هو عدم تسلّيطها الضوء على جانب مهمّ فيها، ألا وهو استثمارها في مجال التصحيح اللغوي، فالقراءات القرآنية بنوعيها المتواترة والشاذّة تعدّ كنزا لغويا،لم يعط حقّه اللازم من الدراسة العلمية الفاحصة والعميقة – خاصة في هذا الجانب–، فلا يغيب على بال باحث ما خلّفه ذاك الجدل والحوار الذي اختصت به القراءات القرآنية، من نماء وخصوبة تفكير لدى علماء العربية باختلاف مشاربهم، كان نتاجه زخم من المؤلفات، أضِف إلى ذلك أنّ القراءات القرآنية قد زوّدت اللغوي بمعين لا ينضب وزاد لا ينفد، يلجأ إليه كلّما دعته الحاجة إلى ذلك؛ لأجل فهم تراكيب اللغة وتحليل مستوياتها، كما أنّ وجود القراءات القرآنية كان له الأثر الواضح في علوم شتى منها: علم التفسير، وعلم الفقه، وعلم النحو، فاتخذ علم الفقه من القراءات المتواترة والشاذّة مصدرا لاستنباط الأحكام، وإن كانت القراءات الشاذّة ليست قرآنا، وإنما هي أخبار تفسيرية، ولما احتج الفقيه بالشاذّ رأى أنّ كل من القرآن والخبر يوجب العمل، وأمّا المفسّر فرأى أنّ كل قراءة هي بمثابة آية مستقلة يستفاد منها لاستخراج المعاني، والأحكام، وأمّا النحوي فاتخذّ من القراءات دليلا لإفحام خصومه، كما استفاد منها في بيان الوجوه اللغوية والنحوية والصرفية، فالعربيّة كانت ولا تزال لغة القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى" إِنَّا أَنزَلنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ "[2]، وهي لغة أبنائها بالأمس واليوم، فالفصحى ترجمان الفكر، وبها تدور أقلام الكتّاب والمؤلفين والمثقفين عامة، ولما كانت كذلك وجب تمحيص بعض ألفاظها وتراكيبها – في حاضرها – ؛ لإدراك ما قد يشوب استعمالهم اللغوي من شوائب يجب أن تنقّى وأخطاء ينبغي أن تصحّح؛ لنبعث بعربيّتنا من مرقدها ونحدث نهضة في المدارك والأذواق، وذلك بالوقوف – قدر الإمكان – على جميع تراكيبها المختلفة؛ لإحياء كثير منها بين عامة الكتّاب ممن امتهنوا فنّ الكتابة في مختلف الميادين، فكل ذلك لا محالة يؤذن بانتعاش اللغة من كبوة لازمتها حينا من الدهر، كما أنّه يحي الآمال في عَوْدها إلى قديم رونقها وسالف عهدها، لذلك آثرت أن ألج بابا

[1] ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيّد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، 1973، ص 39.
[2] سورة يوسف ، الآية 02.

– ولست أول من يطرقه – من أبواب اللغة هو" التصحيح اللغوي " ففكرة هذا المقال، تقوم على محاولة توظيف القراءات القرآنية الشاذّة في مجال التصحيح اللغوي .

لا شك أنّ القراءات القرآنية بأنواعها مورد ضخم لكثير من الاستعمالات اللغوية، والتي يدلّ بعضها ظاهريا أنّه بعيد من البناء اللغوي السليم، وهذا ما حمل بعض الدارسين والباحثين على تخطئة كثير من الاستعمالات اللغوية في يومنا هذا، ولكن مع وقفة متأنية، طابعها التدقيق والتحقيق، يظهر لنا جليّا أنّ هذه الاستعمالات التي رموها بالبعد أو الخطأ لها ما يسندها من القراءات القرآنية، ونظائرها كثيرة متعدّدة في القراءات الشاذّة.

منهجي في هذا المقال أن أقف وقفة مقتضبة للحديث عن القراءات القرآنية الشاذة، وما يتعلق بها، ثم أنتقل بعدها لإثبات صحة الاستعمالات اللغوية التي قمت بجمعها – والتي ظنّ بعضهم أنّها خاطئة – معتمدا في ذلك على القراءات القرآنية الشاذّة كدليل لغوي على بيان وجهها في اللغة.

## 1– مفهوم القراءة القرآنية .

**لغة** : القراءات جمع قراءة و القراءة مصدر الفعل قرأ يقرأ قراءة قرآنا فهو قارئ و هم قرآء وقارئون[1].

– قال ابن فارس في مادة " قرى " : القاف و الراء و الحرف المعتل ، أصل صحيح يدل على جمع واجتماع ، من ذلك القرية سميت بذلك لاجتماع الناس فيها و يقولون قريت الماء في المقراة : جمعته ... و قال في موضع آخر في حديثه عن همز الحرف الثالث من " قرى " ، أنّ قرى و قرأ سواء ، يقولون : ما قرأت هذه الناقة سلى قطّ أي لم تحمل قطّ، ولم تضم رحما على ولد[2]، وقالوا: ومنه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص، وغير ذلك[3] .

– قال ابن منظور " قرأه، ويقرَأه، ويُقرئه، قَرءا، وقراءة، وقرآنا فهو مقروء ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي القرآن بذلك لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى : " فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتّبع قُرآنَهُ "[4] ، أي قراءته[5].

[1] الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق علي الهلالي،الكويت، 1966،ج1 ، ص101.

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج5، ص 74.

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص79.

[4] سورة القيامة، الآية 18.

[5] ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990،ج1، ص 128.

– قال الراغب الأصفهاني: " والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم، ويدّل على ذلك أنّه لا يقال للحرف الواحد إذا تُفوّه به قراءة، والقرآن سميّ بذلك من بين الكتب السماوية لكونه جامعا لثمرتها، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم"[1]، كما أشار تعالى إليه بقوله " مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِن تَصدِيقَ الذِّي بَينَ يَدَيهِ وَ تَفصِيلَ كُلّ شَيءٍ"[2] .

وعليه فإذا ما تتبعنا الدلالة اللغوية لمادة قرأ بالهمز أو باعتلال الحرف الثالث منها من خلال ما ورد في معجمات اللغة، نجد أنها تدور حول أصل واحد هو الجمع، والاجتماع، غير ما تفرّد به الأصفهاني، وهو ألا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم.

**أمّا اصطلاحا:** فقد تعرض علماء التفسير وعلماء القراءات وخاصة المتأخرين منهم لمفهوم القراءات، إلا أنّ الشيء الملاحظ عليها هو اختلافها اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تناقض وتضاد، وإذا ما تتبعنا كتب المتقدمين ممن اشتغلوا بعلم القراءات، فلا نكاد نجد مفهوما لها، فلا ابن مجاهد ولا ابن خالويه ولا أبو علي الفارسي ولا مكي بن أبي طالب – وهم أشهر ممن برزوا في ميدان جمع القراءات أو الاحتجاج لها – ، تعرض لمفهوم القراءات، ويمكن أن نرجع السبب في ذلك لما لاقته القراءات من شهرة، وانتشارا اعتمد فيه على الرواية والدراية في ذلك الزمن.

ولعّل أبرز تعريف لها من جهة الاصطلاح، ما أتى به ابن الجزري بقوله هي " علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو النّاقلة "[3]؛ لقد بيّن ابن الجزري أمرين مُهمّين من خلال تقديمه لهذا التعريف، وهما:

– أنّ القراءات جلّها تعتمد على السماع والمشافهة.

– النقل مشافهة بسند يتصل في آخر المطاف بالنبي صلى الله عليه وسلّم.

وعرّفها الزركشي بقوله " هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف و كيفياتها من تخفيف وتشديد وغيرها، ولا بدّ من التلقي والمشافهة؛ لأن القراءات القرآنية أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة "[4].

[1] الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، دت، ص402.

[2] سورة يوسف، الآية 111.

[3] ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مراجعة محمد الشنقيطي وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980، ص3.

[4] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ج1، ص49.

أمَّا أبو حيّان الأندلسي، فرأى أنّها" الوجوه المختلفة التي سمح النّبي صلى الله عليه وسلمّ بقراءة نصّ المصحف بها قصدا للتّيسير، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربيّة "[1].

وذهب الدكتور عبد الهادي الفضلي إلى أنَّها" النّطق بألفاظ القرآن كما نطَقها النّبي صلى الله عليه وسلّم، أو كما نُطِقَتْ أمامه فأقرّها "[2].

يتبيّن من خلال التعريفات السابقة بأنّ القراءات القرآنية تعتمد على الأداء اللفظي (الصوتي ) أو البنائي ( الصرفي ) أو النحوي، الذي أُجيزَ أن تقرأ به بعض الآيات القرآنية .

## 2– أقسام القراءات القرآنية .

انطلاقا من الشروط التي توفرت في القراءات القرآنية تنوعت أقسامها، فهي عند السيوطي[3] متواترة ومشهورة وآحاد وشاذة وموضوعة وشبيهة بالمدرجة، وقد فصل السيوطي القول وبسطه في بيان هذه الأنواع، وهي عند القاضي جلال الدِّين البُلْقينيّ متواترة وآحاد وشاذة، وقسّمها مكي بن أبي طالب[4] إلى ثلاثة أقسام باعتبار قبولها، والقراءة بها وعدم ذلك، وقسّمها ابن الجزري[5]، إلى ثلاثة أقسام: متواترة وصحيحة وشاذّة.

والشيء الملاحظ هو أنّ العلماء اختلفوا في بيان أقسام القراءة، وربما يرجع ذلك لاختلافهم في أركان القراءات الصحيحة، ولكن على الرغم من تعدد هذه الأقسام يمكن أن تصنّف إلى صنفين أساسيين:

[1] أبو حيّان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة:د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ، 1998 ، ج1، ص47. مقدمة التحقيق .

[2] عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، دار المجمع العلمي، جدة، الطبعة الأولى، 1979، ص63.

[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1951، ج1، ص215.

[4] مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق محي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، 1399هـ، ص40/39.

[5] ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، 2004، ص28/27.

## 2-1- الصنف الأول : القراءات المتواترة .

هي " القراءات التي نقلها جماعة مستفيضة يمتنع تواطؤهم على الكذب، عن جماعة مثلهم، من أول السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم و ذلك بطريق المشافهة والسماع"[1].

وهي عند ابن الجزري "كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت رسم أحد المصاحف، ولو احتمالاً، وصحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة "[2].

وقد اصطلح عليها بأسماء منها: القراءات المقبولة، واختار لها سيبويه والأخفش القراءات العامة، وسمَّاها الفرّاء قراءات القرّاء، أمَّا ابن سلاّم فوصفها بالكثرة، وهي وإن تعدَّدت أسماؤها، فمعناها واحد، وهو الصحيح المشهور من القراءات[3].

## 2-2- الصنف الثاني : القراءات الشاذّة .

**والشّاذّ لغة:** ما انفرد عن الجمهور وندر، والشّاذ المتنحي "[4]، ورأى ابن جنّي أنَّ الشّذوذ في كلام العرب " هو التفرّق والتفرّد والنّدرة "[5]، والخروج على القاعدة والقياس والأصول.

**والشّذوذ اصطلاحاً:** القراءة الشاذّة هي كلّ قراءة خرجت عن مقياس ابن الجزري وأركانه الثّلاثة، أي التي اختل فيها ركن من أركان القراءة المتواترة التي بيّنها سابقا، وهي " ممَّا صحَّ نقله عن الآحاد، وصحَّ وجهها العربي،وخالف لفظها خط المصحف[6].

ويرى ابن مجاهد أنَّ القراءة الشاذّة، " هي كلّ ما خرج عمّا يرويه في الغالب أحد اثنين عن قارئ من السبعة، وهم: قالون ووَرْش عن نافع، والبزي وقنبل عن ابن كثير، والدوري والسوسي عن أبي عمرو، وهشام وابن ذكوان عن ابن عامر، وشعبة وحفص عن عاصم، وأبو الحارث والدوري عن الكسائي، أو ما يرويه غيرهما عنهم ممّن عرفوا بالضبط

[1] محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص07.

[2] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ، راجعه محمد علي الضباع، دار الكتاب العربي، مصر، دت، ج1، ص9.

[3] محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص80 .

[4] ابن منظور ،لسان العرب، شذذ .

[5] أبو الفتح عثمان بن جني الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، دت، ج1، ص96.

[6] ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، ج1، ص14.

والإتقان"[1] ، ومن ذلك رواية المفضل الضبي عن عاصم قوله تعالى " وعلى أبصارهم غِشاوَةً "[2] بنصب غِشاوة[3]، ورواية بكار بن عبد الله عن ابن كثير"غيرَ المِغضُوبِ عَليهم"[4] بنصب (غير)[5].

أمَّا أبو جعفر النحاس، فيرى أنّها كلّ قراءة خرجت عن إجماع الحجّة أو العامة و كان فيها مطعن، حيث قال:" وقلَّما يخرج شيء عن قراءة العامة إلاَّ كان فيه مطعن "[6].

ويرى ابن جني أنّ القراءات الشاذّة: هي كلّ ما شذّ عن قراءة القرّاء السّبعة[7]، فلم يستثن ابن جني بقوله هذا حتى القراءات الثلاثة التي أضافها ابن الجزري للقراءات السبع وأكدّ على أنها متواترة، لأجل ذلك آخذ بعض العلماء ابن جني على هذا.

يتّضح من خلال هذه الأقوال التي ساقها العلماء في القراءة الشاذة، أنّ كل قراءة لم تصل حدّ التواتر – عند الجمهور – أو لم تكن مشهورة أو مستفيضة – كما قال ابن الجزري ومن تبعه – فهي قراءة شاذّة؛ لأنّ الأصل في قَبول القراءة أن تصل إلى درجة التواتر دونما النظر إلى الشرطين الآخرين، فإنهما جُلِبَا للاستئناس، فمن غير الممكن أن تكون هناك قراءة متواترة تخالف رسم المصحف أو وجها من وجوه اللغة، وعلى العكس من ذلك ما وجد في جميع القراءات الشاذّة.

اختلفت نظرة العلماء – باختلاف مشاربهم – إلى القراءات القرآنية، فالفقهاء والأصوليون وحتّى القرّاء نظروا إليها باعتبارها وسيلة تعبُّد، وسبيل تقرُّب إلى المولى عزّ وجلّ ، وبها تصح الصلاة، كما أنّها مصدر الأحكام التشريعية حلالها وحرامها، وأمّا اللغويون فقد اختلفت نظرتهم عن نظرة هؤلاء، فالقراءة عند اللغوي سواء كانت سبعية أو عشرية أو أكثر من ذلك، متواترة أو آحاد، إنّما هي وسيلة لإثبات حكم لغوي أو بلاغي شرط أن تكون القراءة مروية عن قارئ ثقة. وهذا ابن جني يرى في القراءة الشاذّة أنّها والمتواترة سيان من جهة الاستدلال اللغوي، يقول بعد أن قسّم القراءة إلى متواترة وشاذّة " إلا أنّه مع خروجه عنها – يقصد القراءة الشاذّة – نازع بالثقة إلى قرّائه محفوف

[1] أبو بكر بن مجاهد، السّبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1972، ص88.

[2] سورة البقرة، الآية 07.

[3] أبو بكر بن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص130.

[4] سورة الفاتحة، الآية 07.

[5] أبو بكر بن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص112.

[6] أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، 1980، ج 1، ص302.

[7] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ج1، ص102.

بالروايات من أمامه ووراءه، ولعلّه، أو كثير منه، مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه "[1]، ورأى أنّ سند القراءة الشاذّة ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ضارب في صحة الرواية، لا يصح الغض منه ولا تهمته، يقول " ومعاذ الله كيف يكون هذا والرواية تنميه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلّم"[2].

وعلى هذا يمكن أن " تدخل القراءات القرآنية بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس اللغوي والأدبي، وتقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر الجاهلي الإسلامي، ومأثور النثر من حكم وأمثال وخطب ... في صحة الاستشهاد بها، والاستناد إليها في إثبات سلامة التعبير، وفي إمكانية اتّخاذها مرتكزا لتحقيق التيسير ودليلا لتصحيح كثير من العبارات والاستعمالات الشائعة الآن، والتي يتحرج المتشدّدون عن استعمالها "[3]، وفيما يأتي جملة من الاستعمالات التي رآها بعض اللغويين أنّها خارجة عن النهج العربي، بل تجرّأ بعضهم على رميها باللحن والخطأ والبعد عن العربيّة، لتأتي القراءات القرآنية الشاذّة مؤكدة خطأهم لا خطأ هذه الأساليب والاستخدامات اللغوية.

## 3- الاستدلال على صحة بعض الاستخدامات اللغوية الحديثة بالقراءات القرآنية الشاذة:

سأذكر الاستعمال اللغوي، ثمّ أبيّن فيه موطن الخطأ الذي رآه بعض اللغويين، وبعد ذلك أثبت صحة هذا الاستعمال وفقا لما جاءت عليه القراءة القرآنية الشاذّة.

**الاستعمال الأول : نصب الاسم المنقوص بفتحة مقدرة بدلا من فتحة ظاهرة.**

الاسم المنقوص اسم معرب، آخره ياء لازمة، مكسور ما قبلها، فإذا جرّد من الألف واللام (ال ) والإضافة حذفت يائه في الرفع والجر بإجماع النحويين، وظهرت الحركة على آخره في حال النصب سواء كان معرفة أو نكرة، ولكن هناك بعض اللغويين خطّأوا جملة من الاستعمالات اللغوية الحديثة؛ والتي استعمل فيها الاسم المنقوص منصوبا بفتحة مقدرة ، ذكر منها أحمد مختار عمر مايلي[4] :

– انصرفت عن قراءة القصيدة لأنّ فيها معانٍ غامضة . – بناء مستوطنة جديدة يعني تحدٍّ للسلام .

– تبلغ من العمر ثماني سنوات . – دمّرت مبانٍ كانت تشغلها إدارة المخابرات .

– سيواصل مساعِيهِ الرامية إلى تحقيق السلام . – قامت بطرد العدو الذي احتل أراضِيها .

– قَصَف ضواحي العاصمة بالصواريخ . – قضى في الغربة ثمانٍ وعشرين سنة .

– لا تكن معادٍ لإخوتك. – مدّوا أيديهم إلى الطعام . – يجب أن نتكاتف حتّى نجنّب العراق مآسٍ أخرى .

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،ج1 ، ص103.

[2] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،ج1 ، ص103.

[3] أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 2006، ص143.

[4] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، القاهرة ، الطبعة الأولى، 2008، ج2، ص989.

رفض كثير من المحدثين هذه الاستعمالات وما شابهها في التركيب، ولكن جاءت بعض القراءات القرآنية لتثبت صحة هذه الاستعمالات، ومنها قراءة جعفر بن محمد لقوله تعالى " مِن أَوسَطِ ما تُطعِمُونَ أَهلِيكُم "[1] " أهالِيْكم "[2] ، بفتحة مقدّرة على ياء المنقوص، – وهي قراءة شاذّة –، بيّن ابن جني وجهها في اللغة بقوله " وأسكن الياء من أهاليكم في موضع النصب تشبيها لها بالألف "[3].

**الاستعمال الثاني : إسناد الفعل المعتل الأخير بالألف سواء كان ثلاثيا أو غير ثلاثيّ إلى واو الجماعة.**

إذا كان الفعل ثلاثيا أو غير ثلاثي مختوما بألف، وأسند إلى واو الجماعة، فإنّ الألف تحذف وتبقى الفتحة التي تسبق واو الجماعة دالة على حذفها، وعلى هذا الأساس خطّأ بعض اللغويين لغة من ضم الحرف الذي يسبق واو الجماعة عند إسناد الفعل المعتل لهذا الضمير، و من الاستعمالات التي رموها بالخطأ، وذكر منها أحمد مختار عمر ما يأتي[4] :

– أدلُوا بأصواتهم . أردُوه قتيلا . – إنّهم يسعُون في الخير. – استدعُوا أصحابهم. – اعتدُوا علينا.

– العمّال سيبقُون في المصنع بعد مواعيد العمل الرسمية. – القضاة خلُوا للمداولة.– اللاعبون رمُوا الكرة.

– بدُوا فرحين أكثر من أي وقت مضى. – تمادُوا في الضحك. – سمُّوا أنفسهم مصلحين. – سيمنُون بهزيمة كبرى.

– عادُوا أخاهم من أجل المال. – عشرون شخصا نجُوا من الحادث. – عصُوا أوامر رئيسهم. – قاسُوا الآلام في المعركة.

– لاقُوا حتفهم. – لقد أعطُوه فرصة أخيرة. – لقّنهم درسا لن ينسُوه. – هذه المحادثات أجرُوها في مصر ودمشق. – يرضُون بالقليل من المال .

رفض كثير من اللغويين المحدثين هذه الاستعمالات وغيرها، بسبب الخطأ الواقع في ضبط حركة الحرف الذي يسبق واو الجماعة، ولكن هناك قراءات تدعم هذا الاستعمال وتقويه، وتثبت صحته من جهة اللغة ومن تلك القراءات:

قراءة الحسن — وهي قراءة شاذّة ذكرها صاحب المحيط[5] –، لقوله تعالى" فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أَبنَاءَنا "[6]، بضم اللام في " تعالُوا "و كذلك قوله تعالى " تَعالَوا إِلى مَا أَنزَلَ اللَّه و إِلى الرَّسُولِ "[7]، قرأها الحسن فيما رواه عنه قتادة بضم اللام " تعالُوا " ، – و هي قراءة شاذة — وجّهها ابن جني بقوله " وجه ذلك أنّه حذف اللام من تعاليت استحسانا وتخفيفا،

[1] سورة المائدة ، الآية 89.

[2] أبو الفتح عثمان بن جني ،المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1 ، ص326.

[3] أبو الفتح عثمان بن جني ،المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1 ، ص326.

[4] أحمد مختار عمر ، معجم الصواب اللغوي ،ج2 ، ص849.

[5] أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، دار الفكر ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1983 ، ج2 ، ص479.

[6] سورة آل عمران ، الآية 61.

[7] سورة النساء ، الآية 61.

فلّما زالت اللام من تعالى ضمت لام تعال لوقوع واو الجمع بعدها "[1]. وقراءة بكر بن حبيب السَّهميّ لقوله تعالى " والغُوا فيه "[2]، بضم الغين[3]، وقد خرجّ ابن جني هذه القراءة على أنّها لغة، كقول أحدهم: لَغَا يَلغُو[4]. فقياسا على هذه القراءات تعدّ الاستعمالات السابقة صحيحة. ورأى أحمد مختار عمر تعميم القاعدة في هذا النوع من الأفعال، " أليس من الأجدر بنا أن نستأنس بما ورد في بعض القراءات القرآنية من ضم ما قبل واو الجماعة حتّى إذا كان المقدّر ألفا فنعمم القاعدة ونجعلها تطّرد بصورة واحدة "[5] ، بمعنى لا نراعي في ذلك أواخر الأفعال، فيكون ضم ما قبل واو الجماعة في جميعها سواء ختمت بألف أو واو أو ياء.

**الاستعمال الثالث : عدم جزم الفعل المضارع الواقع في جواب الطلب .**

يجزم الفعل المضارع بعدّة عوامل منها وقوعه في جواب الطلب، ومن استعمالات المحدثين أنّهم لا يجزمونه في هذا الموضع، لأجل هذا خطّأهم بعض اللغويين، ومثال ذلك:

– لا تشرك بالله تنجو من النار.

ونظير هذا التركيب قراءة طلحة بن سليمان لقوله تعالى " أَينَمَا تَكُونُوا يُدرِكّكُم الموتُ "[6] ، برفع الكافين " يُدرِكُكُم " ، قال ابن جني في توجيه هذه القراءة " ذلك أنّه على حذف الفاء، فكأنّه قال : فيُدرِكُكُم "[7]. ففي الآية وقع الفعل في جواب الطلب ولكنّ القارئ نطق به معربا غير مجزوم، وعلى هذا يجب أن يُحمل هذا التركيب وما شابهه.

**الاستعمال الرابع : التبادل الواقع بين الصيغ الصرفية ( فَعَل بمعنى أَفعَل ) .**

العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى من خصائص العربيّة، وهذا الاستعمال جارٍ على ألسنة الكتّاب والمؤلفين اليوم، ولكن هناك بعض اللغويين خطّأ بعض الأساليب التي تأتي على هذا النحو، ومن تلك الاستعمالات التي جمع بعضها أحمد مختار عمر، ما يأتي[8]:

– إنّها تَحُسُّ دبيب النمل ( بدلا من تُحِسُ ) – ثبت اسمَه في الديوان ( بدلا من أثبت ) – جدب الوادي ( بدلا من أجدب ) – جهز على الجريح ( بدلا من أجهز ) – خرب الشك بيته ( بدلا من أخرب ) – خلد إلى الراحة ( بدلا من أخلد ) – خلف الله عليك ( بدلا من أخلف ) – رصد مبلغا لبناء مسجد (بدلا من أرصد ) – سعده الله (

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1 ، ص293.

[2] سورة فصلت ، الآية 26.

[3] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج2 ، ص295.

[4] ينظر : أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج2 ، ص295.

[5] أحمد مختار عمر ،دراسات لغوية في القرآن الكريم و قراءاته ، ص156.

[6] سورة النساء ، الآية 78.

[7] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1 ، ص297.

[8] أحمد مختار عمر ، معجم الصواب اللغوي ، ج2 ، ص874.

بدلا من أسعده ) – شكل عليّ الأمر ( بدلا من أشكل ) – غلق الباب (بدلا من أغلق ) – فلح الرجل ( بدلا من أفلح ) – كانت الطائرة تَقِلُّ مئة راكب ( بدلا من تُقّلُ ) – كنّ الأمر عنه ( بدلا من أكنّ ) – لحّ عليه في السؤال (بدلا من ألحّ) – مدّه بمال كثير ( بدلا من أمدّه ) – مسك الشرطيّ باللص ( بدلا من أمسك ) – نجز الرجل وعده ( بدلا من أنجز ) – هلكه في العمل (بدلا من أهلكه ) – وعده بالعقاب ( بدلا من أوعده ) – يجب ألاّ تَفلِتَ الفرصة من أيدينا ( بدلا من تُفلِتَ ) – يَنعَت ثمار الشجرة ( بدلا من أينعت ) .

هذه الاستعمالات اللغوية وغيرها كثير، ممّا رفضه المحدثون من أهل اللغة اليوم؛ بحجة أنّ الأفعال فيها استخدمت على صيغة فَعَل بدلا من صيغة أفعل، ولكن بالعودة إلى القراءات القرآنية نجد أنّ هناك تبادلا بين الصيغتين (فَعَلَ وأَفعَلَ) وعلى هذا يجب أن نسلّم بصحة هذه الاستعمالات، ومن القراءات التي وقع فيها التبادل بين فَعَل وأَفعَل قوله تعالى" هَل تُحِسُّ مِنهُم مِن أَحَدٍ "[1]، قرأها أبو حيوة وأبو جعفر المدني " تَحُسُّ " بفتح التاء وضم الحاء[2] ، فهذه القراءة – وإن كانت شاذّة – دلّت على صحة الاستعمالات السابقة.

**الاستعمال الخامس: الجمع بين علامتي التأنيث في الصيغة الواحدة (بين تاء التأنيث ونون النسوة عند الإسناد).**

أجمع النحاة على عدم الجمع بين نون النسوة وتاء التأنيث في الفعل عند الحديث عن جماعة الغائبات، فلا يقال النساء تحملن بل يحملن، وفي يوم الناس هذا كثر الجمع بين العلامتين في الفعل في كثير من التراكيب اللغوية التي تضمنت هذا النوع من الأفعال، فشاعت لغة الجمع بين العلامتين في لغة عصرنا، وعلى عدم جواز ذلك خطّأ بعض اللغويين جملة من الاستعمالات، ذكر منها أحمد مختار عمر ما يأتي[3] :

– أربعون وزيرة من دول العالم تبحثن قضايا المرأة – اثنتان وأربعون سيّدة من ألمانيا تزرن مصر – البنات تلعبن في الحديقة– السيّدات اللاتي تشكون من العقم تواجهن الحقيقة المؤلمة – الطالبات تتفوقن على الطلاّب– الطالبات تكتسحن المراكز الأولى في الامتحان –المؤمنات تفعلن الخير لوجه الله.

وإنّما رفضت هذه الاستعمالات وما شاكلها؛ بحجة الجمع بين تاء التأنيث ونون النسوة في الأفعال المضارعة المسندة لضمير الغائبات، وبالعودة إلى القراءات القرآنية نجدها تصحح ما خطّأ أولئك اللغويون من استعمالات لغوية داعمة إيّاها ومن القراءات التي جمعت بين العلامتين، قراءة يونس عن أبي عمرو لقوله تعالى " يَتَفَطرنَ مِن فَوقِهِنَّ "[4]، بالتاء و النون أي " تنفطرن " ، وعلّق ابن خالويه على هذه القراءة قائلا " هذا حرف نادر؛ لأنّ العرب لم تجمع بين علامتي التأنيث لا يقال النساء تقمن، ولكن يقمن والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن، وكان أبو عمرو الزاهد روى

[1] سورة مريم ، الآية 98.

[2] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي ، ج2 ، ص884.

[3] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي،ج2 ، ص897.

[4] سورة الشورى، الآية 05.

في نوادر ابن الأعرابي الإبل تسمنَّ فأنكرناه فقد قوّاه الآن هذا "[1]، فيتّضح من قول ابن خالويه أنّه أنكر الجمع بين العلامتين في بداية الأمر، و لكنّه عندما وقف على قراءة يونس عن أبي عمرو– و هي قراءة شاذّة – استدرك وأثبت هذا النوع من الاستعمال في اللغة العربيّة، وبهذا صححت القراءة الشاذّة تلك الاستعمالات اللغوية وأثبتت لها وجها في العربيّة.

**الاستعمال السادس: تأنيث أفعل التفضيل في حال النكرة (أي المجرد من الألف واللام ومن الإضافة).**

أفعل التفضيل و يسمّى أيضا اسم التفضيل، صفة مشتقة على وزن أَفعَلَ، تدلّ على اشتراك شيئين في معنى يزيد أحدهما على الآخر فيه، ولا يصاغ إلاّ من الثلاثي وفق شروط قد حدّدها النحاة[2]، كما يلحقه التعريف بالألف واللام وبالإضافة، والتنكير، فإن كان نكرة وجب له حكمان أحدهما: ألا يأتي إلاّ مفردا مذكرا، وبناء على هذا الحكم خطّأ بعض اللغويين مجموعة من الاستعمالات اللغوية التي ورد فيها اسم التفضيل مؤنثا، ومنها[3]:

– دائرة صُغرَى.  – قدّم مكرُمة جُلَّى.  – له يد طُولَى في عمل الخير.  – هذه سياسة عُليَا.
– هذه صحيفة كُبرَى.  – هذه فتاة فُضلَى .

هذه الاستعمالات وغيرها ممّا جاء على هذا النحو رفضها بعض علماء اللغة المحدثين، لأنّ اسم التفضيل المجرد من التعريف جاء مؤنثا. وفي القراءات ما يثبت صحة هذا الاستعمال، نصّ الأخفش على أنّ بعضهم قرأ قوله تعالى " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسنًا "[4]، " قولوا للنّاس حُسنَى " يؤنثها ولم ينونها[5] ، أي على وزن فعلى مؤنث أفعل، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو قوله تعالى " نَزِد لَهُ فِيهَا حُسنًا "[6]، " نَزِد لَهُ فِيهَا حُسنَى" ، و قد نصّ على هاتين القراءتين ابن خالويه أيضا[7]، فالقراءتان الشاذّتان تثبتان صحة استعمال صيغة أفعل التفضيل نكرة مؤنثة.

[1] ابن خالويه، القراءات الشاذة ، ص199.
[2] أسعد النادري، نحو اللغة العربيّة، المكتبة العصرية، لبنان، 2007 ، ص114.
[3] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي ،ج2 ، ص898.
[4] سورة البقرة، الآية 83.
[5] الأخفش سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ص98.
[6] سورة الشورى، الآية 23.
[7] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص22.

**الاستعمال السابع : تحويل الفعل الثلاثي الناقص من فَعِلَ إلى فَعَلَ .**

ينقسم الفعل الثلاثي باعتبار الصحة والاعتلال إلى قسمين: صحيح ومعتل، والمعتل على أنواع، منها الناقص وهو ما كان آخره ( لامه )حرف علّة، ويرد ماضي هذا النوع من الأفعال على فَعل، أي بكسر عين الفعل، وفي عصرنا وُجدت بعض الاستعمالات اللغوية التي تغيّر فيها ضبط الفعل من فَعِلَ إلى فَعَلَ ؛ ولهذا السبب خطّأ بعض اللغويين هذه الاستعمالات ومنها[1] :

– بَقَى معي عشرون دينارا. – حفظ شعرا ثم نَسَاهُ. – خَشَيتُ الله. – رَقَى إلى الدرجات العلا. – لَقَيتُه في الطريق.

هذه الاستعمالات اللغوية ومثيلاتها مرفوضة عند بعض اللغويين المحدثين؛ لأنّ الضبط المشهور في عين هذه الأفعال هو الكسر لا الفتح، ولكن هناك بعض القراءات القرآنية صححت ضبط الفعل بالفتح، ومنها:

قراءة أبيّ بن كعب[2] ، لقوله تعالى " وَذَرَوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا "[3] ، بفتح القاف من بقي، أي قرأها: بَقَى فهذه القراءة، وإن كانت شاذة إلاّ أنّها صادرة عن أحد كبار الصحابة – رضوان الله تعالى عنهم– ، يمكن عدُّها مرتكزا لتصحيح الضبط المرفوض.

**الاستعمال الثامن: تسكين العين في مشتقات العدد ممّا جاء على فُعُل.**

العدد ما ساوى نصف مجموع حاشيتيه السفلى والعليا، وممّا يلحق به كلمات منها: الربع، الثمن والعشر والخمس ...وغيرها، وجميعها يأتي في الوزن على فُعُل، وحديثا استعمله بعض الكتّاب والمؤلفين على وزن فُعْل بسكون العين؛ و لهذا خطّأ بعض اللغويين جملة من الاستعمالات في هذا الباب، منها[4] :

– أخذ اليتيم تُسْع التركة بالوصية – أخذ خُمْس حقّه – أعطيته سُدْس المبلغ – سُبْع السبعين عشرة – سيأتي بعد رُبْع ساعة – عُشْر الدينار مئة فلس – قرأ ثُلْث الكتاب – كان نصيبها ثُمْن التركة.

هذه الاستعمالات رفضت عند بعض اللغويين المحدثين؛ وحجتهم في ذلك تسكين عين " فعل " في العدد، وبالعودة إلى القراءات القرآنية نجد أنّ هذه المشتقات العددية قد وردت بالضبطين ( بسكون العين و فتحها )، ومن القراءات التي جاءت فيها بسكون العين: قراءة الحسن ونعيم بن ميسرة[5]، لقوله تعالى " لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا السُّدُس مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَم يَكُن لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخوَةٌ فَلِأُمِهِ السُّدُس مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَو دَينٍ "[6]، وقوله تعالى " فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فلكم الرُّبُع مِمَّا تَرَكَنَ مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَو دَينٍ وَلَهُنَّ

[1] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ج2، ص899.

[2] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص37.

[3] سورة البقرة، الآية 278.

[4] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ج2، ص901.

[5] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص48.

[6] سورة النساء، الآية 11.

الرُّبُع مِمَّا تَرَكتُم إِن لَم يَكُن لَكُم وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُم وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُن مِمَّا تَرَكتُم مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَو دَينٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَو امرَأَةً وَ لَهُ أَخٌ أَو أُختٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا السُّدُس فَإِن كَانُوا أَكثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُم شُرَكَاءُ فِي الثُّلُث"[1] فقد قرآ " السدس و الثلث و الربع و الثمن " بسكون العين في جميعها.

وقراءة النخعي لقوله تعالى " فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ "[2] ، بسكون الميم و ضم السين في خمسه[3] ؛ أي خُمْسُهُ، فكل هذه القراءات شاذّة، ورد فيها مشتق العدد ساكن العين؛ ممّا يثبت صحة الاستعمالات اللغوية السابقة.

**الاستعمال التاسع: جمع ما كان معتل العين ووزنه فَعلَة في المفرد على فَعَلَات في الجمع.**

تأتي بعض الكلمات الثلاثية المؤنثة في العربيّة معتلة العين على وزن فعلة فتجمع على فَعْلَات، و إن كانت صحيحة العين تجمع على فَعَلَات، ولكن بعض الاستعمالات اللغوية وجد فيها الجمع لفعلة معتلة العين على فَعَلَات، وهذا ما حمل بعض اللغويين على تخطئة هذه الاستعمالات، ومنها:

– دورات تدريبيّة. – قام بعدّة جولات في المدينة. – نوبات قلبيّة .

و لكنّه وُجد لهذه الاستعمالات اللغوية نظائر في القراءات القرآنية ومنها: قوله تعالى " ثَلَاثُ عَورَاتٍ "[4]، قرأها ابن إسحاق بفتح الواو "عَوَرَات "[5]، قال ابن خالويه في توجيه هذه القراءة " له – يقصد قراءة ابن إسحاق – مذهب في العربيّة، بنو تميم تقول رَوَضَات وجَوَزَات وعَوَرَات وسائر العرب بالإسكان[6]. فقراءة ابن إسحاق شاذّة، ولكن لها مذهب في العربيّة، واعتمادا عليها يمكن لنا أن نصحح الاستعمال الحديث لهذا النوع من الجمع.

**الاستعمال العاشر: وصف جمع المؤنث السالم بالمفرد المؤنث.**

من التوابع الصفة والموصوف، ولا بد من أن تطابق الصفة الموصوف في الجنس ( التذكير والتأنيث ) والعدد ( الإفراد والتثنية والجمع)، وعلى هذا خطّأ بعض اللغويين بعض الاستعمالات التي خالفت فيها الصفة الموصوف، ومنها ما ذكره أحمد مختار عمر[7] :

– إشارات خضراء . – رايات حمراء . – علامات زرقاء .

هذه الاستعمالات رفضت عند بعض اللغويين؛ وحجتهم في ذلك عدم التطابق بين الصفة والموصوف، ولكن هناك بعض القراءات القرآنية التي أثبتت صحة هذه الاستعمالات، وبيّنت أنّ لها وجها في اللغة، ومنها: قراءة ابن هرمز[8] لقوله تعالى " وَ أُمَّهَاتِكُم اللَّاتِي أَرضَعنَكُم "[9]، " التِّي أَرضَعنَكُم " بالإفراد " ، والتمس ابن جني لها تخريجا بقوله

[1] سورة النساء، الآية 12.

[2] سورة الأنفال، الآية 41.

[3] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص83.

[4] سورة النور، الآية 58.

[5] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص155.

[6] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص155/156.

[7] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ج2، ص1005.

[8] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص285.

[9] سورة النساء، الآية 23 .

" ينبغي أن تكون التي هنا جنسا فيعود الضمير عليه على معناه دون لفظه "[1] ، فحملها ابن جني على مذهب الجنسية.

**الاستعمال الحادي عشر : تذكير و تأنيث كلمة " كبرياء " .**

يرى بعض اللغويين أنّ كلمة كبرياء مؤنثة[2]، ويستدل على تأنيثها بما جاء في معجمات اللغة والقرآن، وهم بذلك يُخطئون من يذكرها، فلا يستقيم عندهم نحو: كبرياؤه يمنعه، ولكن جاء في القراءات القرآنية ما يثبت أنّ كلمة كبرياء تستعمل مذكّرة، فقد قرأ ابن مسعود والحسن و ابن أبي ليلى[3]، قوله تعالى " وَ تَكَونَ لَكُمَا الكِبرِيَاءُ "[4]، " ويكون لكما الكبرياء " ، فهذه و إن كانت قراءات شاذة إلاّ أنّها أثبتت صحة استعمال كبرياء بصيغة المذكر.

**الاستعمال الثاني عشر : بناء الفعل توفّى إلى المعلوم أو لما لم يسمّ فاعله.**

إذا ما تأملنا ضبط هذا الفعل من ناحية الحركات والسكنات في الاستعمال الحديث له في اللغة، نجد أنه يضبط بالبناء للمعلوم " تَوَفَّى "، ولكن المصادر اللغوية ذكرت أن الاستعمال الصحيح له هو " تُوُفِّيَ " ببنائه لما لم يسمّ فاعله؛ ولهذا السبب يخطّئ بعض اللغويين نحو " تَوفَّى فلانٌ "[5]، ولكن بالعودة إلى القراءات القرآنية نجدها قد صححت الاستعمال الحديث فقد قرئ قوله تعالى " وَالذِّينَ يُتَوفَونَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزوَاجًا "[6]، في رواية أبي عبد الرحمان السّلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام " والذَّينَ يَتَوفَّونَ مِنكُم " بفتح الياء، وبها قرأ المفضل عن عاصم[7] ، وقد أنكر ابن مجاهد هذه القراءة، فقال ابن جني" هذا الذي أنكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز، وذلك أنه على حذف المفعول أي الذين يتوفون أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم كما قال سبحانه " فَلَمَّا تَوَفَيتَني "[8] ،وقوله " الذَّينَ تَتَوَفَاهُم المَلَائِكَةُ "[9]، وحذف المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام وذلك إن كان هناك دليل عليه "[10].

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص285.

[2] محمود عبد الرزاق جمعة، الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية، دار شرقيات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009، ص269.

[3] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص94.

[4] سورة يونس، الآية 78.

[5] محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة ناشرون، بيروت، الطبعة الثانية، 2003، ص271.

[6] سورة البقرة، الآية 234.

[7] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص32.

[8] سورة المائدة، الآية 117.

[9] سورة النساء، الآية 97.

[10] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص215.

وقوله تعالى " وَمِنكُم مَن يُتَوفَّ وَمِنكُم مَن يُرَدُّ إِلَى أَرذَلِ العُمرِ "[1]، قرأها الأعمش وابن عمرو وحكاها أبو حاتم " ومنكم من يَتَوفَّ "[2]، فدلّت القراءتان على أن استعمال الفعل توفى مبنيا للمعلوم صحيح وسليم وله وجوه في اللغة.

**الاستعمال الثالث عشر: رفع الاسم بعد ضمير الفصل ونصبه.**

ويسمّى ضمير العماد عند الكوفيين، ولا محل له من الإعراب في جملة المبتدأ والخبر، وكذا الحال في الجمل المنسوخة، ويُؤتى به للفصل بين ما هو خبر أو نعت، فإن كانت الجملة منسوخة بـ "كان " ، فالواجب نصب الاسم الواقع بعد ضمير الفصل على أنّه خبر للناسخ؛ ولهذا يخطّئ كثير من اللغويين[3]، نحو: كان وسيم هو الناجحُ، ولكن في القراءات القرآنية ما يثبت صحة هذا التركيب، فقد قرئ قوله تعالى " وَمَا ظَلَمنَاهُم وَلَكِن كَانُوا هُم الظَّالِمِينَ "[4]، برفع الظالمين؛ أي قرئت"كَانُوا هُم الظَّالِمُونَ "، وهي قراءة أبو زيد النحوي[5].

**الاستعمال الرابع عشر: التخفيف والتشديد في كلمة أمنية ومثيلاتها.**

كثر على ألسنة المعاصرين وأقلامهم من الكُتّاب والدارسين والباحثين استعمال كثير من الكلمات من أمثال: أمنية، أغنية، أحجية، أضحية، أمسية ... وغيرها، فهم ينطقونها أو يكتبونها بتخفيف الياء وليس بتشديدها " خلافا لما تذكره كتب اللغة من أنّ وزنها أفعولة "[6]، وعلى هذا الأساس خطّأ كثير من اللغويين[7]،كل من استعمل الكلمات السابقة مخففة الياء، وجاءت القراءات القرآنية لتدعم ما ذهب إليه المعاصرون وتثبته، سواء في استعمال الكلمة مخففة الياء بصيغة المفرد أو الجمع، ومنها: قوله تعالى "تِلكَ أَمَانِيُّهُم "[8]، وقوله تعالى" لَيسَ بِأَمَانِيّكُم وَلاَ أَمَانِيّ أَهلِ الكِتَابِ "[9].

قرأها الحسن وأبو جعفر وشيبة والحَكَم بن الأعرج بالتخفيف في الآيتين[10]. قال ابن جني في توجيه القراءة في الآيتين" أصل هذا كلّه التثقيل – أمانيّ جمع أمنيّة – والتخفيف في هذا النحو كثير وفاشٍ عندهم "[11].

[1] سورة الحج، الآية 05.

[2] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص353.

[3] محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، ص260.

[4] سورة الزخرف، الآية 76 .

[5] ابن خالويه، القراءات الشاذة، ص202 .

[6] أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن وقراءاته، ص164.

[7] محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، ص236 .

[8] سورة البقرة، الآية 111.

[9] سورة النساء، الآية 123.

[10] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص177.

[11] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص177.

وقال العكبري "وواحد الأمانيّ أمنيّة والياء مشددة في الواحد والجمع، ويجوز تخفيفهما فيهما "[1]، فيتبيّن إذا من خلال ما تقدّم أنّ التخفيف جائز في المفرد والجمع لكلمة أمنيّة ومثيلاتها، فاشٍ في لغة العرب؛ فما علينا إلاّ أنّ نحكم على الاستعمالات التي تضمنت مثل هذه الكلمات بالصحة لا أن نرميها بالخطأ.

خاتمة :

وختاما أرجو أنّني قد وفّقت في تقديم صورة صحيحة عن القيمة اللغوية للقراءات القرآنية الشاذّة، من خلال توظيفها في حقل التصحيح اللغوي من منظور أحمد مختار عمر، وإنّ أبرز ما خلصنا إليه في هذه الدراسة هو:

– ينبغي الاعتماد على القراءات القرآنية الشاذّة في دراسة العربية الفصحى، وخاصة في مجال التصحيح اللغوي؛ لأنّ روايات هذه القراءات تعدّ أوثق الشواهد التي تبيّن اللغة على ما كانت عليها ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية.

– جلّ الاستعمالات اللغوية التي خطّأها كثير من الباحثين صحيحة فصيحة لا غبار عليها، ولا ينبغي أن نتحرج في استخدامها؛ لأنّ لها نظائر في القراءات الشاذّة.

– إنّ الحكم على كلمة أو استعمال لغوي ما بالخطأ، أصعب بكثير من الحكم عليهما بالصواب؛ لأنّ الحكم الأول يستلزم الاستقراء التام – وهذا صعب يستحيل الإلمام به – لإثبات عدم ورود الكلمة أو الاستعمال اللغوي في الأساليب الصحيحة، وأمّا الحكم الثاني ( الحكم بالصواب ) – وهو ممكن – يكفي لتقريره الإتيان بشاهد أو أكثر يثبت صحة الكلمة أو الاستعمال.

– يمكن أن نتّخذ من القراءات القرآنية بنوعيها مرتكزا، الغاية منه تحقيق التيسير، وجعلها دليلا لتصحيح كثير من الاستعمالات الشائعة في عصر عربيّتنا اليوم.

– يعدّ البحث في مجال القراءات سواء كانت متواترة أو شاذة، بحثا موضوعيّا هادفا؛ لأنّه يسهم في خلق وعي لغويّ يغري طبقة المثقفين (أساتذة، وباحثين، وكتّابا، وصحفيين، وذوي الأقلام عامّة)؛ للأخذ بما هو أفصح عن بيّنة واقتناع .

– كانت القراءات القرآنية ولا تزال موردا ضخما، ومعينا لا ينضب، يعتمد عليه لإثبات صحة كثير من الاستعمالات اللغوية في يوم الناس هذا.

– لا ينبغي أن ننزع نزعة التشدّد في مقياس التخطئة في الاستعمالات اللغوية، خاصة إذا جاءت به قراءة قرآنية.

– لا ينبغي إغفال حقيقة مفادها: أنّ ما رمي بالشاذّ من القراءات يُنسب إلى اثنين من كتّاب الوحي هما : عبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب – رضي الله عنهما – وقد أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم بالأخذ عنهما وبعضها وصف

[1] العكبري، إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، راجعه نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002 ص47.

بأنّه قراءة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ، كما أنّ أسانيد القرّاء: نافع، وابن كثير، أبو عمرو، وعاصم وحمزة، والكسائي متصلة بأبيّ بن كعب، فلماذا يتحرج أهل اللغة في الاستشهاد بها في مجال اللغة.

وختام القول إنّ العربيّة التي شغلت اللغويين والأدباء والنحاة، وألهبت قرائحهم قرونا عدّة، نقدا وتشريحا وتقعيدا، تجابه اليوم كل التحديات بما فيها صراع العامية؛ لتثبت مصداقيتها كلّ حين كلغة حيّة تواكب التطور الحضاري الحاصل على جميع الأصعدة حتّى تفرض منطق اللغة الإنسانية الراقية، فكان لزاما على أهلها من أن يسلكوا سبيل التصويب اللغوي واستخدامه كرافد من روافدها؛ ليشتدّ عودها، فتقطع الطريق أمام كل متحامل عليها، ويغيظ حاسدوها.

المصادر والمراجع:


1. أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 2006.
2. أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008.
3. الأخفش سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.
4. أسعد النادري، نحو اللغة العربيّة، المكتبة العصرية، لبنان، 2007.
5. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.
6. أبو بكر بن مجاهد، السّبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1972.
7. ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، 2004.
8. ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، مراجعة محمد الشنقيطي وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980.
9. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، راجعه محمد علي الضباع، دار الكتاب العربي، مصر، دت.
10. أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، 1980.
11. أبو حيّان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة:د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1998.
12. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، مصر، الطبعة الثانية، 1983.
13. الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، دت.
14. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي الهلالي، الكويت، 1966.
15. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1951 .
16. عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، دار المجمع العلمي، جدة، الطبعة الأولى، 1979.
17. العكبري، إملاء ما منّ به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، راجعه نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.
18. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، دت.
19. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، دت.

**20**. أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.

**21**. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيّد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، 1973.

**22**. محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.

**23**. محمود عبد الرزاق جمعة، الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية، دار شرقيات، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009.

**24**. محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة ناشرون، بيروت، الطبعة الثانية، 2003 .

**25**. مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق محي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، 1399هـ.

26. ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990.

(1) Oumlil., A, L'histoire et son discours, op. cit, p-p. 18.19.
(2) Sauvaget., J, Introduction à l'Histoire de l'Orient musulman : éléments de Bibliographie, Paris, Adrien-Maisonneuve, 1961, p. 31.
(3) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 32.
(4) L'ensemble des récits rapportant la vie du Prophète Mohamed
(5) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 28.
(6) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 28.
(7) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p. 116.
(8) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p. 114.
(9) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p. 117-118.
(10) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p. 118.
(11) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p. 125.
(12) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p. 125-126.
(13) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 30.
(14) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 27-28.
(15) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p.303.
(16) Sauvaget., J, Inroduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 32.
(17) Cheddadi., A, Ibn Khaldoun : L'homme et le théoricien de la civilisation, op. cit, p. 9.
(18) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 24.
(19) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 24.
(20) Sauvaget. J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 25.
(21) IbnKahldoun., A, AL-Muqaddima, op. cit, 1967, p. 13.
(22) Galley., M, et Ayoub., A, Histoire des Beni Hilal et de ce qui leur advint dans leur marche vers l'ouest, op.cit, p. 11.
(23) IbnKhaldoun., A, AL-Muqaddima, op. cit, p. 13.
(24) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient msulman, op. cit, p,20. 21.
(25) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 21.
(26) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 22.
(27) Sauvaget., J, Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, op. cit, p. 25.
(28) Ibn Khaldoun., A, Discours sur l'histoire universelle, t1, commission internationale pour la traduction des chefs-d'œuvre, Beyrouth, 1967, pp. 5-6.
(29) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p. 227.
(30) Oumlil., A, L'histoire et son discours, op. cit, p. 14.
(31) Ibn Khaldoun., Discours sur l'histoire universelle, op. cit, p.7.
(32) Arkoun., M, Humanisme et islam : combats et propositions, Paris, Vrin, 2005, p. 117.
(33) Djait., H, La grande discorde : religion et politique dans l'islam en Arabie, op. cit, p. 58.
(34) Djait., H, La grande discorde: religion et politique en islam en Arabie, op. cit, p. 58.
(35) Hermassi., M-S, Une approche de la problématique de l'identité: le Maghreb arabe contemporain, op. cit, p. 47.
(36) Hermassi., M-S, Une approche de la problématique de l'identité: le Maghreb arabe contemporain, op. cit, p. 48.
(37) Jaid., H, La grande discorde: religion et politique dans l'islam en Arabie, op. cit, p. 169.
(38) Laroui., A, Islam et Histoire., Paris, Flammarion, 1999, p. 33.
(39) Laroui., A, Islam et Histoire., op. cit, p. 31.
(40) Valensi. L, Fellahs tunisiens, op. cit, p. 53.

discours de légitimation, profession de foi et profession de soi, sont en même temps porteuses d'une histoire.

L'appartenance à une famille shérifienne se traduit en particulier par le recours systématique à l'écrit comme preuve du discours. Pour appuyer ses dires, on invoque couramment l'existence d'un ancêtre shérifien, d'une charte qui attesterait l'ancienneté et la noblesse de la famille. Ce document est le plus souvent sinon toujours invisible-« caché » ou « disparu »-, comme si la seule mention d'un écrit suffisait à faire preuve. Cette référence perpétuelle à la généalogie perdue exprime la quête d'une légitimité supplémentaire qui, par-delà la mémoire de la communauté, compenserait le déni de reconnaissance des autres groupes. La véhémence de cette quête est particulièrement manifeste dans le récit d'un lignage qui, de manière défensive, ne construit son histoire qu'en l'opposant implicitement à d'autres.

En guise de conclusion, nous signalons que la mémoire collective fondée sur des mythes invalides, oriente en effet la compréhension du réel. Il s'agit bien d'une tentative globale d'écrire l'histoire maghrébine dans laquelle les rapports mythe/histoire sont repensés à travers un raisonnement analogique qui montre leur

ressemblance. Historiens, auteurs de manuels, professeurs, élèves mobilisent toujours la culture commune, les souvenirs etc. pour appréhender les faits historiques. C'est ainsi que la mémoire jette un pont entre le passé « oubli » et le présent vécu et rétablit la continuité interrompue.

**Notes et références bibliographiques**

(1) Les prolégomènes
(2) Horrut., C, Ibn Khaldûn, un islam des « lumières » ?, Paris, Éditions Complexe, 2006, p. 59.
(3) Les prolégomènes
(4) Ibn Khaldoun., A, Muqaddima, édition de Beyrouth, 1956, p. 46.
(5) Ibn Khaldoun,A, discours sur l'histoire universelle (al Muqaddima), UNESCO 1967, traduit. V. Monteil, T1. P7 et 8.
(6) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, Paris, Sindibad, 2004, p. 66-67.
(7) Djait., H, La Grande Discorde : religion et politique dans l'islam en Arabie, Paris, Gallimard, 1989, p. 169.
(8) Oumlil., A, L'histoire et son discours, société marocaine des éditeurs réunis, Rabat, 1982, p. 14.
(9) L'imitation des récits antérieurs.
(10) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op.cit, p. 195.
(11) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op. cit, p.14.
(12) Cheddadi., A, Les arabes et l'appropriation de l'histoire, op.cit, p.16.
(13) Il vient de la racine Khalife, « remplacer », parce qu'il représente le prophète dans l'Islam, voir dans, Discours sur l'histoire Universelle, Monteil Vincent, p.371.

ses origines et la datation des grandes guerres de l'extension de l'islam. Les documents témoins relatifs à ansab (généalogie) et aux guerres prophétiques sont conçus jusqu'à nos jours comme des supports neutres conservant pour nous, à travers les âges, une information inchangée sur un événement du passé. En effet, la conquête arabe est souvent étudiée sous un seul angle c'est-à-dire sous son aspect religieux ainsi que militaire en mettant l'accent sur le critique externe (authenticité des témoins) reproché par Ibn Khaldoun. Or, Abdallah Laroui notait que « un récit historique qui se fonde sur un type de document obéit forcement à une temporalité spécifique »(51). Cela veut dire que les conditions changeantes des récits doivent être mis en lumière parce que l'historiographie en général évolue d'une génération à une autre et la conception de l'histoire de l'autrefois n'est pas comme celle d'aujourd'hui. En outre, les auteurs classiques que nous qualifions habituellement d'historiens avaient en fait d'autres occupations : ils étaient juges, secrétaires, hommes de lettres, théologiens, voyageurs-missionnaire, etc…

Par conséquent, il est difficile de croire que leur formation n'ait eu aucune influence sur la manière dont ils exposent et expliquent les événements historiques. Les concepts et les méthodes, déployés pendant l'instauration de l'historiographie arabe, n'ont pas connu d'innovations particulières surtout en ce qui concerne l'étude de l'extension de l'islam jusqu'à nos jours. À cet égard Abdallah Laroui a remarqué que « Pourtant la leçon à tirer de l'examen de l'historiographie générale, celle qui détermine la pensée de la majorité des orientalistes, c'est qu'il y a un jeu continuel d'influences mutuelles et qu'il en résulte un certain éclectisme méthodologique et un certain relativisme dans les appréciations »(52). Il semble qu'une réflexion sérieuse sur les fondements de l'historiographie arabe et sa mise dans le cadre d'une problématique universelle, sans nous faire nullement oublier son cadre proprement islamique, pourrait nous conduire dans la mesure du possible à échapper au subjectivisme et à créer des méthodes adéquates à une conception plus globalisante de l'histoire.

## Conclusion

Chaque récit est un parcours plus ou moins glorieux de la généalogie, du temps et de l'espace selon qu'il est plus ou moins riche en noms : noms d'ancêtres, saints ou guerriers, qui résonnent dans l'histoire, noms de villes prestigieuses, mais parfois aussi absence de ces noms… Si la raison d'être de ces récits est bien, comme le montre Lucette Valensi(53), l'affirmation d'une migration, l'origine géographique que l'on revendique n'est jamais indifférente. Ces légendes, qu'il faut prendre en premier lieu comme un précision scientifique et objectif aux chroniques de Malek, Ibnou Al Athir et IbnouAdhri»(48) .ce qui a engendré une inconscience du changement d'une

époque à une autre et une carence au niveau de l'historicité des événements. Les tentatives de construction d'une histoire relative aussi bien au Maghreb qu'en Orient n'ont pas déployé aussi bien des outils de méthodologie fondés sur l'objectivité qu'une approche synthétique et problématisée. En effet, les historiens arabes exaltés par les triomphes de leurs ancêtres et l'historiographie de l'Orient, qui a mis l'accent sur les « dits » du Prophète Mohamed, auraient des impacts sur la façon de narrer et de raconter l'histoire maghrébine. A cet égard, Mohamed Salah Hermassi affirmait que certains historiens contemporains « sont allés jusqu'à représenter l'histoire de la conquête arabe d'une manière simpliste jusqu'à la naïveté scientifique. Ils l'ont présentée comme un conflit dur entre une nation arabe conquérante et une autre, berbère, qui se défendait et se soulevait contre l'envahisseur »(49). Certes, l'historiographie classique constitue une source fondamentale pour l'écriture de l'histoire maghrébine médiévale, notamment devant la sécheresse des informations de cette époque. Cependant, nous devons critiquer et analyser les textes anciens à la lumière de nos interrogations d'aujourd'hui. Bien que, nous croyons que l'émergence de l'identité maghrébine remonte à la période de la conquête arabe, il serait alors inévitable de solliciter les textes anciens mais par les méthodes historiques de l'histoire nouvelle entre autres l'esprit critique.

### 3- l'influence de l'historiographie traditionaliste sur les conceptions de l'histoire

Chaque conception de l'histoire est en grande partie déterminée par le type de document qu'elle met à contribution. Le début de l'historiographie arabe, en tant que mode de pensée, est souvent fondé sur deux genres de documents : l'ansab c'est-à-dire la généalogie -La recherche des origines- et les guerres menées par le prophète. L'historien Hichem Djait notait à ce propos « Ce qui, dans la quête la plus ancienne du passé, représente la documentation la plus authentique se module en cinq genres différents ; les livres des ansab (généalogie), ceux de akhbar (faits historiques), ceux de maghazi (guerres prophétiques) de sira (vie du prophète), le genre de futuh (grandes conquêtes islamiques), le genre Tarikh al-khulafa (histoire des califes). Il est probable qu'à l'origine, et au niveau de la collecte arabe ou lors du balbutiement des tous premiers écrits omeyyades, les ansab puis les maghazi aient vu le jour en premier »(50). Ainsi, il en découle la méthode de vérification de l'authenticité des témoins c'est-à-dire la recherche nobiliaire de contenu des récits est un travail quasiment absent. Les travaux de Tabari et Baladhuri sont considérés comme des sources inévitables dans toute étude qui s'intéresse au moyen âge du monde arabe et notamment à la conquête arabe. En fait, ces deux auteurs ont rassemblé les récits arabes et sans eux l'histoire des arabes qui les aprécédés aurait pu disparaître. Ainsi,

Tabari et Baladhuri se sont manifesté comme des rassembleurs des événements historique et non pas comme des interprétateurs. En outre, ce deux auteurs n'ont pas vécu l'époque de la conquête arabe c'est-à-dire leurs informations étaient inspirées des récits transmis aussi bien écrits qu'oraux. L'historien Hichem Djait notait « Sur quoi se fondent Tabari et Baladhuri pour narrer, avec force les détails des événements vieux de plus de deux siècles (Baladhuri est mort en 279 H., Tabari en 309…) ? Sur d'autres récits écrits avant eux, et très rarement sur la tradition orale. Récits disparus maintenant et auxquels donc nous ne pouvons avoir recours si ce n'est par l'intermédiaire de Tabari et de Baladhuri qui auront ainsi été de remarquables conservateurs du matériel historique »(46). Donc, le contexte de l'écriture de l'histoire de la conquête arabe est caractérisé par le manque de témoins et par l'incertitude des informations. La conjoncture historique des événements ne constitue pas un souci pour les historiens classiques. Pour cette raison, le changement historique des faits était absent dans les récits relatifs à la conquête arabe. Les événements religieux et politiques caractérisent l'écriture de l'histoire chez les historiens classiques au détriment du changement social et culturel engendré par la conquête arabe. Les fondements de l'historiographie arabe pourraient avoir une influence sur la manière de l'écriture de l'histoire de moyen âge chez les historiens contemporains puisqu'ils se réfèrent aux mêmes sources. De ce fait, le début de l'historiographie arabe s'est échelonné sur une grande période. Il est à noter que « Tabari et Baladhuri sont des historiens rassembleurs, alors que les historiens secondaires sont des synthétiseurs et des abréviateurs qui nous donnent un récit suivi des faits, mais résumé et incomplet »(47). Il semble que la fragmentation des récits a fait perdre le cheminement historique des événements ainsi que le changement d'une période à une autre.

En guise de conclusion, le début de l'historiographie arabe est caractérisé par la prédominance des thèmes politiques et religieux et par le quasi absence des innovations dans les méthodes du travail historique. Ces difficultés exigent de nous beaucoup de précautions pour que nous puissions bénéficier des chroniques antérieures si nous voulons en tirer une matière historique. En effet, « si le résumé diminuait de l'importance des chroniques de ceux qui ont vécu à une époque proche de celle des conquêtes (VIIIe et XIVe siècle), l'amas de détails, sans citation des sources, enlèvent tout caractère de Le début de l'historiographie arabe est marqué par le retour vers les triomphes réalisés lors de l'extension de l'Islam. Cette période représente l'orgueil des arabes. En effet, l'historiographie musulmane est née d'un besoin de conserver deux types de traditions : d'une part, celle du prophète (ses combats, ses actes, ses paroles et les circonstances dans lesquelles ces derniers ont été prononcés); d'autre part, le passé pré-islamique des tribus arabes, leurs combats,

leurs « jours » glorieux, et leurs généalogies. A cette seconde tradition s'ajoute l'enquête sur le patrimoine tribal arabe, poétique et linguistique »(43). L'essentiel pour les historiens arabes postérieurs est d'illustrer les succès de leurs tribus sans déployer une historicité dans leurs travaux. Ibn Khaldoun disait que « les historiens postérieurs sont tous conservateurs, à l'esprit lent, qui ne cherchent même pas à briller. Ils se satisfont de tisser sur le même métier que leurs devanciers. Ils ne tiennent aucun compte des changements que la marche du temps apporte aux circonstances et aux usages »(44).

Ibn Kahldoun a été conscient du changement de son époque. Selon lui, l'importance de ce changement est qu'il est historique. En effet, Ibn Khaldoun est soucieux toujours de vérifier le contexte historique des événements. Dans « les prolégomènes » il prône de changer la manière de considérer l'histoire et d'enregistrer les nouvelles conditions du monde. Ceci révèle la prise de conscience historique chez Ibn Khaldoun qui se manifeste surtout dans la Mokaddima (les prolégomènes).

En revanche, il semble que l'historiographie arabe classique n'a pas cessé d'influencer les conceptions des historiens modernes même après l'innovation d'Ibn Khaldoun. En effet, les méthodes ainsi que les techniques d'élaboration de la connaissance historique relatives à la conquête arabe restent, hormis quelques exceptions, fidèles aux démarches traditionnelles entre autres les collectes des informations sans les interpréter avec la réalité historique. A cet égard, Mohamed Arkoun notait « je dois le répéter : les savants européens ont introduit dans l'étude du fait islamique les conceptions, les méthodes, les problématiques et les techniques de la connaissance historique moderne. Nous savons comment la pensée historienne d'expression arabe a cessé d'innover après Ibn Khaldoun »(45). Cela peut être dû au contexte historique dans lequell'historiographie arabe s'est construite. Bien entendu, cette historiographie remonte à une époque (IIe siècle hégirien) où l'écriture de l'histoire est fondée sur la collecte des informations relatives aussi bien à la vie du prophète qu'aux grandes conquêtes islamiques. Cette procédure se base sur la critique externe des récits c'est-à-dire la vérification des ses auteurs. En revanche, la critique interne c'est-à-dire la critique du

sont directement liés à des partis ou des tribus engagés dans les luttes politiques de leur époque. « Le travail historique de Ibn Awana, comme celui de Zuhri dans le domaine des Maghazi, a coïncidé avec la confirmation du pouvoir omeyyade. Le rapport de ces deux savants avec les Emirs de cette dynastie ne signifie pas seulement un renfort idéologique pour cette dernière, mais plus généralement une contribution à

la constitution de la Sunna (tradition) et de la Jamaa (consensus de la communauté), laquelle coïncide avec la victoire omeyyade »[40].

En guise de conclusion, le passage entre les deux formes originelles précédentes de l'historiographie musulmane (orale et écrite) n'est pas suivi d'une évolution au niveau des démarches historiques dans la mesure où la méthode reste la même dans la construction de l'histoire. L'évolution de la tradition écrite se faisait, elle aussi, en liaison avec la confirmation d'un pouvoir politique. En outre, l'objet de l'histoire reste limité aux actes, aux paroles du prophète et aux combats des arabes musulmans. Ceux-ci ont suscité le critique d'Ibn Khaldoun qui a signalé que « les principaux historiens musulmans ont déjà recueilli la totalité des événements historiques et ont fait, de ceux-ci, la matière de leurs ouvrages. Seulement, des scribes incompétents sont venus, ensuite, ajouter leur grain de sel, sous forme de considérations oiseuses ou imaginaires, pures inventions, embellissements ou mensonges. Leurs successeurs ont emboîté le pas et ont répété ce qu'ils avaient lu, sans chercher à s'intéresser aux causes ou aux circonstances, sans même rejeter les invraisemblances »[41]. L'écriture de l'histoire, chez les arabes, a été profondément influencée par les récits notamment oraux qui dévoilaient les conquêtes des musulmans et enregistraient les principales batailles. Ces récits, qui sont présentés souvent d'une manière rigide et caractérisée par son autosuffisance où les événements sont juxtaposés et accumulés, auraient un impact sur les œuvres historiques modernes. AbdesselamCheddadi disait à ce propos que « subissant la pression des événements grandioses qu'ils vivaient, les premiers historiens musulmans n'auraient fait que les enregistrer mécaniquement en se servant de la forme familière et ancestrale du Khabar… Cette idée simpliste reste cependant prédominante, malgré les efforts qui ont été accomplis au cours des dernières décennies pour renouveler la réflexion dans ce domaine »[42].

## 2- Une historiographie qui reflète l'inconscience du changement historique

Nous tenterons d'abord de clarifier le passage d'une histoire basée sur l'oralité à une histoire écrite dans l'historiographie arabe.

Mohammad Ibn Muslim Ibn ShihabZuhri (676/754) a entamé cette transition. En effet, « Zuhri a entrepris une vaste enquête en vue de recueillir de la bouche même des témoins, la tradition du prophète. Mais l'importance de ce travail vient de ce que Zuhri fut le premier qui ait fixé par écrit le hadith (paroles et actes du Prophète). Ce traditionniste représente donc le moment de transition entre la phase orale et la phase écrite dans le domaine de la tradition »(37).

Nous constatons que la transition dans l'historiographie arabe de l'histoire orale à l'histoire écrite est encouragée par le pouvoir politique. « Il est important de constater que cette transition s'est faite en relation avec un pouvoir politique. Zuhri a eu des liens étroits avec deux Califes omeyyades, Abdulmalik et son fils Hisham »(38).

C'est toujours les composantes politique et religieuse qui ont eu une influence sur l'historiographie arabe, dans la mesure où l'écriture de l'histoire avait des liens étroits avec les décisions des Califes. En outre, les actes et les paroles du prophète qui circulaient oralement ont constitué l'objet de l'histoire pendant cette période c'est-à-dire avec les califes omeyyades.

Comment se caractérise l'historiographie arabe pendant cette période ? Est-ce qu'on peut trouver dans la genèse de cette historiographie des fondements épistémologiques d'une histoire scientifique

Il est important de remarquer que la transition entre la phase orale et la phase écrite n'a pas changé les méthodes de l'écriture de l'histoire. Le « Taklid » (l'imitation des récits antérieurs) caractérise encore l'historiographie arabe. On pourrait croire que l'influence des hommes politiques et religieux a eu un rôle décisif dans l'essor de l'écriture de l'histoire. En effet, Mohammad Ibn Ishaq, célèbre disciple de Zuhri a travaillé beaucoup sur la Sira de maghazi (combats du prophète Mohamed). La composante religieuse a constitué l'objet de l'écriture de l'histoire et les hommes politiques étaient les décideurs de cette écriture. Ali Oumlil disait que « mais ce qui retient le plus notre attention, c'est lorsqu'on nous apprend qu'Ibn Ishaq a écrit ses maghazi pour le calife abbasside, Abû Ja`far al-Mansûr . L'on ne peut croire à l'innocence d'une telle écriture, d'autant plus qu'elle coïncide avec les débuts d'une dynastie, où les luttes idéologiques sont encore des plus violentes »(39).

Le début de l'historiographie arabe est influencé par l'engagement des auteurs dans telle ou telle tendance politique. En fait, les auteurs qui ont participé à l'émergence de l'historiographie arabe, sont impliqués dans la vie politique, soit à cause de leur conviction politico-religieuse, soit parce qu'ils d'histoire chez les arabes : histoire qui

s'ignore, qui n'a d'autre but que de divertir ou édifier, moins Histoire que des histoires »[33]. En outre, ces récits oraux portent souvent l'aspect d'une légende dans la mesure où les arabes de cette époque n'ont pas encore élaboré un esprit critique qui leur permettait de lier les événements selon un enchaînement temporel. Les compagnes militaires du Prophète ont été au début de l'islam le thème primordial des récits oraux dans un contexte lié à l'élaboration de l'Islam primitif. L'historiographie arabe pendant cette période c'est-à-dire le VIIe siècle était dans la première phase de sa genèse, période pendant laquelle les historiens arabes se contentaient de rédiger et de répéter quelques récits empruntés à la mémoire orale. On peut dire que l'oralité a été la référence inévitable pour les historiens arabes. Cependant, l'étude de l'oralité pourrait aussi être source d'erreurs si elle n'était pas critiquée et analysée à la lumière de confrontation de plusieurs témoignages écrits entre autre l'archive. En effet, « pour écrire des ouvrages historiques, il faut disposer de nombreuses sources et de connaissances très variées »[34].

Dans cette perspective, les informations transmises oralement sont des « récits à deux faces : histoire -véritables archives orales-, pour le peuple qui y reconnaît son passé et son identité ; légende enrobant et transformant des faits difficiles à saisir nettement, pour l'historien, ou dans la perspective de l'historien »[35]. Le déclenchement de l'historiographie arabe était fondé sur des références fragiles, ce qui pourrait avoir une influence sur l'écriture des historiens arabes, vu que les récits oraux ne mettaient généralement pas en relief les contextes historiques dans lesquels les événements se sont passés. Cette carence au niveau de l'historiographie arabe et ce manque de témoignages écrits ont été aggravés aussi par les méthodes traditionnelles adoptées par les historiens postérieurs qui se sont fondés sur la simple répétition de ce qui leur a été transmis. « Ils parlent d'événements d'origine inconnue, et leur terminologie n'est ni logique, ni contrôlée. Ils se bornent à répéter des récits archi-connus, en imitant leurs prédécesseurs »([36]. Ibn Khaldoun reproche aux historiens arabo-orientaux de son époque leur esprit conservateur. En effet, ils se contentaient de tisser sur le même métier que leurs devanciers. Donc, il importe que la conquête arabe, aussi bien dans l'histoire savante que dans l'histoire enseignée, soit abordée en tant que récit historique fondé sur l'explication et la reconfiguration d'un temps révolu.

**1-4- Naissance d'une historiographie reposant sur des fondements politiques et religieux**

Khaldoun a essayé de faire une rupture avec l'historiographie arabo-musulmane qui repose sur la restitution des faits du passé comme telle dans les époques antérieures, dépourvues d'une démarche critique et d'une lecture globalisante. Mais, les traces de cette historiographie marquent encore son ampleur dans certains travaux historiques. Dans cette perspective, nous posons la question suivante : est ce que l'historiographie arabo-musulmane du VIIIe siècle a influencé aussi l'histoire à enseigner surtout que cette dernière est le produit d'un savoir savant transposé ?

**1-3- La tradition orale**

Dans un contexte caractérisé par l'analphabétisme, les conflits tribaux, et l'opposition entre arabes et non arabes, la mémoire constitue, avant l'islam, un outil favorable pour chercher l'honneur qui repose sur la noblesse de race. Afin de légitimiter son appartenance à une tribu qui a remportée des victoires, les individus d'une communauté ont tenté de maintenir leurs propres histoires et de les transférer oralement d'une génération à une autre. Jean Sauvaget a remarqué que « chez les arabes, l'historiographie s'est développée d'abord en partant de la tradition orale, non point seulement par une conséquence normale de l'analphabétisme, mais surtout pour des motifs en relation directe avec une structure sociale et une attitude psychologique particulières »(31). La tradition orale qu'alimente l'histoire d'une tribu constitue donc une sorte de documentation historique, mais cette histoire tribale ignore l'autre et ne dépasse pas les événements passés d'une communauté. Dans l'organisation sociale antéislamique, l'individu ne compte guère que comme membre d'une collectivité et dont la gloire trouve aussi sa source principale dans ses hauts faits.

La substance historique réside donc dans le récit liminaire. Car « la manière dont l'histoire est écrite, pensée, fabriquée ou lue n'est pas indépendante des structures, forces et conflits de la société où se fait cette histoire »(32). La transmission des gloires des ancêtres d'une génération à une autre et la conservation dans la mémoire leur généalogie était les principaux caractères de l'histoire arabe avant l'avènement de l'Islam. Ainsi nous avons constaté que la tradition orale chez les arabes a abouti à des histoires moins qu'Histoire et à des récits collectifs moins que récits historiques. En effet, le but de l'écriture de ces récits est de révéler les triomphes d'une collectivité et la noblesse de race. Ils ne portent que sur des épisodes et des anecdotes qui manquent de profondeur et d'ampleur. Les récits oraux livraient des faits isolés les uns des autres, hors de la perspective historique qui leur conférerait leur intérêt. D'ailleurs, Jean Sauvaget a montré qu' « on a toute raison de croire que c'est ce genre qui est à l'origine de la plus ancienne forme plus ancienne de sa production, l'encombrant et

souvent l'inutile usage des chaînes de garants (isnâd) dressent entre elle et nous une barrière d'étrangeté et d'incompréhension »[28]. Par conséquent, on considère généralement qu'au moyen Age, il n'y aurait que des naïfs narrateurs, des chroniqueurs, mais pas d'histoire. La raison en serait que le moyen Age n'avait que le sens du passé, il était dépourvu de sens critique et ne prenait aucun soin d'expliquer la chaîne temporelle des faits. Ceux-ci pourraient avoir des retombées sur la façon d'écrire l'histoire, notamment dans les études récentes qui prennent comme thème la conquête arabo-musulmane. Cette dernière remonte au moyen Age où les sources historiques étaient rares et dépourvues d'une démarche critique qui met en cause la médiation entre les événements lointains dans le temps et la société actuelle. À cet égard AbdesselamCheddadi disait en parlant de l'historiographie arabe vers la fin du VIIIe siècle et le début du IXe siècle que « la présentation des événements est faite sous forme annalistique, les notices historiques sont simplement juxtaposées, l'auteur ne s'embarque pas dans une critique formelle pour expliquer et interpréter le passé mais se contente de la détermination de l'ordre et de la chronologie des événements. Il ne prétend à rien d'autre qu'à compiler une information déjà existante »[29] .

L'historiographie arabe est marquée jusqu'au VIIIe siècle par sa faiblesse au niveau de son contenu qui n'a pas atteint une lecture universaliste et au niveau de sa démarche qui s'est contentée de restituer ce qui est passé sans aucune tentative de situer l'objet historique dans un processus continu. Cette historiographie musulmane aurait des implications même sur la pensée d'Ibn Khaldoun. Malgré qu'il prône l'étude des phénomènes historiques dans la longue durée, il a suggéré d'étudier l'histoire du Maghreb dans une perspective globale et universaliste, son projet restait dans quelques parties attaché à la tradition historiographique musulmane. En effet, l'intention d'Ibn Khaldoun est de penser l'humanité dans sa globalité, dans toute la profondeur du passé et dans toute l'extension de l'espace. Ainsi, « depuis les deux dernières décennies du XIX siècle, mais surtout à partir du début du XXe, on assista à un déplacement progressif dans l'usage d'Ibn Khaldoun : des aspects historiques de son œuvre, on passa aux aspects 'sociologiques', 'économiques', 'géographiques', et 'anthropologiques'. La Muqaddima prit définitivement le pas sur le reste du livre des exemples. Elle fut intégrée dans la 'pensée universelle' et l'auteur, qualifié de 'rationnel' et de 'moderne', fut reconnu comme un des 'précurseurs' des sciences sociales. On affirma l'existence d'Ibn Khaldoun et son travail d'historien proprement dit, qui serait resté tributaire de la tradition historiographique musulmane »[30]. Ibn

mettre en évidence les liens historiques entre l'avant et l'après des événements. C'est ainsi que « les indicateurs historiques sont rares dans le Hadîth, sans en être

absents… Des repères chronologiques sont également donnés parfois. Mais on ne trouve pas, dans l'ensemble, assez d'éléments concrets pour la reconstruction du milieu social, de l'espace géographique, des événements historiques. Les situations sont essentialisées et exemplarisées, le but étant de fournir, des précédents, des modèles pour des dispositions juridiques ou des règles morales ou politiques. De ce point de vue, le Hadîth apparaît plutôt anhistorique »(25). Ceci a suscité chez Ibn Khaldoun la conscience d'être sur un terrain brûlant et il va au-devant de l'objection en étudiant le récit lui-même, afin de reconnaître si les faits qu'il renferme sont possibles ou non.

L'historiographie musulmane a été influencée par le Hadîth dans son contenu ainsi que dans ses méthodes. La fragmentation du contenu de récit en des unités cloisonnées et l'absence d'une temporalité qui a pour corollaire l'interprétation et la mise en relation entre le passé et le présent sont les principales caractéristiques de l'historiographie musulmane. Les récits historiques des premiers historiens arabes ne dévoilent pas la continuité temporelle des événements, ils apparaissent sous forme des contes séparés les uns des autres. En effet, « le plus apparent est la discontinuité du récit, qui se résout en une série de brèves anecdotes juxtaposées, sans autre lien entre elles que le personnage ou l'événement central, sans chronologie. Chaînes d'appui, répétitions, variantes, incidences de l'auteur, lacune émiettent le récit, empêchent de voir bien où l'on en est, tant qu'on n'a pas classé cet amas décousu de fiches »(26).

Ceux-ci ont eu des liens étroits sur l'écriture de l'histoire surtout pendant la période de l'extension de l'Islam. Jean Sauvaget a constaté l'influence du Hadîth sur la façon de narrer les récits historiques chez les premiers historiens arabes. Il a affirmé que « chez nous, l'Histoire s'est constituée tôt en genre à peu près indépendant : poursuivant à leur manière la tradition antique, des clercs ont consigné à l'usage des générations futures les événements dont ils avaient été témoins ou trouvaient le récit dans des ouvrages antérieurs. Chez les arabes au contraire, l'Histoire est lente à acquérir son autonomie, en raison de la constitution plus rapide d'une <science> influente, celle du Hadîth »(27). L'historiographie arabo-musulmane était un objet d'étude pour les chercheurs modernes vu son approche générale qu'il entretient avec le passé des musulmans. « Mais l'organisation de l'œuvre avec la fragmentation du récit et la simple juxtaposition des informations, la sécheresse du Style, une prosopographie envahissante, l'usage pléthorique des vers dans la partie la intrinsèque du Hadîth, inscrite dans chacune de ses unités constitutives, n'est cependant pas exactement la nôtre. Son souci majeur est d'affirmer la réalité ou l'authenticité du fait, sans égard pour la temporalité, le processus d'évolution. Ce qui

compte pour elle, c'est d'assigner une origine et d'établir comme vraie. Ainsi, bien que les savants musulmans aient repéré dans le temps l'apparition progressive de divers genres d'écrits et de collections du Hadîth, aucune tentative n'a été faite pour une reconstitution historique du phénomène du Hadith dans son ensemble »(22).

Quant à la question de l'authenticité dans le Hadîth c'est-à-dire la recherche de la vérité des récits par la simple juxtaposition des témoignages révèle l'absence de la démarche critique de tout ce qui a été transmis parce que le fait d'attribuer un récit à un personnage qui se présente comme témoin de ce qui a été passé bloque l'explication et l'interprétation des récits. « La notion d'authenticité est centrale dans la pensée religieuse et, sans doute, dans toute la culture musulmane. En se posant comme norme absolue, elle inscrit non seulement dans la pensée mais au cœur même de la pratique de débat entre le réel et le fictif, le vrai et le faux »(23).

Sans doute le grand apport du Hadîth à la pensée historique musulmane réside-t-il dans la façon de poser et de traiter le problème de l'authentification sur le modèle spirituel et moral du Prophète, de sa parole, élevée au rang d'une autorité originelle sacrée à côté de la parole divine elle-même, et dans la conception du vrai que cela entraîne. Selon cette conception, le Vrai est considéré comme un domaine ouvert, soumis aux assauts du faux, établi sur la base d'un effort humain de témoignage et de critique.

Le Hadîth est apparu comme un récit constitué par la simple juxtaposition des faits et des témoignages, Ainsi la critique du contenu est quasiment absente dans la mesure où le Hadîth envisage une collection des citations comme elles ont été rapportées par les témoins. « La critique du contenu (qui constitue une des principales faiblesses de la méthode du Hadîth) est, dans ce cadre, nécessairement secondaire, puisque l'authenticité et la véracité du fait dépendent avant tout de celles du témoin qui rapporte. Surtout, la primauté du récit globalisant, enserrant toute une époque ou toute une vie, ressoudant en un tout, faits, événements, personnages, est radicalement mise en cause »(24). En outre, la mise en relation entre les différents récits du Hadîth ne dévoile pas une articulation rigoureuse et une cohérence parfaite entre eux. Il en résulte que le Hadîth se manifeste sous forme des fragments de citations cloisonnées. Quant à la temporalité du Hadîth, elle n'a pas été mise en œuvre puisque l'ordre chronologique était l'aspect dominant dans le contenu du récit d'une manière où les faits étaient constitués selon un temps linéaire sans

méthode : le recours à la tradition orale est le seul moyen d'information dont disposent aussi bien les collecteurs de Hadith que les premiers historiens musulmans »(19).

Quand le corpus du Hadîth fut constitué dans sa forme quasi définitive à la fin du IX siècle, il se donnait comme le résultat d'une enquête systématique auprès de tous ceux qui avaient pu approcher de près ou de loin le prophète Mohamed, ceux qui avaient entendu directement ses paroles, avaient observé ses faits et gestes. Il ne s'agit pas du récit d'une vie prise dans son déroulement chronologique mais d'un ensemble de notations, de courts récits, d'anecdotes, qui sont supposés rendre compte de situations réelles, de scènes prises sur le vif, et qui ne prétendent à rien d'autre qu'à la qualité de stricts témoignages. Mais, tandis que le Coran pose les bases d'une philosophie de l'histoire comme la dimension historique de l'homme et essence de l'histoire comme histoire du vrai, le Hadîth, tout en reprenant les idées coranique sur ces sujets, éclaire l'aspect méthodologique d'une approche historique qui va être déterminant dans l'historiographie et la culture musulmane. Le Hadîth est caractérisé par la fragmentation des récits rapportant la vie du prophète en petits unités où chaque unité remonte à un personnage qui était témoin des paroles du prophète, et la recherche de l'authentification des récits. « Deux traits importants caractérisent le Hadîth d'un point de vue formel : S'il est quasiment impossible d'établir rigoureusement la vérité d'un récit continu d'une certaine ampleur lorsqu'il prétend reconstruire une série d'événements ou une vie, la tâche ne paraît pas hors de portée si l'on s'en tient à des faits observables que rapportent des témoins dignes de confiance »[(20)].

La fragmentation du Hadîth sous forme d'unités a posé le problème de la chronologie. Nous ajoutons aussi que l'authentification des récits par la simple juxtaposition des témoignages suscite la question de démarche critique dans la récolte des informations à propos de la vie du Prophète. C'est ainsi « le problème de la chronologie et de l'authenticité du Hadîth a donné lieu à âpres discussions à l'époque moderne. Les deux premiers siècles de l'Islam, faute de documents d'époque et de témoignages archéologiques en qualité suffisante, semblent décourager les plus patientes tentatives de reconstitution des faits tels qu'ils se sont passés »[(21)]. L'absence d'une temporalité dans le Hadîth qui illustre l'enchaînement historique du récit revient à la diversité des témoignages qui racontent la vie du Prophète à travers ses propres contextes historiques. Cependant les tentatives d'ancrer le Hadîth dans une temporalité exacte sont quasiment absentes parce que l'écriture historique à cette époque se basait uniquement sur le rassemblement de tout ce qui révèle la vie du Prophète tout en négligeant la dimension temporelle. « Cette historicité

seront en fait que des recueils de biographies de traditionnistes considérés uniquement pour les traditions qu'ils ont rapportées »[(15)]. Bien entendu, les premiers essais de l'historiographie musulmane restent d'ailleurs assez mal connus, presque

rien ne nous est parvenu directement. Le seul moyen par lequel les informations de début de l'extension de l'islam ont été transmises, est l'oralité. C'est ainsi que l'Histoire de cette époque est apparu sous forme de récits fragmentés sans liens chronologiques entre eux. Jean Sauvaget a affirmé que l'instauration de l'histoire sous la forme d'un récit n'est apparue qu'au IXe siècle. « Dès le IXe siècle on voit apparaître des ouvrages historiques construits suivant une nouvelle formule, en ce sens qu'ils présentent les événements sous la forme d'un récit contenu, énumérant les événements puis, de plus en plus, s'attachant à les classer chronologiquement, en général en les répartissant par années »(16) .

A cette époque, l'acte d'assemblage des récits s'appelle « Hadîth » c'est-à-dire la transmission des récits révélant la vie du prophète d'une génération à l'autre. Comment le hadith a influencé l'historiographie arabe ? Et quelles sont ses répercussions sur l'écriture de l'histoire ?

**1-2- L'apport du Hadîth à l'historiographie musulmane**

Le Hadith(17) qui est l'ensemble des récits, rapportant les propos tenus par le prophète Mohamed et décrivant ses actes, a un rôle fondamental dans l'élaboration de la pensée historique musulmane. Le Hadîth constitue chez les musulmans la première tentative de l'écriture de l'histoire. Son élaboration est liée à la diffusion de l'Islam primitif, mais qui, bien qu'utilisé à cette fin dans un esprit tout différent de celui de l'Histoire, a également des relations avec celle-ci. Jean Sauvaget a défini le Hadîth comme « un récit presque toujours très bref rapportant ou censé rapporté une parole ou un acte du Prophète. La science du Hadîth s'est constituée pour remédier aux insuffisances du Coran en tant que source de prescriptions législatives concrètes »(18). Le Hadîth est transmis d'une génération à l'autre et pose la question de l'historiographie musulmane : celle des rapports entre vérité et histoire. En effet, la substance du Hadîth touche donc à la vie de Mahomet, à celle de son entourage, et de ses premiers successeurs : elle est donc identique à celle que recherche l'historien de cette même période. Par ailleurs, après l'extension de l'Islam les premiers historiens arabes ont diversifié leurs objets d'étude. Ils ne s'intéressaient uniquement à la vie ou aux actes du prophète mais ils ont étalé leur champ d'étude en mettant l'accent sur les triomphes arabes lors de la conquête. Cependant les outils de recherche et les méthodes de travail restent le même que celles du Hadîth. Dans ce contexte Jean Sauvaget disait qu' « il y a aussi entre Hadith et historiographie, au début, une entière communauté de

Une autre initiative de « Umar » qui a contribué à la naissance de l'historiographie musulmane est : la constitution du Diwan al-ata. Celui-ci est un

registre où sont répertoriées et classées selon une hiérarchie déterminée, en vue de rémunération, les tribus combattants et les familles selon leur mérite et leur ancienneté dans la communauté. En fait deux critères marquent ce registre qui sont les suivants : les liens de sang c'est-à-dire les liens lignagère entre les tribus, l'appartenance à une même famille arabe, et la religion c'est-à-dire en croyance à l'Islam. Être musulman et avoir des ancêtres arabes c'est la seule garantie qui permet aux individus d'occuper une place très importante dans la société et de bénéficier de plusieurs privilèges notamment l'exonération de payer les impôts.

Dans cette perspective, c'est toujours les composantes politiques et religieuses qui marquent le début de l'historiographie arabe. La tradition historiographique musulmane a élaboré des récits et des faits selon des besoins qui lui étaient propres, d'ordre politique et d'ordre religieux : En premier lieu, les hommes politiques ont trouvé la nécessité d'avoir une histoire qui leur permet de mémoriser leurs triomphes et leurs forteresses. En deuxième lieu, la conservation des faits et des paroles du prophète. En fait, « les deux exils, en Abyssine et à Médine, ainsi que la bataille décisive pour le sort de l'Islam : Badr, occuperont une place prestigieuse dans la mémoire des musulmans. Il a fallu connaître exactement la position de chacun lors de ces événements. L'historiographie naît pour répondre à ce besoin… des antagonismes politiques ont surgi sur des idées religieuses, mais à travers lesquelles le fond tribal réapparaît. Ainsi on retourne au passé tribal, on le ressuscite et on le met en valeur pour appuyer des prétentions politiques et s'assurer de sa place dans le nouveau monde. De là est née la seconde forme originelle de l'historiographie musulmane"[(14)]. La première tentation des arabes de s'intéresser à l'histoire remonte à la fin de IIIe siècle, à cette époque les musulmans commençaient à conserver les paroles et les gestes du prophète Mohamed par la collecte des témoignages pour restituer sa vie. Mais le début de l'historiographie arabe est marqué par la mise en évidence de la biographie des personnages. En effet, l'histoire est apparue comme une sorte de sauvegarde des héros militaires ou religieux. C'est ainsi les historiens du IIIe siècle s'intéressaient plus à l'examen du degré de solidité des rapporteurs qu'au contenu de leurs récits. Il en résulte « dès ses origines, l'historiographie musulmane restera toujours marquée. Même lorsqu'elle s'affranchira, elle gardera un goût prononcé pour les notices biographiques de toutes sortes, conséquence de la formation intellectuelle des auteurs. Certains ouvrages qui s'intitulent <histoire> ne

construire une histoire par les arabes. En effet, le respect de la généalogie des tribus arabes et leur patrimoine poétique et linguistique constituent la condition essentielle de l'historiographie arabe. Selon Ibn Khaldoun cette méthode a abouti à

des erreurs méthodologiques. Parmi ces erreurs nous citons la répétition des événements antérieurs sans les reconstruire à la lumière des questions du présent. En outre, les auteurs antérieurs restent enfermés à une histoire légendaire qui illustre des préjugés politiques et idéologiques. A cet égard abdesalemCheddadi avait signalé que « c'est seulement alors qu'on peut disposer d'une histoire débarrassée des erreurs, des incongruités, des préjugés politiques ou idéologiques, et des légendes de toutes sortes qui s'y glissent. L'histoire ainsi obtenue est une histoire reconstruite, ou du moins réécrite sur la base de la confrontation des récits des historiens avec les réalités véritables qui sont censées sous-tendre ces récits, et qui ne peuvent être atteintes que grâce à la science de la société de la société et de la civilisation»(10). Néanmoins ces erreurs ont cessé d'apparaître comme fondement de l'historiographie arabe qu'en apparence. « Cette forme originelle de l'historiographie musulmane fut certes

Ceci a contribué à l'émergence d'informations antithétiques, dans la mesure où les démarches et les méthodes pendant cette période ne se basaient pas sur un critique historique de ce qui a été transmis par les témoins antérieurs, mais par la restitution des grands événements qui illustraient les triomphes des tribus arabes dans leurs combats. Donc, les conditions politiques et culturelles ont crée une historiographie arabe dont l'émergence a été liée à un effort constant en vue de constituer une idéologie communautaire. « L'effort déployé pour connaître la vie, les combats et la tradition du prophète, qui est à l'origine de l'historiographie a, en fait, pour objectif la réalisation de la Umma le doit l'être, dans l'esprit et dans la pratique »(12).

Par ailleurs, l'instauration du calendrier hégirien par le second calife Umar(13) est considérée particulièrement comme le point de départ de la tradition historiographique arabe. Ce calendrier a permis aux arabes de situer les événements dans une chronologie linéaire. En effet, la datation était quasiment absente dans les récits antérieurs. Mais, ce calendrier n'a pas résolu le problème de « Taklid » reproché par Ibn Khaldoun.

récit à cette époque se présentait comme une simple succession d'événements dans un ordre chronologique dépourvu d'une historicité qui liait le passé et le présent. « Si toute chronologie rigoureuse est absente, les indications temporelles - âge des héros, durée des règnes et de certains événements important- sont nombreuses. Le déroulement historique est présenté selon l'ordre chronologique, aussi bien pour les époques les plus proches que pour les périodes fondatrices. L'antériorité et la primauté, connotant des valeurs positives, sont soigneusement marquées, de même que les successions et les étapes »(6).

**1-1- Origine de l'historiographie arabe:**

Pour conserver les actes et les paroles du prophète et mémoriser le passé prospère des tribus arabes, ces derniers ont senti la nécessité de construire leur propre histoire. Ces deux traditions constituent les origines d'une première forme de l'historiographie musulmane. Hichem Djaît remonte le passage de l'histoire orale à l'histoire écrite à l'époque abbasside, il notait « apparemment, l'âge de la consignation par écrit (tadwin) remonte aux abbassides (entre 130 et 140) : un siècle entier le sépare des faits qui nous sont narrés. Non qu'il n'y ait pas un effort de collecte du matériel et de mise par écrit à l'époque omeyyade, mais cet effort restait

parcellaire, et les résultats de plus médiocre intérêt que ce qui allait s'écrire plus tard »(7). Par ailleurs, avant le XIIIe siècle, l'écriture de l'histoire est caractérisée par la récitation des événements relatifs au patrimoine tribal, poétique et linguistique, en suivant toujours une généalogie qui a justifié l'authenticité des récits. Alors, il ne s'agit pas d'une histoire scientifique basée sur l'analyse et la critique. « Ces origines ont donné lieu à la première forme de l'historiographie musulmane : l'histoire du « Kabar », récit d'un événement particulier par une chaîne de témoins selon une méthode particulière utilisée par les sciences religieuses : le Isnad (vérification de l'authenticité d'un récit au moyen d'une chaîne de garant) »(8). Dans son ouvrage intitulé « prolégomènes », Ibn Khaldoun a commencé par un préambule où il a précisé le sens de l'histoire et a identifié les erreurs de ses prédécesseurs. Selon lui les grands historiens de l'Islam ont recueilli exhaustivement les récits des jours glorieux, ils les ont regroupés et consignés dans leurs livres. Leurs erreurs sont de ne pas avoir observé les changements et les causes des événements, ils ne les ont guère pris en considération et ils n'ont même pas refusé les traditions les plus manifestement fausses.

Le « Taqlid »(9) c'est-à-dire l'acceptation des actes, des paroles ou des récits d'un autre comme faisant autorité, représente la seule démarche pour dépassés, à partir du IIIe siècle notamment, mais seulement en apparence. Une forme que les Maîtres par leur autorité ont conservé et perpétuée »(11)

Le début de l’historiographie arabe est marqué par la collecte fidèle des paroles des personnages religieux et les héros militaires sans vérifier le contexte historique dans lequel elles sont dites.

## Introduction:

Ibn Khaldoun, qui a analysé l'histoire des berbères, a proposé une étude globale de la réalité maghrébine, qui prend en compte le cheminement du temps entre le passé et son époque (XIV siècle). Claude Horrut notait que « Lorsqu'Ibn Khaldoun, dans les chapitres centraux de la Muqaddima, analyse tantôt les champs sociaux, tantôt l'espace du politique, tantôt l'espace économique ou culturel, il pense à l'histoire de tout le Maghreb, des temps les plus anciens jusqu'au XIVe siècle»(2). Ainsi, Ibn Khaldoun a essayé de rectifier l'historiographie arabe en préconisant l'interprétation des faits historiques et la nécessité de les replacer dans leur contexte du développement humain. La Muqaddima(3) apparaît comme un régulateur des récits de ses prédécesseurs comme Ali ibn Alhoussein Al-Messaoudi (885-956) et mohamed Ibn Jarir Al-Tabari (839-922). L'histoire est une évolution perpétuelle dans le temps, l'historien dans ce sens serait soucieux de comprendre les événements en cherchant leurs origines dans le passé et leurs répercussions dans le présent. Ibn Khaldoun a souligné, à ce propos que « en fait, l'état du monde et des nations, leurs us et leurs coutumes, ne se subsistent pas d'une manière uniforme et ne suivent pas une voie rectiligne. C'est au contraire une suite de changements qui se succèdent au fil du temps, un passage perpétuel d'un état à un autre »(4). De ce fait, Ibn Khaldoun a réfuté la méthodologie classique de ses prédécesseurs, qui est basée sur la critique externe des chaînes de transmetteurs et propose une critique interne de ce qu'ils ont transmis. Dans ce contexte il a affirmé que « l'histoire n'est, en apparence, que le récit, la narration passive des événements politiques, des dynasties et des circonstances du lointain passé …cependant, vue de l'intérieur, l'histoire a un autre sens. Elle consiste à méditer, à s'efforcer d'accéder à la vérité, a expliqué avec finesse les causes et les origines des faits, à connaître à fond le pourquoi et le comment des événements. L'histoire prend sa racine dans la philosophie, dont elle doit être comptée comme une des branches »(5).

### 1- L'historiographie arabe jusqu'au XIVe siècle :

L'historiographie arabe classique, à la veille de la conquête arabe, se caractérise essentiellement par la collecte de témoignages pour chercher l'authenticité des faits et des récits. Il semble que la juxtaposition des textes qui élucident la validité des événements marquants, distingue l'historiographie arabe mais cet assemblage de témoins n'était pas accompagné d'une mise en évidence de la temporalité des récits.

# L'historicité de l'historiographie arabe

**dr. Zaoui Nejib**
zaouinejib@yahoo.fr
**Institut supérieur des études appliquées en humanités de Gafsa**
**Université de Gafsa. La tunisie**

**Résumé**

Bien entendu, Ibn Khaldoun a essayé de rectifier l'historiographie arabe en préconisant l'interprétation des faits historiques et la nécessité de les replacer dans leur contexte du développement humain. La Muqaddima(1) apparaît comme un régulateur des récits de ses prédécesseurs comme Ali ibn Al-Houssein Al-Messaoudi(885-956) et Mohamed Ibn Jarir Al-Tabari (839-922). L'histoire est une évolution perpétuelle dans le temps, l'historien dans ce sens serait soucieux de comprendre les événements en cherchant leurs origines dans le passé et leurs répercussions dans le présent.

**Mots-Clés : Historiographie, récit historique, imitation, historicité.**

## التأريخ في كتابة التاريخ عند العرب

**ملخص**

مّما لا شك فيه سعى ابن خلدون إلى إعادة النظر في كتابة التاريخ عند العرب داعيا إلى ضرورة تحديد الإطار التاريخي للأحداث. لذلك بدا الأسلوب التاريخي للمقدمة مخالفا لما جاء به المصمودي ( 885–956 ) و الطبري (839 – 922). إذا كان التاريخ حركة دائمة في الزمان فالمؤرخ مهووس بفهمها باحثا عن أصولها في الماضي ومدى تأثيرها في الحاضر.

**الكلمات المفاتيح: كتابة التاريخ، القصة التاريخية، التقليد، التأريخ .**

## The historicity of the Arabic historiography

**Abstract**

It is no doubt that ibnKhaldoun attempted to review arab writing oh history. He invited them to take into consideration the historical framework of the events. That's why al-muquaddima, as opposed to Messaoudi's (885-965) and tabary'swritings, seemed to devote much concern to history. Yet, if history is a continual movement in in the past and study its impact on the present.

**Key words: Historiography, historical story, imitation, historicity.**

time, the historian's role, therefore, is to understand it, dredge up for its origins in the past and study its impact on the present.

Bassnett, S. (ed.) (1997) *Translating Literature*. Cambridge: D.S. Brewer.

Bassnett & Lefevere (eds.). (1992). *Translation History and Culture: A Source book*. London: Routledge.

Bassnet & Thrivedi. (eds.). (2002). *Post Colonial Translation: Theory and Practice*. London: Routledge.

Bassnet, S. (2002). *Translation Studies*. London: Rutledge.

Bertens, H. (1995). *The Idea of the Postmodern: a history*. London & New York: Routledge.

Bonnefoy, Y. (1979). On the Translation of form in Poetry, *World Literature Today*.

Brisset, A. (1989) In Search of a Target Language, *Target 1*.

Brislin, R. W. (1976). *Cross-Cultural Orientation Programs*. New York: Gardener Press.

Brooks, C. (1947). The Well- Wrought Urn. New York: Reynal and Hitchcock.

Burnside, J. (2006). Mind the Gap on Reading American Poetry: *Poetry Review*. 96 pp. 56-67.

Cao, D. (2007). *Translating Law*. Clevedon: Multilingual Matters LTD.-

Connolly, D. (1998). Poetry Translation, In Mona Baker (ed.) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies (1st edition)*, London & New York: Routledge, pp. 170–6.

Cudden, J. A. (1976). *The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory*. England: Penguin Reference.

Cutter, M. J. (2005). *Lost and Found in Translation*. Chapel Hill: The University of North California Press.

Derrida, J. (1992). *Act of Literature*. London: Routledge.

## References

Anderman, G., & Roger, M. (eds.) (1999). *Word, Text, Translation*. Clevedon: Multilingual Matters LTD.

Anderman, G., & Roger, M. (eds.) (2003). *Translation Today: Trends and Perspectives*. Clevedon: Multilingual Matters LTD.

Anderman, G. (2007). *Voice in Translation*: Bringing Cultural Divides. Clevedon: Multilingual Matters LTD.

Aranda, L. V. (2007). *Translation Strategies and Techniques: Handbook of Spanish English Translation.* Lanhalm Maryland: University Press of America.

Aziz, Y. Lataiwish, M. (2000). *Principles of translation*. Benghazi. Dar Anhda Alarabia.

Baker, M. (1992). *In Other Words: A Coursebook on Translation.* London: Routledge.

Baker, M. (ed.) (2001). *Routledge Encyclopaedia of Translation Studies.* London: Routledge.

Ba-Jubair, N. (2011). *JICOT 2 (Jordan International Conference on Translation).* The Second International Conference on Translation. Translatability of Classical Arabic Poetry into English: Al-Baraduni's from Balquees Land, An Example. pp. 39-50. Amman: Petra University.

and speaking and each language embraces the way of thinking. And, translators have the choice to become closer to either the source language or the target language.The third approach stands between the first and the second. It emphasizes on the possibility to translate since each language has its individuality and its own way of expressing things.

The leeway to translate,the unfeasibility to translate, and the translatability of meaning and words in any case are in between translatability and culture. The extent of the text is embraced in its culture and the distance which exists between the source text and the target audience. Snell-Hornby (1988: 44) says:The extent to which a text is translatable varies with the degree to which it is embedded in its own specific culture, also with the distance that separates the cultural background of source text and target audience in time and place

## 6.Conclusion

Poetry translation is too demanding form the translator , and very fruitful for the language.It is for demonstrating a special relationship between form and meaning and signifier and signified. Translation of poetry is by critical thinking abilities and special writing capabilities. As it is the most complicated sort of literature in translation. However, translating poetry to poetry needs a special talent. **Translating literary works is difficult, but translating poetry is the most difficult and demanding of all the types of literature**

**Moreover, translating poetry requires judgment, taste, skill, rapidity of thought, and the most intense concentration of the attention. In reality, the scholars who emphasize on the impossibility of translating poetry depend on the difficulty of rendering connotative meanings which are the heart of poetry and a crucial part of the cultural meaning of the source language.In this vein, Baker (2001: 171) claims "Poetry represents writing in its most compact, condensed and heightened form, in which the language is predominantly connotational rather than denotational and in which content and form are in separably linked." At this point, Baker highlights the difficulty of poetry translation Translating poetry is impossible because it is hard to communicate the culture and tradition of the source language in the target language. As the poem undertakes different implicit,explicit,denotative and connotative meanings, the translator is just a reader.**

## 4. Treachery and the Possibility of Translating Poetry

Translatability is the ability to transfer meaning from one language to another without resulting with a radical change.Though, translatability is in the expressions of the source text and the meanings that exist in
the source language which are a subject of translation.
Pym (1992) and Turk (1991) add that translatability works in three ways :
-The rationalists highlight on the universality of meaning, i.e., they believe that thinking and speaking are said to be loose. This implies that meanings and their representations are always translatable.- The relativists accentuate, on the other hand, on the bound relation between thinking

strategies which translators have recourse to when faced by a cultural gap or what some may call translation loss are recognized as sound translation mechanisms aside from translation practice which portrays that it is possible to translate.
Translation poetry is an unattainable commission when the form of the source text is conserved rather than the content since translation can never be a copy of the source text in the target language.

**Translating poetry is an impossible mission, it disfigure the essence and beauty of poetry; Frost argues that "Poetry is what gets lost in translation." This famous quotation implies that poetry and any literary form misplaces its meaning when translated. In fact, according to the followers of this trend, translation is an impossible necessity for which all the translators are confronted with irresolvable translation dilemmas.Osers(2011) explains the famous saying of Robert Frost differently by proclaiming that tending to translate poetry is a kind of wisecracks; an opinion which was granulated by Oser who argued that if the translator opts for the different alternatives related to the poem he may gain in translation. Moreover, Barnstone differentiates between a writerly translation and a readerly translation since the first is creative, cautious, imaginative; it is not passive, rigid and literal.**

**It suggests that poetry by no means is translated as it has some textual features like meter,rhythm and rhyme which make it more difficult to be translated than prose without for getting its imagination, rhetorics, and succinctness.**

### 3. Honesty and the Possibility of Translating Poetry

Untranslatability of poetry is for denoting the vicinity at which intercultural uniformity does not exist. For Catford (1969) intercultural non - equivalence is the foundation untranslatability because there are cultural features which are relevant to the Source Language ,but they are absent in the Target Language. It is where making bursting correspondent is tough if not impossible. If an interpretation of translation as formulated in language, it does not exist in isolation, but as a part and parcel of this language, then its correlative and cannot be isolated from the overall system of itself. **Ricoeur (2006)**

**states that the resistance to the work of translation is because the translator is confronted with a lot of difficulties in different stages even before he starts dealing**

**with the text which leads to untranslatability. It entails that the translator is surrounded by barriers that are sprinkled all over the text he will translate.** In this way, **poetry represents** to the trouble of isolating sense and vibrancy on . What's more, the source language and **the target language have neither the same cultural legacie snor the connotative meanings. This may put the translator between two main controversies; faithfulnessand betrayal and in order to be free of this quandary, it is better to consider a good translation as the one which only aims at equivalence. Whether to translate the word or the meaning, the thought or the language, the spirit or the word are the problems which make some scholars perplexed.**

The accord seems that unconditional untranslatability does not exist disregarding idiosyncratic elements of each language. The debate on translatability versus untranslatability loses part of its legitimacy, since the different

## 1.Introduction

Poetry translation has been a subject of discussion for centuries. Scholars and translators point out to the difficulty of translating poetry. Some claim that it is not translatable and that the translator does not need to try because when it is not possible. Others emphasize the viability of poetic translation by using some strategies, and and also by oscillating between the two languages , that is, strong adherence to the rules of source language, and the adaptation of the rules of source language to the language of the target language

## 2. Translating poetry: text and context

Translating poetry is not a standing maneuver of abstract language in a null and void, but as a vibrant forthcoming affair taking place at a certain time and place. Similarly, a translator is not seen simply as a mechanical decoder and re-coder of messages, but as a communicator and a mediator, who is involved in a process of negotiating meanings in an effort to transfer information that may have been intended for different readers and purposes in a new social situation. Thus, transformations in form and function are an integral part of the nature of translation. The direction was directed towards the translation context. There is an escalating emphasis on the study of actual transitional manners, reception and impact of texts on the real world.

# Translation of Poetry: Trends and Perspectives.

CHAAMI Amine
Universiry Center of Aflou-Algeria

Abstract:

It is very complicated to find a comprehensive definition of translation, It is an art characterized by creativity to transfer a picture or word to another word and word in a second language. This applies also to literary translation, especially poetic ones, contrary to scientific or political translation, it is possible to control the words according to the culture of the linguistic and grammatical translator. It is also necessary that the translator be familiar with the two languages translated from it and with modern techniques and advanced in the art of translation and b a high degree of culture in different walks of life so that he can access the world and imagination of the poet or the writer to translate the text. This is what many critics and scholars have reached for this literary color, and it does not just convey words; literal translation does not give the translated text its right or artistic color, its extent and impact in its original language. Literary translation is perhaps one of the most difficult types of translations. It relies heavily on the taste and the imagination of the writer. He was a poet, a poet or a novelist, and this in itself requires a creative spirit to be the image of translation and literary material. The latter depends on what he studied and read and what he studied in the stages of studying the language, but if he is a poet, too many images and meanings will change but without prejudice to the essence of the translated text

**Keywords :** *poetry*, Literary translation, *translation*, languages, treachery and honesty

**الملخص**:

من الصعب جداً أن نجد تعريفاً شاملاً للترجمة ،فهي فن يتميز بالإبداع لنقل صورة أو كلمة إلى كلمة أخرى او صورة أخرى في لغة ثانية. ينطبق هذا أيضًا على الترجمة الأدبية ، وخاصةً الشعرية ، على عكس الترجمة العلمية أو السياسية ، فمن الممكن التحكم في الكلمات وفقًا لثقافة المترجم اللغوي. وانه لمن الضروري أيضًا أن يكون المترجم على دراية باللغتين المترجمتين عنه ، ومع التقنيات الحديثة والمتقدمة في فن الترجمة ، ودرجة الثقافة العالية في مختلف مناحي الحياة حتى يتمكن من الوصول إلى خيال الشاعر. أو الكاتب لترجمة النص. ، ولا ينقل الكلمات فقط ؛ لا تعطي الترجمة الحرفية النص المترجم لونه الملائم أو الفني ونطاقه وتأثيره في لغته الأصلية ، ومن الصعب معالجة الترجمة حيث أن صرامة القواعد قد تكون حاجزًا أمام بناء النص المترجم. وربما تكون الترجمة الأدبية واحدة من أصعب أنواع الترجمات. انها تعتمد بشكل كبير على طعم وخيال الكاتب. كان شاعرًا أو شاعرًا أو روائيًا ، وهذا في حد ذاته يتطلب روحًا خلاقة لتكوين صورة للترجمة دون المساس بجوهر النص المترجم.

**الكلمات المفتاحية**: الشعر ، الترجمة الأدبية ، الترجمة ، اللغات ، الخيانة والامانة

## Bibliography


- Beddall, F., A History of Britain, England, Pearson Education Limited, 2006.
- Bruce, M., The Coming of the Welfare State, Great Britain, B. T. Batsford LTD, 1968.
- Coates, D., TheLabour Party and the Struggle for Socialism, Cambridge University Press, 1975.
- Davis, M., Comrade or Brother? A History of the British Labour Movement (1789-1951), London, Pluto Press, Second Edition, 2009.
- Martin, H., Britain since 1700, London, Longman Group LTD, 1968.
- McDowall, D., An Illustrated History of Britain, Great Britain, Longman, 1989.
- Pelling, H., A History of British Trade Unionism, Great Britain, Penguin, Books LTD, 1963.
- Pelling, H., The Origins of the Labour Party, Great Britain, Oxford University Press, 1969.
- Phillips, G., The Rise of the Labour Party 1893-1931, London, Routledge, 1992.
- Plowright, J., TheRoutledge Dictionary of Modern British History, Great Britain, Routledge, 2006.
- Plumb, J. H., England in the Eighteenth Century, England, Penguin Books, 1963.

- "*Socialisme*" Encyclopédie Encarta, Microsoft with Encarta, 2009, (DVD).

**A distinct labour group in Parliament who shall have their own whips and agree upon their policy, which must embrace a readiness to cooperate with any party which for the time being may be engaged in promoting legislation in the direct interest of Labour…**[1]

This committee was composed of two members from the I. L. P., two from the S. D. F., one member of the Fabian Society and several trade unionists. In the election of that year, the L. R. C. put up fifteen candidates and only two of them were elected to the House of Commons. Regarding its objectives, acting on labour'sbehalf, the Committee's membership raised to 861,000 by 1903.[2] In the 1906 general election, the L. R. C. put forward 50 candidates among whom 29 members were elected as MPs. The same year the L. R. C. was renamed the Labour Party.

## Conclusion

This was how the Labour Party came into existence by establishing itself as the political voice of the working-class. Trade unions had played an important part first in leading the labour movement and determining its political objectives, and second in the formation of the Labour Party by sponsoring it. So, unlike the other British political parties, Labour appeared first as a political movement which originated outside Parliament. The Party had no well-defined programme and no 'officially accepted socialist commitment', but rather it represented the parliamentary expression of trade union aspirations to improve their legal position within capitalism and to protect and advance the immediate and tangible interests of the working class. These interests were also determined by the trade union leadership because for most of the Party's members socialist causes were not of great urgency.

H. Martin, *op. cit*., p. 238.[1]
H.Pelling, The Origins of the Labour Party,*op. cit*., p. 215.[2]

The emergence of such socialist societies in Britain encouraged the working class struggle to be politically independent because the socialists had become essential to their vitality.[1] Indeed, because of the similarity of interests, trade unionists began to turn against liberal employers, particularly in the industrial centers, in the struggle for a living wage and improved rights and working conditions. In addition, the senior-councils of the Liberal Party proved unresponsive to the trade union movement's growing need for legal protection in the face of a hostile judiciary.[2] Moreover, many voters and Liberals believed that working men did not fit to be MPs. The weakness of the Liberal Party, stemming from the internal dissention after Gladstone's retirement as Prime Minister in 1894, was another reason for the unions not to depend on the Liberals to push forward labour interests. Accordingly, the political alliance between the trade unions and the Liberal Party that had begun to erode, broke down eventually. The unions drifted towards creating an independent working class political party, which sought "the public ownership of the means of production, distribution and exchange."[3]On the top of these groups of men was KeirHardie, a miners' leader who was determined to maintain his independence as a representative of the working class. He became an MP in 1892 and one year later he established with others the Independent Labour Party (I. L. P.). Socialists and trade unionists joined together aiming, in the first place, at forming a distinct class party which would be independent of the Liberal and the Conservative parties and which would be able to support its candidates at parliamentary and local elections. The I. L. P. did not have a large membershipand was defeatedin the 1895 general election. K. Hardie concluded that it would be necessary to join other left-wing groups (T. U. C. and the Fabians) in order to secure the majority of votes in the future parliamentary elections.

Eventually, this was put into practice on 27th February 1900 when a special conference of all representative groups of the labour movement (the I. L. P., the S. D. F., the Fabian Society, trade union representatives) met in London' s Memorial Hall to form a Labour Representative Committee (L. R. C.) with the aim of establishing:

[1] G. Phillips, *op. cit.*, p. 9.
[2] D., Coates, TheLabour Party and the Struggle for Socialism, Cambridge University Press, 1975, p. 8.
[3] G. Phillips, *op. cit*., p. 9.

his pamphlet, T. Mann appealed for the trade unions to adopt another policy in order to help defend the workers' interests. He stated:

> **To trade unionists, I desired to make a special appeal. How long, how long will you be content with the present half-hearted policy of your unions?... None of the important societies have any policy other than endeavouring to keep wages from falling... in fact the average unionist of today is a man with a fossilized intellect, either hopelessly apathetic, or supporting a policy that plays directly into the hands of capitalist exploiter.**[1]

More important was H. H. Champion, a member who in 1888 launched a weekly paper; the Labour Elector, to advocate a policy of forming an independent labour party.

The S. D. F. played a prominent role in the unemployment riots in London in the years 1886 and 1887, but this was doomed to failure when many of its members including Hyndman were arrested. In the 1890s, Mann and Burns with other trade unionists left the organization for they felt ignored. This reduced the S. D. F. to a small group. Nevertheless, it was considered as the first step in independent class politics and class struggle to form a political party proper to represent labour.

Another organization that had an important part in spreading and developing the socialist ideas and also in paving the way later to the establishment of the Labour Party was the Fabian Society. It was formed in London in 1884 under the leadership of FrankPadmore. According to the view of its future secretary Edward R. Pease, the Fabian Society was set up against the revolutionary views expressed by the S. D. F.[2] Instead, it was for socialist change which could be attained through constitutional means. Immediately upon its conception, it began to attract many prominent middle class and intellectual figures like G. B. Shaw, Sidney Webb, Sydney Olivier, Annie Besant, and Ramsay MacDonald. They all aimed at setting up a democratic socialist state in Britain by trying to convince people and educating them along socialist lines by means of meetings, lectures, publishing books and pamphlets. Therefore, under their influence, the Fabian Society developed a distinctive policy of its own.[3]

---

[1] H.Pelling, A History of British Trade Unionism, Great Britain, Penguin, Books LTD, 1963, p. 84.

[2] H.Pelling, The Origins of the Labour Party,*op. cit.*, p. 34.

[3] *Ibid*, p. 37.

The main point was the 1873 economic depression, the repercussions of which lasted till the end of the nineteenth century. The *laissez-faire* capitalism, that had permitted a steady increase of wealth to the country, was put into question as the industrial profits were reduced due to foreign competition. Economic prosperity became a thing of the past, and thus poverty prevailed. Henceforth, this period brought about widespread unemployment and great distress. The existence of bad living and working conditions could no longer be ignored despite the fact that it was not worse compared to the earlier times. This resulted in the fall of the popularity of capitalism.

Influenced by the impacts of the "Great Depression", the period was marked by a transformation in the economic thought. There was an advance towards socialism; the doctrine that promotes more state influence, social justice and cooperative progress in order to have a self-sufficient community. One of the most important ancestors of socialism in Great Britain and often considered as its pioneer was Robert Owen.[1] The latter was the owner of the New Lanark cotton mills who believed that labour was at the basis of making good profits, and therefore providing better working conditions, wages and shorter hours would be productive. He tried to apply this into his industry in the 1820s and 1830s. Although his ideas did not emphasize public ownership of the means of production, they paved the way for the growth of socialism in the following decades. Indeed, the socialist revival in the 1880s came after realizing the need for labour to break up of the Liberal Party in favour of founding a new independent party, based on collectivism and which would secure direct parliamentary representation of labour.

In order to address the social problems at home, various socialist organizations were established. One of these was the Socialist Democratic Federation (S. D. F.), founded in 1881 by H. M. Hyndman who was influenced by the writings of Karl Marx and Friedrich Engels.[2]K. Marx and F. Engels held the view that communism based on social equality would occur through revolution of the working classes against the controlling classes. The S. D. F. succeeded in exerting an influence on many young artisans in London due to its socialist programme, which included among other points, attention to labour interests and the common ownership of land.[3] Among them were two members of the Amalgamated Engineers; Tom Mann and John Burns. In

"Socialisme."Encyclopédie Encarta, Microsoft with Encarta, 2009, (DVD).[1]

M. Davis,*op. cit.,* p. 66.[2]

H.Pelling, The Origins of the Labour Party,*op. cit.,* p. 17. [3]

working class, which had been voiced since the 1860s, grew louder as the number of trade unions recruited in the T. U. C. increased rapidly.[1]

## 3. The Birth of the Labour Party

The creation of the Labour Party was the outcome of a long nineteenth-century tradition of working-class politics that had repeatedly struggled to defend the workers' rights and improve their living conditions through organized trade unions and socialist societies.The idea of common class interest dominated the organized working class throughout the last quarter of that century.

The widening of the franchise in 1867 and 1884 to city and countryside workers was expected to lead to great changes in government since workingmen constituted a majority of the electorate. However, labour was not yet represented in Parliament let alone being allowed to form an effective party acting in their name and interest. Even the few working people who stood in the 1868 election were heavily defeated at the polls.[2] Parliament remained dominated by the existing political groups; the Conservatives and the Liberals. Despite the lack of financial backings and support, attempts were made later by some workers to put up in the parliamentary election working class candidates, however they were unsuccessful. Their failures were also due to the unwillingness of the Whigs and the middle class men to be represented by working men. Increasingly, activists in the trade union movement became convinced and more interested to move to the political field to defend their interests and to act on behalf of the whole social class. Consequently, the unions accepted political dependence on the Liberals. In 1874, the Liberal Party endorsed some trade union sponsored candidates; Alexander MacDonald and Thomas Burst, both of whom were miners. Later they were joined by other workers and were all known as Liberal-Labour or Lib-Labs. These MPs were expected to give loyal support to the Liberal causes and administrations.[3]In the same respect, they and the union movement from which they sprang believed clearly and consciously that the interests of the working men could be advanced within the Liberal Party. This was how the battles of trade unions became political.

As far as the economy was concerned, considerable change took place in the course of the 1880s.

[1] M. Davis, Comrade or Brother? A History of the British Labour Movement (1789-1951), London, Pluto Press, Second Edition, 2009, 115.

[2] G. Phillips, *op.cit*., p. 2.

[3] *Ibid*., p. 5.

Responding to the T. U. C. activities, William Gladstone's Liberal Government enacted two acts, in 1871, in favour of the trade unions which became more powerful to express their grievances. Under the Trade Union Act and Criminal Law Amendment Act, the trade unions were made legal and were given the right to protect their funds, but at the same time, they were prevented from picketing. Following this, the agricultural labourers and the railwaymen organised themselves to form their own unions. Moreover, in 1875 the Conservative Government gave the trade unions the legal protection they needed through two acts which allowed peaceful picketing and did not regard the breach of contract as a criminal offence.

Coinciding with the trade depression that began in the late 1870s, the membership of the unions represented in the T. U.C. collapsed dramatically.[1] However, starting from 1888 mass new unionism of unskilled workers began to be founded. This was a transitional phase during which the T. U. C. was transformed from a body that had represented respectable skilled workingmen seeking to improve their status in the economy, to an organization actingfor the benefit of the whole working class. An example of this kind ofunions was the Gas workers and General Labourer Union that was formed in 1889. As the boundaries of trade unionism widened, the T. U. C. became stronger and in a position that allowed it to emphasize its demands. The T. U. C. expressed its supportfor the dockers when they held a strike in 1889 to protest against the low wages and the long working hours. Consequently, the strikers succeeded in getting their claims (working for eight hours per day) fulfilled and this was considered a great victory for them.

In fact, it was the need for social change that enhanced the rise of political consciousness among the working class men. The formation of the trade unions was a good example that showed how workers became aware that their rights could be achieved only by getting representation in Parliament. To this end, the leading trade unions set up some national bodies like the Labour Representation League in 1869 and the Labour Electoral Association in 1889, whereby they might secure entry into Parliament for labour spokesmen, but neither body obtained the substantial backing of the movement.[2] The demand for the parliamentary representation of the organized

*Ibid.*,p. 4-5.[1]

G. Phillips, The Rise of the Labour Party 1893-1931, London, Routledge, 1992, p. 4.[2]

This provided a good opportunity for the National Reform League, formed in 1864 to seek universal male suffrage, and reinforce its demands. The organization succeeded in agitating the popular support for reform. This in turn culminated in serious disturbances that caused widespread consternation, including the Hyde Park Riots in London in 1867 when demonstrators for reform were prevented from meeting in the Park. Meanwhile, the politicians had taken over the initiative to discuss how to settle the problem. Attempting to increase its popularity, the Conservative Government led by Lord Derby and Benjamin Disraeli came out in 1867 with a Reform Act that gave the vote to all borough householders. For the first time, workingmen in the industrial districts had the right to vote. Despite this, agricultural labourers were still disenfranchised. The deficiency of the Second Reform Act was corrected by the third Reform Act of 1884, which extended the term of the franchise to householders of the countryside and divided the country into constituencies equal in size. Eventually, the pressures imposed first by the Chartists and then by the workers to gain their democratic rights were contained.

The extension of the franchise granted workers the right to vote, but other rights such as the right to strike still were not permitted. The second half of the nineteenth century saw more labour organizations claiming for their rights and enabling them to have their autonomy. During this period, the trade unions had made great progress.

In 1851, the Amalgamated Society of Engineers was formed as the first of New Model Unionism. The latter was a merged union for skilled men organised at a national level. The aim of this union was to gain recognition for the status of its members and legal protection. This meant that the unions, or more specifically the workers, became more conscious that there was a need for a national organization, which would unite them and present their common interests. Effectively, in 1868 thirty-four delegates representing 118.000 trade unionists met in Manchester and agreed that annual meetings should be held for the purpose of developing class solidarity among the workers and securing a say in the political matters that concerned labour as a whole.[1] This body was established under the name of the Trades Union Congress (T. U. C) and was accepted as the mouthpiece of trade unionism that would take the lead in applying political pressure.

[1] H.Pelling, The Origins of the Labour Party, Great Britain, Oxford University Press, 1969, p. 4.

get rid of poverty. The working classes, in addition, were angry at the imposition of the workhouse system under the New Poor Law of 1834. Therefore, the main aim of Chartism was to achieve a system of government responsive to the needs of the working people, because it was argued that workers could not expect justice until the House of Commons represented their interests.[1]

As a movement of general protest, Chartism had changed and developed through the course of time. In February 1839, the Chartist convention met in London. The attendants delivered their first petition to Parliament which was rejected by the House of Commons in July of the same year. Following this, a Chartist rising took place in Newport in November ending in a confrontation between the Chartists and the soldiers. Consequently, most of the movement's leaders were arrested. Despite this, Chartism continued to exist throughout the economic crisis in 1841. In 1842, another petition with over 3,000,000 signatures was rejected by the Commons.[2] As a result, people in the industrial areas rioted and struck. The years 1846, 1847 and1848 saw bad harvests, high prices and a commercial crisis that hit the industry and it was in this period that Chartism was most active. After a great demonstration in London, a third Chartist petition was presented in 1848, but it was again rejected.

This was the end of Chartism as a mass movement. It lost its strength for many reasons. One among these was the poor leadership and splits in the body of the movement over its aims. The lack of supporton the part of the middle class and MPs was also an obstacle in front of the movement's progress. Besides, the late 1840s witnessed improving conditions for the working class, which meant less social discontent and bitterness. Though it failed to realize its goals, the Chartist movement was generally diverse and orderly and at the basis of generating some ideas that were later essential to the process of parliamentary reform.

After 1850, Britain overcame its economic crisis and entered a period of prosperity. Most people enjoyed better conditions and thus the popular demand for parliamentary reform became a dead issue in the country. Generally speaking, no serious attempt towards reform was made until 1866. That year was the end of the economic boom and the beginning of another financial crisis that led to the collapse of important banks in England.

J.Plowright,TheRoutledgeDictionary of Modern British History, Great Britain, Routledge, 2006, p. 62.[1]
H., Martin, *op. cit*., pp.214-15.[2]

with rights and claims. As a result, political consciousness rose among the working class and this period was a period of political unrest in the industrial areas.

Until 1832, workers and new middle classmen had been excluded from Parliament. This was an obstacle which prevented the workers from reforming their social conditions in Britain. For a long time, getting representation in British Parliament was limited to people who owned property worth forty shillings.[1] Moreover, the Tories who had been governing the country since 1815 were totally opposed to any reform of Parliament. However, unemployment and discontent on the part of middle class and working class reformers, stemming from the economic depression of 1829 and fearing that this would lead to revolutionary outbreaks, forced the Tories who had initially opposed the reform to give way. In 1832, the middle class got the vote, but no vote was granted to the working class.

The 1832 Reform Act did not satisfy the working class radicals. Workingmen, whose support had helped to compel Parliament into passing the Act, were ignored. Consequently, they turned to politics to further the cause of parliamentary reform in order to solve their problems. One of the political movements that rose at that time was the Chartist movement. It was the first large scale organised working class movement that called for political equality and social justice. Its demands were enumerated in a Charter written in 1838 by William Lovett. The latter was the secretary of the London Working Men's Association that was formed in 1836 with the aim of improving the economic conditions of the workers especially after the run of bad harvests. At a national convention of workingmen's organizations in August 1838, the Chartists agreed to adopt the Charter as its official paper. "Annual Parliaments, the vote for all men, equal electoral districts, removal of the property qualification for MPs, the secret ballot and payment of MPs" were the points included in the Chartist programme that generally called for changes in the parliamentary system.[2] Although it was not a revolutionary movement, Chartism was a popular one among the working classes particularly in Northern England where the worst evils of industrialization occurred. Different groups of workers were engaged in this movement representing different interests. Improving the working conditions was the main concern of the factory workers. Handloom weavers, however, were struggling to overcome unemployment, whereas agricultural workers were fighting to

[1] D. McDowall, *op. cit.*, p. 110.

[2] M. Bruce,The Coming of the Welfare State, Great Britain, B. T. Batsford LTD, 1968, p. 83.

workhouse.[1] It had also regarded the trade unions with increasing alarm and opposed their formation for it feared that they would become centres of political agitation. Hence, the 1799 and 1800 Combination Acts were passed to outlaw trade unionism in Britain. Under these laws, workmen could be imprisoned for joining together to claim for improving working conditions or wages. The ban lasted till the first quarter of the nineteenth century, and any attempt by the workers to demand better status was punishable.

Meanwhile, the changes of the Industrial Revolution and the restrictions imposed by the government put many pressures on the working class people. These pressures, besides the fact that workers were not allowed to have access to Parliament to help advance their interests, had pushed the workers to react in different ways. Some workers resorted to violence and machine breaking through organizing underground movements. The worst of these outbursts was Luddism, which took place in 1811 in the Midlands and the North. Workers began to revolt when employers started to cut wages and increase frame rents as food prices went up. They broke into factories and destroyed machines and mills. However, the government, which declared frame-breaking as a capital offence, intervened to end this revolt by arrest and military action in 1812. Other workers found riots and strikes as another way to protest against their conditions. An example of that is the Peterloo Massacre of 1819. In an attempt to disperse a public meeting gathering to demand better working conditions and universal suffrage, the army killed eleven of the demonstrators and the event became known by this name.[2]

Unrest continued and workers continued to express their discontent in other sectors of Britain. Such riots and uprising provided the background for political action and paved the way for the members of the working class to press their demands for reforms.

## 2.The Rise of Working Class Political Consciousness

As the industrialization of Britain extended, its national wealth increased. In spite of this, the years following 1815 proved to be more difficult for the workers and their poor social conditions went largely ignored by the ruling class. The working class people were still regarded as merely means of production and not as individuals

*Ibid*., p. 151.[1]

H. Martin, Britain since 1700, London, Longman Group LTD, 1968, p. 204.[2]

the Industrial Revolution carried many advantages, its changes had some bad impacts on other sections of the society, mainly the workers for whom life became a hard struggle. New factories were set up, and provided a source of employment for ordinary people who were willing to work there. Nevertheless, the miserable working conditions and the long hours of work with low wages and irregular paymentcharacterized the effects of the Industrial Revolution.

One main social effect of the Industrial Revolution was the new phenomenon of child labour. Children were forced to work in the coal mines and textile factories for 12-16 hours per day for their work was exceptionally valuable to factory owners.[1] Women also were sent out to work, because they represented cheap labour force for many employers. Accidents in factories with children and female workers were regular. As a result, the working class often associated the Industrial Revolution with poverty and misery.

Indeed, with the development of industrialization the new conditions brought new ideas and witnessed great changes in the political climate. Under the doctrine of *laissez-faire*, which became prevalent in the late eighteenth century, employers and industrialists were allowed freedom in controlling their workers without restrictions. The exploitation of workers was usually most intensive in the smaller factories where the owners were more haunted by the desire to accumulate capital.[2] Under the capitalist system employment and wages were also controlled by the law of supply and demand. This aggravated the situation of the workers as their working and living conditions became worse. Therefore, the only way for the workers to defend their rights and protect their interests against the employers was by uniting together and forming trade unions. The latter were organizations of wage earners of any activity that were set up to undertake collective bargaining with employers to improve the working conditions and rates of pay of their members. These combinations were opposed by employers who regarded them as attacks on property and threats to their position. This hostility on the part of the employers presented a great obstacle in the development of trade unionism. The British government at that time supported the employers because ministers in most cases knew little about the lives and feelings of workers, and the government's only answer for unemployment and poverty was the

F. Beddall, A History of Britain, England, Pearson Education Limited, 2006, p. 26.[1]
J. H. Plumb, England in the Eighteenth Century, England, Penguin Books, 1963, p. 150.[2]

## Introduction

When the Labour Party was formed in 1900 as the Labour Representation Committee, it began as a loose federation that combined a number of trade unions and several socialist organizations for the purpose of increasing working class representation in Parliament in an attempt to improve their living and working conditions. Nevertheless, the emergence of Labour was not all of a sudden, but it was the product of evolutionary factors.

The Industrial Revolution in Britain created the factory system, which was largely responsible for the rise of the modern city. Large numbers of workers were brought together in one place and had suffered great injustices from their employers, who were encouraged by the *laissez-faire* system in that it allowed them freedom in dealing with their employees. The new conditions led to the emergence of new ideas among the workers, who began to feel a sense of unity and common interests. Consequently, nineteenth century Britain was characterized by major changes in the political field. In the last part of the century, as the trade unions had already developed, leaders of the working class started to form different socialist organizations aiming at advancing their rights. It is in these struggles that the Labour Party had its roots.

## 1. The Impact of the Industrial Revolution on the Working Class

One of the important events in British history is the Industrial Revolution that covers roughly the period between 1760 and 1850. It transformed the country from being largely an agricultural nation, depending on manual labour, into an industrial one through machine-based manufacturing.[1] The change was the result of the technological advances and the development of the steam-powered machinery that led eventually to vast changes in different fields such as agriculture, transport and mining. Its impact on society was considerable.[2]

During this era, different industries were developed besides other new ones which were brought into existence. Thus, life for the mass of the people became easier. However, this was not the case for the whole population in Britain. Although,

[1] D. McDowall, An Illustrated History of Britain, Great Britain, Longman, 1989, p. 121.
[2] *Ibid*., p. 123.

# The Origins of the British Labour Party

**Full Name**: Nadia Mansouri

**Degree:** PhD student/ assistant professor of BritishCivilisation

**Affiliation:**University of Oran 2 Mohamed Ben Ahmed, Department of English Language

## Abstract

In most countries, political parties exist. They are organized groups with the aim of gaining and exerting power within the society in which they operate. Antonio Gramsci claimed that "to write the history of a party is to write the general history of a country from a monographic point of view." However, this purpose cannot be obtained without reference to the context from which the Labour Party had evolved and developed later.When the Labour Party was formed in 1900 as the Labour Representation Committee, it began as a loose federation that combined a number of trade unions and several socialist organizations for the purpose of increasing working class representation in Parliament in an attempt to improve their living and working conditions. Nevertheless, the emergence of Labour was not all of a sudden, but it was the product of evolutionary factors. The new social conditions stemming from the Industrial Revolution led to the emergence of new ideas among the workers, who began to feel a sense of unity and common interests. Consequently, nineteenth century Britain was characterized by major changes in the political field. In the last part of the century, as the trade unions had already developed, leaders of the working class started to form different socialist organizations aiming at advancing their rights. It is in these struggles that the Labour Party had its roots.

**Key words:** the Labour Party, socialism, the Industrial Revolution, trade unions

| | |
|---|---|
| **01** | **The Origins of the British Labour Party**<br>Nadia Mansouri (University of Oran 2 Mohamed Ben Ahmed) |
| **15** | **Translation of Poetry: Trends and Perspectives**<br>CHAAMI Amine( Universiry Center of Aflou)<br>. |
| **24** | **L'historicité de l'historiographie arabe**<br>Zaoui Nejib( Université de Gafsa La tunisie) |

المركز الجامعي بأفلو